جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

النشاط العسكري في العصر الأموي
على الجبهة البيزنطية (شمال بلاد الشام)
(أهدافه وخططه وتطبيقاته)
(٤٠ - ١٣٢هـ/٦٦١ - ٧٥٠م)

رسالة أُعدَّت لنيل درجة الماجستير في تاريخ العرب والإسلام

إعداد
عصام عبد المحسن ملا علي

بإشراف
الأستاذة الدكتورة شكران خربوطلي

دمشق ١٤٣١هـ/٢٠١٠م

الإهـــــداء

إلى.. من قرن الله عبادته بالإحسان إليهما, فقال تعالى:

﴿ وقضى ربك ألا تعبد إلا إياه وبالوالدين إحسانا ﴾

﴿ فيا رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ﴾ . . . . . والدَّي

إلى.. من شاركتني ألوان العناء.. فكانت عنواناً للوفاء...زوجتي

إلى.. حاضري ومستقبلي...ماهر و زمزم

إلى.. العطاء والصفاء... إخوتي وأخواتي

إلى..كل أصدقائي و أقاربي

عصام ملا علي

شكر وتقدير

ليت الكلمات تكون قادرة دائماً على التعبير. .

فتعبر عن شكري الجزيل وامتناني العظيم . .

إلى صاحبة الفضل الكبير. . .

المعلمة الفاضلة

الأستاذة الدكتورة شكران خربوطلي

التي أنارت لي الدروب. .وذللت كل الخطوب. .

وصححت ما في خطواتي من عيوب. .

عصام ملا علي

المحتوى	الصفحة
الإهداء	٢
شكر وتقدير	٣
المحتوى	٤
مقدمة	٧
دراسة لأهم المصادر والمراجع	١٠
تمهيد: الجبهة البيزنطية (شمال بلاد الشام)وأهميتها	٢١
الفصل الأول- الجغرافية التاريخية للجبهة البيزنطية	٢٥
الفصل الثاني- التعريف بالأمويين و البيزنطيين	٢٩
أولاً - الأمويون	٢٩
آ- خلفاء الفرع السفياني	٢٩
ب- خلفاء الفرع المرواني	٣٦
ثانياً – البيزنطيون	٥٢
الفصل الثالث: الجيش في العصر الأموي	٦٣
أولاً- نظم الجيش	٦٣
آ- التجنيد	٦٣
ب- مصادر الجند	٦٦
ج- مكونات الجيش	٦٧
د- التعبئة والتنظيم	٦٨
هـ- الرتب العسكرية	٦٩
ثانياً - أسلحة الجيش	٧٠
(أ)- الأسلحة الفردية	٧٠
(ب)- الأسلحة الجماعية	٧٣
ثالثاً- نظام الجيش الأموي في المعارك البرية	٧٥
آ- خطة المعركة	٧٥
ب - المسير إلى المعركة	٧٥
ج - جمع الأخبار	٧٧
١- الطلائع	٧٨
٢- العيون	٨٠
٣- العلاقات الدبلوماسية	٨٢

د ـ المعسكر	٨٤
هـ ـ المعركة	٨٥
١ـ فرض ارض المعركة	٨٦
٢ـ التأني	٨٦
٣ـ الحذر	٨٦
٤ـ المفاجئة	٨٧
٥ـالخديعة	٨٨
٦ـالحرب النفسية	٩٠
٧ـ الأسرى	٩٢
ـ سبل إنهاء الأسر في الإسلام	٩٣
ـ أوضاع أسرى المسلمين	٩٣
الفصل الرابع ـ الفتوحات في العصر الأموي على الجبهة البيزنطية	٩٥
أولاً ـ موقف الأمويين من الفتوحات وأهدافها	٩٥
ثانياً ـ التكتيك والتطبيق في المعارك البرية	٩٩
١ـ النشاط العسكري في عهد معاوية بن ابي سفيان:	١٠٠
٢ـ النشاط العسكري في عهد خلفاء معاوية:	١٠٢
٣ـ النشاط العسكري في عهد عبد الملك وأبنائه(الوليد وسليمان):	١٠٣
ـ حرب القراطيس	١٠٤
٤ـ النشاط العسكري في عهد عمر بن عبد العزيز:	١٠٧
٥ـ النشاط العسكري في عهد يزيد بن عبد الملك:	١٠٨
٦ـ النشاط العسكري في عهد هشام بن عبد الملك وباقي الخلفاء :	١٠٩
ـ معركة أكروينون Acroinon	١١٠
ثالثاً ـ دور المردة في الصراع الأموي البيزنطي	١١٤
رابعاً ـ دور الأرمن والخزر في الصراع الأموي البيزنطي	١١٨
١)ـ الأرمن	١١٨
٢)ـ الخزر	١١٩
خامساً ـ الثغور ودورها في الصراع الأموي البيزنطي	١٢١
١)ـ الثغور الشامية	١٢٣
٢)ـ الثغور الجزرية	١٢٥
سادساً ـ حصار القسطنطينية	١٢٩

١)- الحصار الأول	١٣٠
٢)- الحصار الثاني أو حرب السبع سنوات	١٣٥
٣)- الحصار الثالث أو الحملة الإسلامية الكبرى	١٣٩
- ليو وعلاقته بالحملة	١٤٣
- الحصار	١٤٥
- أسباب إخفاق الحصار الأموي الثالث للقسطنطينية .	١٥٤
الفصل الخامس- المعارك البحرية	١٥٧
أولاً - نشوء القوى البحرية الأموية	١٥٧
ثانياً - العمليات الحربية البحرية	١٦٢
- جزر المتوسط ودورها في الصراع الأموي البيزنطي	١٦٦
آ- قبرص	١٦٦
ب - رودس	١٦٧
ج - كريت	١٦٨
د- أرواد	١٦٨
رابعاً - الخطط الحربية البحرية	١٧٠
١) - الخطط الدفاعية	١٧٠
٢) - الخطط الهجومية	١٧١
آ- الاستعداد	١٧١
ب- المسير (الإبحار) و القتال	١٧١
ح- الإنزال	١٧٢
د- العودة إلى الديار	١٧٢
هـ- مصاعب القتال البحري	١٧٣
خاتمة	١٧٤
المصادر والمراجع	١٧٨
ملاحق	١٩٣
ملخص البحث باللغة الانكليزية	٢٠٦

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، يقول الله تعالى في كتابه العزيز:

{ وأعدُّوا لَهُم ما اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ ومِنْ ربَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وعَدُوَّكُمْ...}[1]

إنَّ حالة الحرب شبه الدائمة التي تعيشها الأمة العربية والإسلامية منذ مئات السنين جعل من واجب الدول والشعوب الإسلامية وحتى الأفراد الاستعداد وإعداد القوة لمواجهة الأعداء المتربصين تمثلاً بالآية الكريمة السالفة.

إلا أن إعداد القوة لا يكون بإعداد السلاح وحسب وإنما بوسائل عديدة, كان منها: الإطلاع على تجارب السابقين، وخاصة العرب المسلمين واستخلاص ما فيها من مواعظ وعبر، والاستفادة منها في الواقع المعاش، فكان الدافع الأول لاختيار موضوع البحث.

أمّا الدافع الثاني: فكان دراسة الأعمال العسكرية الإسلامية في الحقبة الأموية دراسة علمية، وتوضيح الخطط والفنون الحربية المستخدمة، التي لا يعتقد الكثيرون بوجودها. لما لهذه الحقبة وتلك الخطط من أهمية.

أما الدافع الثالث: فكان دراسة الأعمال الحربية الإسلامية في الحقبة الأموية على الجبهة البيزنطية تحديداً، لما لهذه الجبهة من أهمية خاصة نابعة من كونها مسرح للقاء أقوى وأشرس أعداء الأمة الإسلامية آنذاك.

الدافع الرابع:دراسة نتائج الصراع العربي البيزنطي وتحليلها.

لهذا كله كان اختيار موضوع:

النشاط العسكري في العصر الأموي على الجبهة البيزنطية (شمال بلاد الشام) أهدافه وخططه وتطبيقاته (٤٠ - ١٣٢هـ/٦٦١ – ٧٥٠م)

يحاول البحث تقديم صورة جديدة عن الأعمال العسكرية الأموية على الجبهة البيزنطية في ضوء المعطيات الجغرافية والتاريخية والعسكرية الحديثة، والتركيز على الخطط الحربية المستخدمة في النشاط العسكري على هذه الجبهة ذات الخصوصية التضاريسية والإستراتيجية، بعد رصد كافة الروايات العربية القديمة والدراسات الحديثة. وقد اقتضى ذلك تقسيم البحث إلى خمسة فصول يسبقها تمهيد يتحدث عن أهمية هذه الجبهة سياسياً وعسكرياً، والإستراتيجية الأموية تجاه هذه الجبهة.

يبحث الفصل الأول في جغرافية الجبهة البيزنطية(شمال بلاد الشام) وتضاريسها، محاولاً رسم صورة لهذه الجبهة التي كانت ميداناً لسلسلة طويلة من المعارك، وأثر هذه التضاريس على سير العمليات العسكرية ونتائجها، خاصة وإنَّ هذه الجبهة تقسم

١- سورة الأنفال: الآية٦٠

إلى قسمين قسم بري تمثله جبال طوروس بقممه العالية ودروبه الضيقة والوعرة، وقسم بحري يمثله البحر المتوسط وجزره المتناثرة.

وأمّا الفصل الثاني فيتحدّث باختصار عن تاريخ الدولة الأموية وخلفائها؛ أنسابهم، أهم أعمالهم، مدة حكمهم وأعمارهم، وأهم الأحداث الداخلية في عهد كل منهم، وكيفية انتقال الخلافة من الفرع السفياني إلى الفرع المرواني. وكذلك يقدم هذا الفصل تعريفاً بالبيزنطيين، وأباطرتهم الذين عاصروا عصر الدولة الأموية، وما يميز عهد كل واحد منهم ومدته.

أمّا الفصل الثالث فيتحدّث عن الجيش الأموي، ويبحث بدايةً في نظمه من حيث مكوناته ومصادر جنده وتجنيدهم، عن التنظيم والتعبئة، وعن الرتب العسكرية.

ثمَّ يبحث في أسلحة الجيش وأنواعها وأصنافها وأوصافها، ثمَّ ينتقل للحديث عن نظام الجيش في المعارك البرية من حيث الخطط، والمسير، وجمع الأخبار، والتعسكر، ومن ثمَّ المعركة.

وإمّا الفصل الرابع فيتحدّث عن الفتوحات في العصر الأموي، فيناقش بدايةً في موقف الأمويين من الفتوحات وأهدافها، ثم يبحث في التكتيك والتطبيق في المعارك البرية على الجبهة البيزنطية، ويفرد صفحاتٍ خاصة لحرب القراطيس(معركة سيواس (سباستبول)) ومعركة أكروينون لما لهاتين المعركتين من أثر بالغ على سير العمليات الحربية التالية لكل منها. ثمَّ ينتقل للحديث عن دور كلٍ من المردة، والأرمن والخزر في الصراع الأموي البيزنطي، ويفرد كذلك صفحات خاصة للثغور البرية على هذه الجبهة لينتهي البحث بالحديث عن محاولات العرب الاستيلاء على القسطنطينية، ومناقشة أسباب إخفاقهم في تلك المحاولات.

أمّا الفصل الخامس والأخير فهو مخصّص للحديث عن القوى البحرية الأموية، عن نشؤها وتطورها، وعملياتها، وخططها الحربية، عن نجاحها وإخفاقها وأسباب هذا الإخفاق. إضافة إلى الحديث عن أهم الجزر في البحر المتوسط والتي كان لها دورٌ في الصراع.

وقد قامت منهجية البحث على جمع كل المعلومات المتوفرة، واستقرائها، ومقارنة الروايات المختلفة ثم تحليلها ونقدها، لإنشاء مادة تاريخية بطريقة موضوعية توصل إلى الحقيقة التاريخية أو أقرب ما يمكن منها.

وقد واجه البحث مصاعب جمة، كان أولها عدم وجود مصادر متخصصة في دراسة الخطط والتطبيقات مع قلة المصادر القريبة من الموضوع، ما جعل الاطّلاع على مصادر التاريخ العامة والبحث بين صفحاتها ضرورة ملحّة، لجمع كل معلومة صغرت أو كبرت قد تساعد في صنع المادة التاريخية.

إضافة إلى عدم الكثير من المؤرخين العرب في تفاصيل الخبر وخاصة أخبار الغزوات السنوية(الصوائف والشواتي)، فاقتصر حديث اغلبهم على أخبار مختصرة جداً، مما جعل الحصول على التفاصيل عملية في غاية الصعوبة، فضلاً عن ضياع الكثير من التفاصيل التي أغفل عنها المؤرخون العرب أو أغفلوها.

وفي كل عمل جاد يقوم به الإنسان تكون غايته دائماً الكمال. ويبقى الكمال دائماً له وحده عز وجل، ويبقى الإنسان رهين الزلل والعثرات، فان أصبت اسأل الله ان يكون جهدي خطوة للباحثين، وإلا فأسأله العون لتصويب كافة العيوب.

- دراسة لأهم المصادر والمراجع:

إنَّ خصوصية الموضوع وعدم توفر مصادر خاصة اقتضى استخدام مصادر متنوعة عربية وغير عربية، إضافة إلى المراجع التي ساعدت في تكوين الموضوع.

١- المصادر العربية:

بسبب تنوعها تم تقسيمها إلى مجموعات بحسب مواضيعها، فاحتلت كتب **الفتوح، والحروب** وما يتعلق بها المرتبة الأولى، لقربها من موضوع البحث ولما قدمته من معلومات هامة أفادت البحث إفادة كبيرة وأهمها:

- **البلاذري** (الإمام أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م): أفاد البحث بكتابين مهمين:

الأول- كتاب **جمل من انساب الأشراف،** وهو الكتاب المعروف خطأً بأنساب الأشراف, هذا الكتاب المعنون بالأنساب لم يقف مضمونه على الأنساب فقط وأنما تضمن أخبار هامة عن الدولة الأموية وخلفائها (أنسابهم، وأخبارهم، وسنوات حكمهم، أعمارهم ووفاتهم.) فأفاد البحث كثيراً في هذا المجال.

والثاني- كتاب **البلدان أحكامها وفتوحها،** وهو أيضاً يعرف خطأً بـ (فتوح البلدان) والذي يتحدث فيه عن الفتوح والمعارك الهامة منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وحتى عصر الخلفاء الراشدين وبعض من العصر الأموي دون التقيد بالترتيب الزمني لهذه الأحداث, فقدم للبحث مادة وفيرة عن النشاط العسكري على الجبهة البيزنطية براً وبحراً وإذا كان قد أغفل بعضه، فإنَّه قدم معلومات هامة عن بعض الأحداث الداخلية، ودور المردة ومدن الثغور وبعض جزر المتوسط التي كان لها دوراً في الصراع العربي البيزنطي، بطريقة مبسطة وروايات مسندة.

- **ابن أعثم** (أحمد بن أعثم الكوفي ت ٣١٤هـ/٩٢٦م): الفتوح، هذا الكتاب أفاد البحث بمعلومات هامة عن الخلفاء الأمويين، ورصد دقيق للنشاط العسكري، إلا أنّه انفرد بروايات غير لا تسندها باقي المصادر، تبدو بعضها غير منطقية, وخاصة راياته عن بعض عمليات الفتوح كالحصار الثالث ودخول مسلمة بن عبد الملك القسطنطينية دخول الفاتحين.

- **العباسي**(حسن بن عبد الله ت ٧١٠هـ/١٣١٠م)): أثار الأول في ترتيب الدول، هذا الكتاب أفاد البحث بمعلومات هامة عن بعض فنون الحرب, وعن عمل الجند قبل وأثناء المعركة, وعن قتالهم في المضائق والمسالك الصعبة، وكذلك في المعارك البحرية.

- **النويري**(شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م): نهاية الأرب في فنون الأدب، هذا الكتاب وإنْ عنون بنهاية الأرب في فنون الأدب، فقد أفاد البحث في التعرف على العديد من فنون الحرب وما يتعلق بها من حرب نفسية وتجسس، وعن الجنود وكيفية اختيارهم وأسلحتهم، ومسيرهم وتعسكرهم وغيرها من التفاصيل المتعلقة بها الموضوع.

- **الهرثمي** أو صاحب المأمون كما يعرف, جاء كتابه مختصر سياسة الحروب ليكون حصيلة مختصرة للخطط والفنون الحربية التي استخدمها أو ابتدعها القادة المسلمون في المعارك المختلفة وقد أفاد البحث في التعرف على عمل القادة والجنود المسلمين في مختلف مراحل العمليات الحربية.

ولما كانت المصادر القريبة من موضوع البحث قليلة وغير كافية كان لا بد من الاتجاه إلى كتب **الأنساب،** علها تضم بين دفتيها ما يفيد البحث ولو بقليل فكان من أهمها:

- **الزبيري**(أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب ت ٢٣٦هـ/٨٥٠م): نسب قريش، هذا الكتاب الذي يدرس نسب قريش من عدنان وحتى عصر الكاتب أفاد البحث منه في دراسة نسب بني أمية وخلفائهم وصلة القربى بينهم وبين الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام.

- **ابن الكلبي**(أبو المنذر هشام بن محمد السائب ت ٢٠٤هـ/٨١٩م): جمهرة النسب، هذا الكتاب يدرس كسابقه نسب القرشيين، فأمدَّ البحث بنسب الخلفاء الأمويين.

كما اعتمد البحث على كتب **الأخبار والتاريخ العامة** والتي وأن لم تكن متخصصة بالموضوع إلا أنها تضمنت معلومات هامة ومادة وفيرة, أفادت موضوع البحث إفادة كبيرة ومنها:

- **ابن خياط** (خليفة بن خياط العصفري ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م): تاريخ خليفة بن خياط، من كتب الحوليات الهامة وأقدمها، أفاد البحث بما قدمه من معلومات عن النشاط العسكري، والحملات الإسلامية إلى القسطنطينية بما فيها حملة قام بها معاوية مذ كان والياً على الشام.

- **اليعقوبي**(أحمد بن يعقوب بن جعفر بن واهب ابن واضح ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م): تاريخ اليعقوبي, يبدأ اليعقوبي تاريخه بآدم عليه السلام ويستمر حتى قبيل وفاته, أيام الدولة العباسية, فأمد البحث بمعلومات مفيدة عن أخبار الخلفاء الأمويين وأهم الأحداث التي جرت داخل دولتهم أو على حدودها.

- **الطبري**(أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ/٩٢٢م): تاريخ الرسل والملوك، هذا الكتاب الذي يمتد تاريخياً منذ الخليقة وحتى عصر المؤلف والذي اعتمد النظام الحولي قدم للبحث مادة وفيرة عن تاريخ الدولة الأموية، وعلاقتها بالدولة البيزنطية وبشكل خاص العسكرية، فقد رصد جميع الغزوات الصيفية والشتوية، البرية منها والبحرية، وأسهب في سرد الروايات المسندة, وبخاصة عن الحملة الإسلامية الثالثة على القسطنطينية.

- **ابن عبد ربه**(أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م):العقد الفريد، هذا الكتاب أفاد البحث بما قدمه من معلومات عن الخطط الحربية الإسلامية، وخاصة ما ينقله من وصية عبد الملك لأحد قواده وهو يستعد للغزو، هذه الوصية التي تعكس الدراية العسكرية لدى القادة الأمويين، وإتقانهم لفنون الحرب.

- **المسعودي**(أبو الحسن علي بن الحسن بن علي ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م): التنبيه والإشراف، في هذا الكتاب يقدم المسعودي مادة غنية عن الفلك والنجوم، عن الأرض بتضاريسه ومناخه، بحاره وأقاليمه، ثم أخبار أمم الأرض وأنبيائها وملوكها من فرس يونان وروم وتأريخ العالم من سيدنا آدم عليه السلام وإلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وتاريخ الإسلام من السنة الأولى للهجرة وحتى قبيل وفاته، سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م.

وقد أفاد البحث بما قدمه من معلومات جغرافية تضريسية عن حدود العرب والبيزنطيين، إضافة إلى المعلومات التاريخية عن الخلفاء الأمويين ومن عاصرهم من الأباطرة البيزنطيين.

- **مجهول**(ت في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي): العيون والحدائق في أخبار الحقائق، هذا المؤلف المجهول أفاد البحث بمعلومات هامة عن الخلافة الأموية وغزواتها وقدم تفاصيل هامة عن أعمال عبد الله البطال البطولية.

- **ابن عساكر** (أبي القاسم بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله ت ٥٧١هـ/١١٧٥م):تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر في كتابه هذا يقدم مادة وفيرة عن دمشق عاصمة الخلافة الأموية، وعن خلفائها وأخبارهم وغزوات جيوشهم.

- **ابن الأثير**(عزالدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن أبي عبد الكريم الشيباني ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، هذا الكتاب وباعتباره يعتمد نظام الحوليات فقد تابع النشاط العسكري من صوائف وشواتي وحملات كبرى قصدت العاصمة البيزنطية وبشكل سنوي منذ بداية العصر الأموي وحتى نهايته، ولكن ما يؤخذ على هذا المصدر إنَّه كالكثير من المصادر العربية، لم يتعمق في نقل أخبار النشاط العسكري على الجبهة البيزنطية، وذلك فيما يخص الصوائف والشواتي، وكذلك تجاهل بعض الأخبار التي تذكرها المصادر البيزنطية.

- **ابن العديم** (كمال الدِّين عمر بن أحمد بن أبي جرادة ت ٦٦٠هـ/١٢٦١م): أفاد البحث بمصدرين هامين:

الأول- زبدة الحلب من تاريخ حلب: هذا الكتاب الذي يعتبر زبدة المصادر في تاريخ حلب، وزبدة ما وضعه ابن العديم في كتابه الأول بغية الطلب، فيتحدث عن تاريخها منذ أقدم الأزمان وحتى زمن المؤلف، الذي تطرق بإيجاز في الجزء الأول إلى تاريخ الدولة الأموية وخلفائها فأفاد البحث بذلك.

والثاني- بغية الطلب في تاريخ حلب: يتشابه الكتابان من حيث المواضيع ألا أن الثاني أشمل وأوسع، وقد صنع ابن العديم مؤلفه معتمداً على ما كتبه من سبقه من المؤرخين والجغرافيين العرب كالبلاذري والإدريسي وغيرهما. وقد أفاد البحث بجزئه الأول بما قدمه من معلومات تاريخية وجغرافية هامة عن شمال بلاد الشام وخاصة عن الثغور، الشامية منها والجزرية.

- **ابن شداد**(أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م): الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، هذا الكتاب الذي يعتبر من المصادر الهامة عن شمال بلاد الشام يظهر فيه بوضوح تأثير ابن العديم, الذي أخذ عنه المؤلف

الكثير من مواد كتابه. أفاد البحث بمعلوماته القيمة عن الثغور الإسلامية وعن النشاط العسكري على الجبهة البيزنطية في القسم الثاني من الجزء الأول.

- **ابن منظور**(الإمام محمد بن مكرم ت ٧١١هـ/١٣١١م): مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، هذا الكتاب الذي جاء في أجزاء عديدة أفاد البحث بما قدمه من معلومات قيمة عن الخلافة الأموية ونشاطها العسكري على الجبهة البيزنطية.

- **ابن كثير**(أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت ٧٧٤هـ/١٣٤٦م): البداية والنهاية،في هذا الكتاب الذي يمتد من بداية الخليقة وحتى عصر المؤلف، يقدم ابن كثير مادة وفيرة عن الدولة الأموية ونشاطها العسكري، من غزوات سريعة وحملات كبيرة، مقدماً الكثير من التفاصيل، وينفرد بذكر تفاصيل عن مراسلات بين ليو الأيسوري وملك البلغار وخداع هذا الملك لمسلمة بن عبد الملك ونتائج هذا الخداع.

- **الذهبي**(شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م):تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، هذا الكتاب الذي يعتمد النظام الحولي، يرصد وفيات العرب منذ السنة الأولى من عمر الدولة الأموية وحتّى آخر سنة من عمرها، إضافة إلى أخبار الخلفاء وتراجمهم، كما أنَّه يرصد وفاة بعض الأباطرة البيزنطيين، لكن الأسماء التي يوردها غالباً غير متطابقة مع أسماء الأباطرة وكذلك تاريخ وفاتهم.

- **اليافعي**(أبو محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م): مرآة الجنان وعبرة اليقظان، في هذا الكتاب قدم اليافعي معلومات مفيدة عن الأحداث الداخلية في الدولة الأموية.

- **ابن خلدون**(عبد الرحمن بن خلدون ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م): تاريخ ابن خلدون، في هذا الكتاب الذي جاء في عدة أجزاء يجمع ابن خلدون بين الحوليات وتبويب الأخبار، أفاد البحث بما نقله من أخبار سنوية عن الغزوات والحملات الإسلامية على الجبهة البيزنطية ويؤخذ عليه أيضاً السطحية فيما يخص بعض أخبار النشاط العسكري على الجبهة البيزنطية.

- **القلقشندى**(أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٢١هـ/١٤١٨م): أفاد البحث بكتابين:

الأول- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، هذا الكتاب أفاد البحث بما قدمه من معلومات عن الخلافة ورجالاتها، وكذلك عن تسيير الجيوش وما يسبق ذلك من خطط وتحضيرات، لضمان أفضل النتائج.

وأمّا **الثاني** فهو **مآثر الإنافة في معالم الخلافة،** الذي يتخصص إلى حد بعيد في شؤون الخلافة والخلفاء، فقدم معلومات مفيدة عن الخلافة الأموية.

- **المقريزي**(تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٥٤هـ/١٤٤٣م):أفاد البحث بأربعة مصادر أهمها مصدران وهما:

أولاً- الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك،وفيه قدم معلومات هامة عن الخلافة الأموية والانقسامات التي تعرضت لها ثم توحدها في عهد عبد الملك وحتى انهيارها.

ثانياً -النقود الإسلامية المسمى" بشذور العقود في ذكر النقود": هذا الكتاب يقدم معلومات قيمة حول عمل عبد الملك الهام بتعريب النقود والقراطيس واثر هذا العمل على العلاقات الأموية البيزنطية ونتائجها.

- **ابن تغري بردي**(أبو المحاسن يوسف الاتابكي ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م): النجوم الزاهرة، أفاد البحث بما قدمه من أخبار عن الأحداث داخل الدولة الأموية وعلى حدودها مع الإمبراطورية البيزنطية.

- **السيوطي**(جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ/١٥٠٥م): تاريخ الخلفاء، يتناول السيوطي في كتابه هذا تفاصيل حياة الخلفاء وحكمهم، وقد أفاد البحث بما قدمه من تفاصيل في هذا الميدان.

- **ابن العماد**(عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري ت١٠٨٩هـ /١٦٧٨م):شذرات الذهب في أخبار من ذهب، في هذا الكتاب التاريخي الطويل يقدم ابن العماد مادة وفيرة عن الدولة الأموية وخلفائها وأهم الأحداث داخل حدودها وخارجه وعلاقاتها مع الدولة البيزنطية دبلوماسياً وعسكرياً، وهذا الكتاب من المصادر العربية القليلة التي تعرضت لخسارة العرب في معركة أكروينون، كما أنه ينفرد برواية عن فضائل عن عمر بن عبد العزيز.

- **العصامي**(ت ١٠٩٩هـ/١٦٨٨م)**:**كتاب سمط النجوم العوالي، يسجل الأحداث التاريخية منذ ولادة الرسول عليه الصلاة والسلام، وحتى قبيل وفاة مؤلفه أيام الدولة العثمانية، لذلك فهو يقدم مادة وفيرة عن الخلفاء الأمويين(أنسابهم، وأولادهم، وسني حكمهم وأهم الأحداث التي جرت في عهدهم.)

وباعتبار أنَّ البحث تضمن عدة أحاديث نبوية شريفة كان لابدَّ من الاستعانة **بكتب الحديث** وكان في مقدمتها:

- **البخاري**(الإمام أبوعبد الله محمد بن إسماعيل ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م):الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المشهور بـ صحيح البخاري، هذا الكتاب الضخم والعمل العظيم أفاد البحث بتأكيده صحة نسب بعض الأحاديث النبوية الشريفة التي وردت في متنه.

وبسبب خصوصية الجبهة البيزنطية مسرح الأحداث، كان لابد من الاستعانة بالمصادر **الجغرافية** للمساعدة في توضيح طبيعة المكان وتحديد موقع بعض المدن التي غير الزمان في شكلها واسمها، فكان منها:

- **مجهول**(مؤلف مجهول كتبه عام ٣٧٣هـ/ ٩٨٧م): حدود العالم من المشرق إلى المغرب، هذا الكتاب مجهول المؤلف، معروف العصر.أفاد البحث في تحديد مواقع العديد من مدن الثغور.

- **الحموي**(ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، هذا الكتاب الذي جاء في عدة مجلدات ومرتباً حسب الأحرف الأبجدية أفاد البحث بالكثير من المعلومات الجغرافية الهامة عن ساحة الصراع بين العرب

والبيزنطيين وتحديد مواقع المدن وخاصة الثغور والجزر البحرية مع لمحة تاريخية عن بعضها.

ً٢ـ المصادر الأجنبية:

آـ السريانية:

كان الاطلاع عليها ضرورة تفرضها طبيعة البحث باعتبار أن السريان كانوا شريحة هامة من شرائح المجتمع الأموي كما كان منهم الكثير من رجالات الدولة، ولغتهم كانت لغة التعاملات الرسمية في الدولة الأموية حتى عهد عبد الملك بن مروان، ومن أهم مصادرهم المتوفرة كان:

ـ **ميخائيل**(مار ميخائيل السرياني الكبير ت ٥٩٦هـ/١١٩٩م): تاريخ ميخائيل الكبير، هذا الكتاب الذي وضعه بطريرك إنطاكية، فجاءت ترجمته في ثلاثة أجزاء, أفاد البحث بجزئه الثاني بما قدمه من معلومات قيمة عن الخلافة الأموية والإمبراطورية البيزنطية، والصراع بين الدولتين، معتمداً في تاريخه على التقويم اليوناني إلى جانب الهجري أحياناً، فجاءت تواريخه غير متطابقة مع التواريخ التي تجمع عليها معظم المصادر الإسلامية.

ـ **ابن العبري**(غريغوريوس الملطي ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م):تاريخ مختصر الدول،هذا الكتاب الذي جاء اختصاراً لكتابه الأول الضخم، أفاد البحث بما تضمنه من معلومات عن الدولة الأموية وخلفائها، ونشاطهم العسكري على الحدود البيزنطية.

بـ البيزنطية:

كان الاطلاع عليها أيضاً ضرورة، لأنهم شركاء الأمويين في الصراع العسكري، فكان أهم مصادرهم:

ـ **تيوفانس**(ت ٢٠٣هـ/٨١٨م):حوليات تيوفانس، أفاد البحث بما قدمه من معلومات عن الإمبراطورية البيزنطية وأباطرتها خاصة وعن الدولة الأموية من وجهة نظر بيزنطية، وما نقله من أخبار الغزوات الإسلامية وكذلك البيزنطية، وخاصة تلك التي أغفلتها المصادر الإسلامية، ويؤخذ عليه مبالغته في أعداد قتلى المسلمين في بعض الغزوات.

٣ً- المراجع العربية:

- **أحمد**(أحمد رمضان):تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط (العصر الوسيط)، أفاد البحث بما قدّمه من معلومات عن الأعمال العسكرية الأموية والخطط الحربية المستخدمة فيها.

- **أومان:** الإمبراطورية البيزنطية، أفاد البحث بما قدمه من معلومات عن الإمبراطورية البيزنطية وأباطرتها، وأهم الأحداث داخل الإمبراطورية، وقد انفرد بجعل أولئك الذين خرجوا على البيزنطيين وانضموا إلى الأمويين؛ بلغاراً لا سلافيين.

- **بابتي**(عزيزة فوال): العصر الأموي أدبه وحضارته، أفاد البحث بما قدمه من معلومات عسكرية تنظيمية، خاصة بالتجنيد وتنظيم الجيش ووحداته في العصر الأموي.

- **بركات** (وفيق): أفاد البحث بكتابين هامين:

الأول- فن الحرب البحرية(في التاريخ العربي الإسلامي)، الذي تضمن معلومات هامة عن النشاط العسكري الأموي البري والبحري والخطط الحربية المستخدمة في هذه الأنشطة، وخاصة الحملات الثلاثة الموجهة إلى القسطنطينية، إضافة إلى معلومات عن بدايات النشاط البحري وتكون القوى البحرية الأموية.

الثاني- الاستراتيجية البحرية للدول العربية الإسلامية، الذي تضمن تغير الإستراتيجية العسكرية الأموية، والخطط الحربية في الحملات الثلاثة، ودور المردة وتأثيرهم على الصراع الأموي البيزنطي.

- **جلوب**(جون): إمبراطورية العرب،في هذا الكتاب يناقش جلوب الإستراتجية والخطط العربية العسكرية وأسباب إخفاقها من وجهة نظر عسكرية.

- **الجنزوري**(علية عبد السلام): الثغور البرية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى، كتاب متخصص في الثغور الإسلامية حيث قدّم معلومات هامة عن مدن الثغور وأوضاعها في العصر الأموي.

- **خطاب**(محمود شيت): مسلمة بن عبد الملك بن مروان فاتح شطر الأناضول ومحاصر القسطنطينية،في هذا الكتاب يقدم خطاب مادة وفيرة عن الحملة الإسلامية الثالثة، والتحضيرات الأولية لها ووضع الخطة والموقف على الطرفين قبيل القتال ثم تفاصيل الحصار والخطط الحربية المستخدمة، واتصال البيزنطيين بالبلغار، ويرفض خطاب انخداع مسلمة بحيلة ليو الأيسوري ويصنف مسلمة في مقدمة القادة المسلمين في العصر الأموي.

- **خفاجي وشرف**(عبد المنعم وعبد العزيز):معارك فاصلة في التاريخ الإسلامي، أفاد البحث بمعلوماته الجغرافية عن جبال طوروس، وموقع القسطنطينية وخصائصه، وموقع بعض الثغور إضافة إلى معلوماته عن صناعة السفن ومراكزها.

- **خماش**(نجدة): **خلافة بني أمية في الميزان**، في هذا الكتاب كانت المعلومات عن امتداد رقعة الدولة الأموية، وبعض الخطط الحربية وتغير الإستراتيجية الأموية في عهد عمر بن عبد العزيز مفيدة جداً للبحث.

أما كتاب **الشام في صدر الإسلام**، فكان يحتوي معلومات هامة عن الأحداث الداخلية والتجنيد والنشاط العسكري ونشوء القوى البحرية.

- **الدقدوقي**(وفيق):الجندية في عهد الدولة الأموية، هذا الكتاب قدم للبحث مادة وفيرة عن الجيش الأموي ومكوناته وترتيباته وأسلحته وقتاله وكل ما يتعلق به.

- **رستم** (أسد): الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، هذا الكتاب أفاد البحث بمعلوماته عن الأباطرة البيزنطيين وصراعهم مع العرب، ثم الجراجمة ودورهم في هذا الصراع وتغير الموقف على الجبهة، وانضمام السلاف(الصقالبة) إلى العرب.

- **زكار**(سهيل):تاريخ العرب والإسلام منذ ما قبل المبعث وحتى سقوط بغداد، هذا الكتاب أفاد البحث بما قدم من معلومات حول الخلفاء الأمويين، وبعض الخطط الحربية، وطبيعة الحدود وخصوصيتها.

- **أبو زيد**(علاء عبد العزيز): الدولة الأموية٠٠دولة الفتوحات(٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م)،هذا الكتاب أفاد البحث بمعلوماته عن النشاط العسكري على الجبهة البيزنطية والغارات على الجبهة الأرمينية، وطبيعة الحدود البحرية ، وبعض الخطط الحربية.

- **طقوش**(محمد سهيل): تاريخ الدولة الأموية، يقدم مادة وفيرة عن النشاط العسكري على الجبهة البيزنطية وأهدافه،وإخفاق العرب في معركة أكروينون وتأثيره على الإستراتيجية الأموية، مدن الثغور ودورها في حماية الحدود.

- **طهبوب**(صلاح): موسوعة التاريخ الإسلامي(العصر الأموي)، أفاد البحث بمعلوماته عن الدولة البيزنطية وموقع عاصمتها، ومعلوماته عن القوات الأموية؛ أجناده، مكوناته، طلائعه، رتبه وخططه الحربية.

- **العبادي وسالم**(أحمد مختار والسيد عبد العزيز): تاريخ البحرية الإسلامية(في مصر والشام)، هذا الكتاب أفاد البحث بمعلوماته عن النشاط العسكري البري والبحري وبدايات النشاط البحري الأموي.

- **عثمان**(فتحي):الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، هذا الكتاب يقدم مادة وفيرة عن الدولة الأموية وأهم أحداثها الداخلية ونشاطها العسكري، براً وبحراً، وتغيرات النشاط على الطرفين، ويقدم صورة مفصلة عن حدودها، ونطاق ثغورها، ونظام الدفاع فيها، إضافة إلى أجنادها.

- **العريني**(السيد الباز): الدولة البيزنطية(٣٢٣- ١٠٨١م)، أفاد البحث بمعلوماته عن الإمبراطورية البيزنطية وأباطرتها.

- **العسلي**(بسام): فن الحرب في عهود الخلفاء الراشدين والأمويين،عمليات الجبهات الشمالية والشرقية والبحرية، هذا الكتاب قدم مادة وفيرة عن الجيش ومكوناته ومسيره وتعسكره، وصنوفه وتعبئته، وعملياته وخططه البرية والبحرية.

- **عمران**(محمود سعيد):معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، أفاد البحث بما قدمه من معلومات عن تاريخ الدولة البيزنطية وأباطرتها.

- **عنان**(محمد):مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، هذا الكتاب أفاد البحث بمعلوماته عن النشاط العسكري والخطط الحربية المستخدمة، و حقيقة الموقف على الطرفين، وأسباب الإخفاق العربي، كما يقدم معلومات عن العلاقات الدبلوماسية والعيون والتسامح الديني لدى المسلمين.

- **فرج ويوسف**(وسام عبد العزيز وجوزيف نسيم): العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادي، هذا الكتاب أفاد البحث بمعلومات هامة عن الحدود والدروب، وعن الإمبراطورية البيزنطية، والنشاط العسكري بين الدولتين وأوضاع كلا الطرفين ودور الأرمن والحزر في الصراع بين الطرفين.

- **فرح(نعيم)**: تاريخ بيزنطة السياسي، أفاد البحث بما قدمه من معلومات عن الأباطرة البيزنطيين.

- **كرد علي**(محمد): خطط الشام، هذا الكتاب قدم مادة وفيرة عن الخلفاء الأمويين والنشاط العسكري والجراجمة ودورهم، وقد انفرد بفكرة أنّ الفتوحات استمرت في عهد يزيد بن معاوية، دون أنْ يقدّم أي شاهد على ذلك، كما يجعل سبي الروم امرأة عربية سبب الحملة الثالثة على القسطنطينية.

- **كنعان**(محمد بن أحمد):تاريخ الدولة الأموية(خلاصة ابن كثير)، أفاد البحث بما قدمه عن الخلفاء الأمويين.

- **لويس**(ارشيبالد.ر):القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط(٥٠٠-١١٠٠م)، أفاد البحث بمعلومات هامة عن النشاط العسكري والخطط الحربية المستخدمة، والعمليات البحرية للطرفين، و أسباب إخفاق البحرية الأموية.

- **المريخي**(سيف شاهين):إمارة البحر في عصر الخلفاء الراشدين والأمويين(١١-١٣١هـ/٦٣٢-٧٤٨م)، هذا الكتاب أفاد البحث بمعلومات هامة عن بدايات النشاط البحري الأموي وتطوره، وسرد لأسماء بعض أمراء البحر المسلمين.

- **هندي**(إحسان): أفاد البحث بثلاثة كتب هي:

أولاً- أحكام الحرب والسلام في دولة الإسلام، هذا الكتاب قدم معلومات هامة عن بعض الأمور التنظيمية والخطط الحربية لدى الجيش.

ثانياً- الأسلحة وآلات القتال عند العرب المسلمين في القرون الوسطى، فيقدم معلومات عن الأسلحة المستخدمة وأنواعها.

ثالثاً- الحياة العسكرية عند العرب أو الجيش العربي في ألف عام، فيقدم معلومات هامة عن نشوء الجيش الأموي، وخططه ونظم الحراسة والحرب النفسية، إضافة إلى الثغور وتوقيت الصوائف والشواتي.

- **الوكيل**(محمد السيد): الأمويون بين الشرق والغرب، قدم معلومات هامة عن تعبئة الجيش والسفراء وطرق التعامل معهم إضافة إلى بعض المعلومات عن الخطط الحربية المستخدمة.

تمهيد: الجبهة البيزنطية (شمال بلاد الشام)وأهميتها:

لدى دراسة الجبهة البيزنطية يجد المرء مجموعة من الأسئلة والتي تنتظر أجوبتها بإلحاح, والسؤال الأول هو لماذا كانت هناك جبهة بيزنطية أساساً ؟ وهل شكلت جبال طوروس حاجزاً طبيعياً بين العرب والبيزنطيون؟ وهل أثرت هذه الجبال بمناخها البارد وتضاريسها الوعرة على أداء الجندي العربي ونتائجه على هذه الجبهة؟

والحقيقة ان عمر الدولة الأموية (٤٠ - ١٣٢هـ/٦٦١ – ٧٥٠م) القصير نسبياً، والذي لم يتجاوز التسعين عاماً، يثير استغراب الناظر في حدودها ومساحتها المترامية الأطراف، والتي امتدت من المحيط الأطلسي غربا إلى السند شرقاً، ومن تخوم الروم شمالاً إلى الصحراء الأفريقية جنوباً,[١] بمساحة عادلت مساحة الإمبراطورية الرومانية في أوج قوتها أو ربما زادت عليها وفاقتها امتداداً، إذ أنَّ الإمبراطورية الرومانية المتجمعة حول شواطئ البحر المتوسط لم يتجاوز أقصى طول لأراضيها ألفين وستمئة ميلاً.[٢] في حين يقدر المقدسي امتداد الدولة الإسلامية بـ ألفين وستمئة فرسخاً.[٣] هذه المساحة الشاسعة وهذا الامتداد الطويل للدولة فرض على حكامها تقسيمها إلى أمصار وجبهات عديدة، من المؤكد أن الجبهة البيزنطية (شمال بلاد الشام) والتي امتدت من ملطية على الفرات الأعلى إلى طرسوس في كيليكيا على مقربة من سواحل المتوسط.[٤] كانت أهمها على الإطلاق، إذ أن الجبهة البيزنطية تعد أقرب الجبهات الحربية من مركز الدولة الأموية، وعاصمتها دمشق لا تبعد عن ميادينها سوى مئات الأميال وعن شواطئ المتوسط (الروم سابقاً) سوى عشرات الأميال، في حين أن الجبهة الشرقية تبتعد عن دمشق آلاف الأميال. كما أنَّ الجبهة البيزنطية تعد أكثر الجبهات تهديداً وخطورة، وتأتي خطورتها من كون العدو الكامن خلف آفاقها يختلف عن بقية الأعداء، فخلف الحدود تكمن الإمبراطورية البيزنطية ، وريثة الإمبراطورية الرومانية الموغلة في القدم، صاحبة الأملاك الشاسعة، والتي لا في العالم كله من هو ند لها وخاصة بعد انهيار إمبراطورية الفرس. وخطورة الموقف تكمن في أنَّ البيزنطيين ورغم اندحارهم الذليل أمام القوات العربية الإسلامية، في بلاد الشام وغيرها من الأماكن، لا ينفكون عن التفكير في كيفية استعادة ما استولى عليه العرب المسلمون من أراض يعدونها ملكاً لهم وجزءاً لا يتجزأ من أراضيهم.

وأنَّ استعادة هذه الأملاك هو هدف الإمبراطورية الأول، مما يعني الاستيلاء مجدداً على بلاد الشام ومصر وشمال افريقية، وما يعني أيضاً القضاء على الدولة الأموية برمتها.

---

١ - المقدسي(أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ت ٣٩٠هـ/٩٩٩م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم, مطبعة بريل, مدينة ليدن ١٨٧٧م, صـ ٦٢- ٦٣

٢ - جلوب(جون): إمبراطورية العرب، تعريب وتعليق خيري حماد، دار الكتاب العربي،بيروت ط١ ١٩٦٦مصـ ٢٩٠

٣ - المقدسي: أحسن التقاسيم في. صـ ٦٥

٤ - ابن العديم(كمال الدين عمر بن أحمد بن ابي جرادة): بغية الطلب في تاريخ حلب، حققه وقدم له الدكتور سهيل زكار، مجلة التراث العربي، العدد/٢٩/ تشرين الأول ١٩٨٧م www.al-mostafa.com تاريخ الدخول /٢٠١٠/٦/٢م , ج١/صـ ١٢٤

في حين أنَّ الأمويين كانوا يواجهون على الجبهات الأخرى على الأغلب دولاً صغيرة، همها الأول هو عقد سلام مع العرب للحفاظ على كياناتها أو على ما تبقى منها، كما أن قوة هذه الدول العسكرية لا يمكن مقارنتها بالقوة العسكرية للدولة البيزنطية بأي شكل من الأشكال.

وقد تنبه الساسة الأمويون لسياسة الدولة البيزنطية وأهدافها وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان، الذي رسم سياسة دولته تجاه الدولة البيزنطية بناء على هذه المعطيات والتي حددها بهدفين اثنين:

أولاً- إقامة نظام ثابت لحماية المناطق الحدودية والشواطئ الإسلامية من هجمات البيزنطيين وحلفائهم المردة.

ثانياً- الاستيلاء على القسطنطينية.[١]

ولدى التمعن في هاتين الجملتين تتوضح الخطوط العامة للإستراتيجية العسكرية الأموية على الجبهة البيزنطية، والتي قسمت إلى قسمين:

الأول دفاعي يقوم على أساس تقوية الحدود وتحصينها, لضمان حماية البلاد من أي هجوم مباغت وأي عبث بممتلكات الدولة.

أمّا القسم الثاني فهو هجومي، يقوم على أساس القضاء على الإمبراطورية البيزنطية العدو الأخطر للدولة الإسلامية, بعد الاستيلاء على عاصمتها.

إنَّ التمعن في هذه الإستراتيجية بعمق أكثر يمكن اكتشاف مدلولات عديدة من أهمها:

١- قوة الدولة الأموية الناشئة وقوة جيشها.

٢- ضعف الإمبراطورية البيزنطية وسوء أحوالها.

٣- قوة الاستخبارات الأموية، والتي وفرت لمعاوية الأخبار الوافية لاتخاذ هذا القرار الخطير.

ومن خلال الصفحات القادمة من البحث سيكون من الممكن التأكد من صحة هذه الأفكار، فمعاوية بعد أنْ تفرّد بالخلافة أسس جيشاً قوياً وعاد لإكمال ما كان قد بدأه من فتوحات وهو وال على بلاد الشام، في الأراضي التي كانت تسيطر عليها الإمبراطورية البيزنطية، التي ربما يكون من غير المبالغ فيه القول أنها كانت تعيش أكثر أيامها ضعفاً، فما إن استأنف معاوية حركة الفتوح من جديد حتى بادر الإمبراطور قسطنطين الثالث إلى طلب الصلح, متعهداً بدفع أضعاف ما دفعه معاوية سالفاً أثناء انشغاله بتثبيت دعائم حكمه، إلا أن معاوية بما عرف عنه من دهاء رفض مستغلاً الفرصة ليدفع مجموعة من الغزوات إلى أرض العدو تحصد النصر تلو النصر.[٢] وعلى هذه الصورة كانت العلاقة على هذه الجبهة، تحين للفرص

---

١ - طقوش(محمد سهيل): تاريخ الدولة الأموية،دار النفائس،بيروت ط١ ١٩٩٦م صـ ٣٠

٢ - اليعقوبي(أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واهب ابن واضح ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م): تاريخ اليعقوبي, تاريخ الدخول/١٥/٩/٢٠٠٩م www.al-mostafa.com صـ ٢٩٨

وحروب، حرب وجود أو فناء، فكل طرف يكمن للآخر ويترصد الفرص لينزل به أفدح الخسائر وأن يزيل اسمه من الخريطة إنْ أمكن ذلك، لذا فقد استحوذت هذه الجبهة على اهتمام خلفاء بني أمية وساستهم الذين لم يبخلوا عليها لا بوقتهم ولا بجهدهم ولا بمالهم.

الفصل الأول

الجغرافية التاريخية للجبهة البيزنطية

الفصل الأول- الجغرافية التاريخية للجبهة البيزنطية:

في العصور السالفة غالباً ما شكلت الظواهر الطبيعية من جبال، وبحار وأنهار كبرى الحدود الفاصلة بين الدول المختلفة، إذ لم يكن هناك حدود سياسية كالتي تفصل بين الدول في العصر الحالي.

وعلى الجبهة البيزنطية كانت جبال طوروس طوال عصر الدولة الأموية هي الحدود الفاصلة بينها وبين الإمبراطورية البيزنطية،[١] ولعله كان من حسن طالع الدولتين أنْ يخلق الله هذه السلاسل الجبلية، بين هاتين الدولتين، والتي أمنت بتضاريسها الوعرة الحماية إلى حد ما لكلتا الدولتين. فالإمبراطورية البيزنطية لم تكن تفكر إلا نادراً في اختراقها تحسباً من ممراتها الضيقة والمحروسة بأعين المرابطين في الثغور الإسلامية المنتشرة على طول الحدود والتي سيأتي الحديث عنها في فصل لاحق.والأمويون وإنْ اخترقوا تلك الجبال مراراً وتكراراً،[٢] فإنهم لم يحاولوا الإقامة فيها، ربما بسبب تضاريسها الوعرة ومناخها القاسي الذي يختلف تماما عن الذي ألفوه في بلادهم، تلك التضاريس التي كانت بمنحدراتها الشديدة وأوديتها العميقة الضيقة مسؤولة إلى حد كبير عن فقر المنطقة وقلة مواردها،[٣] مما لم يسمح بإقامة حياة مستقرة فيها، إضافة إلى أنَّ إقامة المسلمين في الجانب الآخر من جبال طوروس يجعلهم في معزل عن الدولة الإسلامية وتحت رحمة الهجمات البيزنطية. لذلك لم يستوطنها المسلمون كما كانت عادتهم في المناطق المفتوحة، فبقيت جبال طوروس بمسالكها الصعبة الحد الفاصل بين المسلمين والبيزنطيين وإنْ كانت في بعض الأحيان تخضع لإحدى الدولتين دون الأخرى.

ويقال إنَّ البيزنطيين ومع بداية حركة الفتوح الإسلامية, قاموا بتخريب المدن الحدودية وإخلائها من سكانها.[٤] كي يضيعوا على المسلمين فرصة الاستفادة منها أثناء غزواتهم، وأصبحت أرضاً خصبة لنصب الكمائن للانقضاض على مؤخرة الجيوش الإسلامية الغازية او المتخلفين عنها, ولتحاشي هذه الكمائن كان القادة الأمويون يتركون عدداً من الرجال لمنع العدو من نصب أفخاخه فيها.[٥]

وجبال طوروس تتألف من سلسلتين من الجبال الوعرة واللتين تعرفا بجبال طوروس وطوروس الداخلية، وقد أطلق المسلمون على طوروس الداخلية اسم جبل

---

١ - فرج ويوسف (وسام عبد العزيز وجوزيف نسيم): العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادي ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،الإسكندرية ١٩٨١م صـ ٣٥

- عثمان(فتحي):الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري, الدار القومية للطباعة والنشر, الكتاب الأول/ صـ ٢٦٣

- حجل(بدري): سورية وتاريخها الحضاري، دار فكر للأبحاث والنشر٢٠٠٤م صـ ٢٦٨

٢ - ابن العديم: بغية الطلب, ج١/ صـ ١٧٦

٣ - زكار(سهيل):تاريخ العرب والإسلام منذ ما قبل المبعث وحتى سقوط بغداد, دار الفكر, دمشق ط٤ ١٩٨٢م صـ ١٨٩

٤ - ابن الأثير(عزالدين أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن أبي عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، حققه واعتنى به د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ٢٠٠٦م ج٢/ صـ ٤٥٩

٥ - ابن العديم: بغية الطلب، ج ١/صـ ٣٧

- ابن شداد(أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م): الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، حققه يحي زكريا عبارة، منشورات وزارة الثقافة, دمشق ١٩٩١م، ج١/ق٢/ صـ ١٩٩- ٢٠٠

اللكام.[١] فيذكره المقدسي بقوله: (أما جبال اللكام فإنها من أعمر جبال الشام وأكبرها وأكثرها ثماراً.)[٢] وسبط أبن الجوزي بقوله: (جبل اللكام هو الفاصل بين الثغرين، يعني الشام والجزيرة، وهو داخل في بلاد الروم، ويقال إنه ينتهي إلى نحو من مائتي فرسخ.)[٣]

وجبال طوروس رغم وعورتها فقد حوت على ممرات عرفت بالدروب، ساعدت كلاً من المسلمين والبيزنطيين على اختراقها، وكان من أهمها ما عرف بالأبواب الكيليكية ودرب الحدث.[٤]

وممر الأبواب الكيليكية مكون من واد عميق وطويل يمتد طوله لأكثر من سبعين ميلاً، ويبدأ من سفح الهضبة الوسطى لآسيا الصغرى جنوبي طوانة، ويمتد إلى حيث تتلاشى سفوح طوروس الجنوبية في سهل كبادوكيا، وفي أقصى الطرف الشمالي للممر قمة منعزلة شديدة الارتفاع، تتحكم في جزء كبير من سهول كبادوكيا الجنوبية وسفوح طوروس الشمالية في الوقت نفسه. وعلى هذه القمة المنيعة بنيت قلعة لؤلؤة التي كانت تشكل مفتاح الممر، وقد تداولتها أيدي المسلمين والبيزنطيين وكان في وسع المسيطر عليها أن يمنع الآخر من اجتياز الممر. ويلتقي الطريق الشمالي المؤدي إلى طوانة والطريق الغربي المؤدي إلى هرقلة قرب هذه القلعة أيضاً. وعلى الجانب الشرقي في أعلى الجبال كانت تتحكم فيه قلعة حصينة تسمى حصن الصقالبة(السلاف)[٥]، ويُعرف الممر المنزلق بطول ثلاثة أميال تقريباً من قمة الهضبة الصغيرة والمعروفة حالياً باسم (تاكير) إلى منفذ صخري بطول مئة ياردة وعرض بضع ياردات فقط، بالأبواب الكيليكية، وهو الاسم الذي أطلق على الممر بأكمله، مما أعطى حصن السلاف بحاميتها الصغيرة أمكانية اعتراض أكبر الجيوش وعرقلة تقدّمها.[٦] ومن هذا الدرب يؤخذ الطريق المتجه إلى القسطنطينية، وهو الطريق الذي سلكته معظم الحملات الإسلامية المتجهة إلى آسيا الصغرى ومنها إلى القسطنطينية.[٧]

أما درب الحدث فقد كان يمتد عبر جبال طوروس، من مرعش إلى عربسوس،[٨] إلا أنَّه لم يكن مطروقاً مثل الأبواب الكيليكية.[٩] وكان يحميه حصن الحدث.[١٠]

١- خفاجي وشرف(عبد المنعم وعبد العزيز):معارك فاصلة في التاريخ الإسلامي,الناشر الدار المصرية اللبنانية. صـ ٤٩

- عثمان:الحدود الإسلامية, ج١صـ ٢٦٢

٢- المقدسي: أحسن التقاسيم صـ ١٨٨- ١٨٩

٣- سبط ابن الجوزي(ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م): مرآة الزمان في تاريخ الأعيان, حققه وقدم له إحسان عباس, دار الشروق, بيروت ط١ ١٩٨٥م, السفر الأول, صـ ٩٢

٤ - عثمان:الحدود الإسلامية, ج١صـ ٢٦٢

٥ - الصقالبة: هي التسمية العربية للشعوب السلافية والتي استوطنت أواسط القارة الأوربية على ضفاف نهر الدانوب.

٦ - عثمان: الحدود الإسلامية, ج١صـ ٢٦٣

٧ - فرج ويوسف: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية صـ ١١٣

٨ - عربسوس: من ثغور الشام داخلة في بلاد الروم. [ابن العديم: بغية الطلب ج١/ صـ ٨٦]

٩ - عثمان:الحدود الإسلامية, ج١صـ ٢٦٣

١٠ - فرج ويوسف: المرجع نفسه صـ ١١٣

وقد أقام الأمويون في المدن الإستراتيجية أو المعرضة للغزو, جنداً مرابطاً, فعرفت تلك الأماكن بالربط,[١] ونال الجند المقيم في تلك الربط عطاءً كبيراً وامتيازات عظيمة بسبب الدور العظيم الذي قاموا به في سبيل حماية دار الإسلام.

كما عمم معاوية نظام الرباط على المدن الساحلية, حيث كان يطلق الرباط على الأماكن التي تتجمع بها الجند استعداداً للقيام بحملة بحرية على أرض العدو, واعتنى معاوية بنظام الرباط أشد الاهتمام.[٢] فامتدت الربط البحرية على طول الساحل الشامي, فعلى سواحل جند حمص: كانت طرطوس, وبانياس, واللاذقية, وجبلة, وسواحل جند دمشق: عرقة, وطرابلس, وجبيل, وبيروت, وصيدا, وسواحل جند الأردن: صور, وعكا, وسواحل جند فلسطين: قيسارية, وأرسوف, ويافا, وعسقلان, وغزة, وغيرها.[٣] إذ لم تكن الجبهة البيزنطية جبهة برية فقط، بل كانت برية بحرية، والبحر يعد حداً فاصلاً بين الدول، ولكنه بطبيعته قد لا يحمي الحدود من الغزو.

وكان الساحل بالنسبة للبيزنطيين حداً تسهل مهاجمته، بينما كان بالنسبة للمسلمين خط دفاع بالغ التعرض للخطر، فعملوا على تلافي نواحي الضعف فيه، وسد ثغراته، بينما اتجه البيزنطيون إلى الانتفاع بما عندهم من مزايا،[٤] لذلك شنوا الهجمات المتكررة على الشواطئ الإسلامية، ومن بحار الجبهة البيزنطية كان المتوسط أهمها، والبحر المتوسط محاط باليابسة لا يرتبط مع المحيط إلا بمضيق، لذا فهو يخلو من آثار العواصف التي تكثر في عرض المحيطات كما يخلو من عنف حركات المد والجزر، ومع كونه داخلي،[٥] إلا أنَّه يعد من أكبر البحار. إذ يقدر طوله بخمسة ألاف ميل وعرضه يتراوح بين ستمئة ميل وثمانمئة ميل،[٦] فكان البحر المتوسط كالخندق الذي يفصل بين عدوين، ورجحت كفة كل فريق حيناً من الدهر, فتوالى على جزرها, الحكم الإسلامي تارة والبيزنطي تارة أخرى.[٧]

ورغم حداثة عهد الأمويين بالبحر فقد استخدموه بكل كفاءة، وإنْ تلقى الأمويون من البحر بعض الضربات الموجعة، فقد صدَّروا عن طريقه حملات عدة كانت أكثر إيلاماً، حققت للمسلمين النجاح الباهر فسيطرت بعضها على أبرز الجزر الواقعة بينهم وبين البيزنطيين ووصلت بعضها الآخر حتى أسوار القسطنطينية. حتّى أنَّ المتوسط أصبح ممراً أكثر أماناً من ممرات جبال طوروس البرية،[٨] حتّى عُرِفَ ببحر العرب بعد أنْ كان بحيرة رومية.

---

١ - الربط: مفردها رباط, وهو المكان الذي يرابط فيها الجنود دفاعاً عن الحدود

٢ - الدقدوقي: الجندية, صـ ٢٠٦

٣ - الدقدوقي: الجندية, صـ ٢٠٨

٤ - عثمان: المرجع نفسه, ج٢ صـ ٣٣٤

٥ - ابن العديم: بغية الطلب ج١/ صـ ١١١

- عثمان: الحدود الإسلامية, ج١صـ٢٦٦

٦ - المسعودي(أبي الحسن علي بن الحسن بن علي ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م): التنبيه والإشراف،www.al-mostafa.com تاريخ الدخول/٢٠١٠/٤/٢٥م. صـ ٣٣

- ابن العديم: بغية الطلب ج١/ صـ ١١٠

٧ - عثمان:الحدود الإسلامية, ج١صـ٢٦٧

٨ - عثمان: المرجع نفسه، ج١صـ ٣٦٧

الفصل الثاني
ـ التعريف بالأمويين والبيزنطيين

أولاً ـ الأمويون

- **خلفاء الفرع السفياني**
- **خلفاء الفرع المرواني**

ثانياً ـ البيزنطيون

الفصل الثاني- التعريف بالأمويين والبيزنطيين

أولاً - الأمويون:

آ- خلفاء الفرع السفياني:

ينتسب الأمويون إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مره بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر وهو قريش بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة واسمه عامر أو عمرو بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.[١] ويلتقي الأمويون في نسبهم مع الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في الجد الرابع (عبد مناف بن قصي بن كلاب).[٢] وقد انتقلت الخلافة الإسلامية إلى الأمويين بعد تنازل الحسن بن علي بن أبي طالب عن الخلافة لـ معاوية بن أبي سفيان في العام الحادي والأربعين من الهجرة النبوية الشريفة,[٣] فعاشت دولتهم قرابة التسعين عاماً(٤٠- ١٣٢هـ/٦٦١- ٧٥٠م)، وقد تعاقب على حكمها أربعة عشر خليفة، ثلاثة من الفرع السفياني واحد عشر من الفرع المرواني. كان أولهم معاوية بن أبي سفيان وآخرهم مروان بن محمد[٤].

معاوية بن أبي سفيان:

هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف,[٥] وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس.[٦]

أسلم معاوية يوم فتح مكة، وقيل بل قبل ذلك في عمرة القضاء،[١] وكان معاوية قد ولد في مكة المكرمة قبل البعثة النبوية الشريفة بعامين[٢] وقيل بل بخمسة أعوام،

١- ابن الكلبي(أبي المنذر هشام بن محمد السائب ت ٢٠٤هـ/٨١٩م): جمهرة النسب, رواية السكري عن ابن حبيب, تحقيق ناجي حسن, عالم الكتب, مكتبة النهضة العربية, بيروت ط١ ١٩٨٦م صـ٤٩

- الزبيري(أبى عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب ت ٢٣٦هـ/٨٥٠م): نسب قريش, عني بنشره لأول مرة وتصحيحه والتعليق عليه ليفي بروفنسال, دار المعارف للطباعة والنشر, ج٣/صـ٩٧ , ج٤/ صـ ١٢١, ١٢٤

٢- العصامي(ت ١٠٩٩هـ/١٦٨٨م):سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي, تاريخ الدخول/٢٠٠٩/٩/١٥م www.al-mostafa.com صـ ٥٧٧

٣- المسعودي: التنبيه والإشراف, صـ ١٥٨

- ابن الأثير: الكامل ج٣/ صـ ٦

- كنعان(محمد بن أحمد):تاريخ الدولة الأموية(خلاصة ابن كثير)،مؤسسة المعارف،بيروت ط١ ١٩٩٧م صـ٥٠

٤- الدقدوقي(وفيق): الجندية في عهد الدولة الأموية، مؤسسة الرسالة، بيروت ط١ ١٩٨٥م صـ٦١-٦٢

٥- ابن الكلبي: جمهرة النسب صـ ١٨- ٢٥, ٤٩

- الزبيري: نسب قريش ج١/ صـ ٣- ٨, ١٠-١٤, ج٤/ صـ ١٢١, ١٢٤.

٦- الطبري(أبي جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ/٩٢٢م): تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابوالفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٣م , ج٥ صـ٣٢٨.

- المسعودي: التنبيه والإشراف, صـ ١٥٩

- ابن كثير(عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت ٧٤٧هـ/١٣٤٦م):البداية والنهاية, خرج أحاديثه أحمد بن شعبان بن أحمد ومحمد بن عبادي بن عبد الحليم, مكتبة الصفا,القاهرة ط ١ ٢٠٠٣م ,ج ٨/ صـ١٨

وعندما أصبح في الثالثة والعشرين، أرسله أبو بكر الصديق رضي الله عنه مع الجيش الذي كان بقيادة أخيه يزيد بن أبي سفيان لفتح بلاد الشام، وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، تولى يزيد دمشق ومعاوية ما وليها من بلاد الشام،[٣] ولما مات يزيد في طاعون عمواس, أضاف عمر إلى معاوية ما كان لأخيه، وأقره عثمان لما تولى الخلافة،[٤] وبقي والياً على الشام حتى مقتل عثمان، فاستغل معاوية بما عرف عنه من دهاء ومكر، و تصيد للفرص.[٥] مصرع عثمان واتخذها ذريعة يخفي وراءها مآربه الحقيقية, ولتحقيقها قاتل صهر النبي صلى الله عليه وسلم وابن عمه علي بن أبي طالب خمس سنوات، وبمقتل الأمام علي،[٦] أزيحت أولى وأكبر العقبات من طريق معاوية، ولم يبق أمامه من عقبة سوى الحسن بن علي بن أبي طالب الذي بايعه أهل العراق خليفة بعد مقتل أبيه، لكن الحسن الذي قدر النتائج خير تقدير آثر حقن الدماء على هلاك المسلمين[٧]، ليتحقق ما أشار إليه جده الكريم عليه الصلاة والسلام حين قال:(إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين.)[٨] فصالح الحسن معاوية متنازلاً له عن الخلافة سنة ٤٠هـ/٦٦١م.[٩] فسميت هذه السنة بعام الجماعة لاجتماع الأمة على خليفة واحد هو

---

١ - ابن الأثير(عزالدين أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن أبي عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م):أسد الغابة في معرفة الصحابة, تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض, الشيخ عادل أحمد عبد الموجود, قدم له وقرظه أ.د.محمد عبد المنعم البري, د.عبد الفتاح أبو سنة, د.جمعة طاهر النجار, دار الكتب العلمية, بيروت ط١ ١٩٩٤م, ج٥/ صـ ٢٠١

- ابن منظور(الإمام محمد بن مكرم ت ٧١١هـ/١٣١١م): مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر, اختصره على نهج ابن منظور وعني بتحقيقه إبراهيم صالح، دار الفكر، دمشق ط١ ١٩٨٩م، ج ٢٤/ صـ ٣٩٩- ٤٠٠

- الغيث(خالد بن محمد): مَرويات خلافة معاوية رضي الله عنه في تاريخ الطبري,دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع, جدة ط١ ٢٠٠٠م. صـ١٨

- أمين(مصطفى): ترجمة أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم المجاهد في سبيل الله, منتدى الأزهريين, تاريخ الدخول إلى الانترنت ٢٠١٠/٣/١م صـ١

٢ - زكار:تاريخ العرب والإسلام صـ ١٢٢

٣- حسن(حسن إبراهيم):تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي، دار الجيل, بيروت, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة ط١٤ ١٩٩٦م صـ ٢٢٧

٤- العصامي: سمط النجوم صـ ٥٧٦

٥- المسعودي: التنبيه والإشراف صـ ١٥٩

٦- ميخائيل الكبير (مار ميخائيل السرياني الكبير ت٥٩٦هـ/١١٩٩م): تاريخ ميخائيل الكبير، عربه عن السريانية مارغريغوريوس صليبا شمعون، أعده وقدم له مارغريغوريوس يوحنا إبراهيم، دار ماردين، حلب ط١ ١٩٩٦م، ج٢/صـ ٣٤٧

- عاقل(نبيه):دراسات في تاريخ العصر الأموي، منشورات جامعة دمشق، دمشق ١٩٩٥م. صـ١٤

٧- ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة, ج٥/ صـ ٢٠٣

- السيوطي(جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الخضري ت ٩١١هـ/١٥٠٥م):تاريخ الخلفاء، تحقيق رحاب خضر عكاوي، تقديم أحمد محمد فارس, مؤسسة عزا لدين للطباعة والنشر، بيروت ط ١ ١٩٩٢م ص ٢٠٤.

- حتي,جرجي,جبرائيل(فيليب,ادوارد,جبور):تاريخ العرب,دار غندور,بيرت١٩٩٠م, صـ٢٥٠.

٨ - البخاري(الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م): الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المشهور بـ صحيح البخاري . Al-mostafa.com تاريخ الدخول/٢٠١٠/٦/٤م. ح١/ صـ ٧٣٠

٩ - اليافعي(أبي محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان, وضع حواشيه خليل المنصور, منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية, بيروت ط١ ١٩٩٧م صـ ٩٦

- المقريزي(تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٥٤هـ/١٤٥٠م): الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك, تحقيق جمال الدين الشيال,مكتبة الثقافة الدينية, القاهرة ط١ ٢٠٠٠م. صـ٥٣

- علي(سيد أمير): مختصر تاريخ العرب, نقله إلى العربية عفيف البعلبكي, دار العلم للملايين بيروت ط٤ ١٩٨١م صـ ٧٨

معاوية بن أبي سفيان.[١] الذي أسس بخلافته عصر دولة جديدة استمرت قرابة قرن من الزمان.[٢] ،

وبعد أن استقرت لمعاوية الخلافة شرع في إكمال بناء وتوسع دولته التي وضع الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام أول لبناتها و ثبت الخلفاء الراشدون أركانها.[٣] واستطاع معاوية أن يقود دولته ببراعة إدارية وحربية يندر توفرها لدى من عاصره من حكام، فأسس جيشا كان الأول في الإسلام من حيث التدريب والتنظيم، فكان عصاه التي يضرب بها العصاة في الداخل وسيفه الذي يحارب به الأعداء في الخارج،[٤] فقاده بكل براعة عسكرية متخذاً كافة الوسائل التي تؤمن له الغلبة على عدوه، وكان معاوية يؤثر الكتمان في إدارة أموره وخاصة الحربية, يؤمن بأن الحرب خدعة.[٥] فكان يقول: (أعنت على علي في أربع خصال: كان رجلاً ظهرةً عُلَنَةً، وكنت كتوماً لأمري، وكان لا يسعى حتى يفاجئه الأمر مفاجأة، وكنت أبادر إلى ذلك، وكان في أخبث جندٍ وأشدهم خلافاً، وكنت في أطوع جند وأقلهم خلافاً، وكنت أحب إلى قريش منه.)[٦]

وإداريا استفاد معاوية من الإرث البيزنطي الكبير الذي خلفوه في بلاد الشام فنظم مؤسسات دولته وفق أفضل النظم الإدارية والمالية المعروفة آنذاك.[٧] وشعبياً عمل معاوية جاهداً على إزالة أسباب التناحر بين عرب الشمال والجنوب(القيسية واليمنية)،[٨] وبما أنه كان قيسياً فقد تزوج من ميسون بنت بحدل الكلبي أحد أكبر زعماء قبائل اليمن.[٩] فكان مثلا للقائد الناجح عسكريا وسياسياً وإداريا.

وبعد حياة مليئة بالعمل انتقل معاوية إلى الرفيق الأعلى، بعد أنْ انتزع من المسلمين البيعة لابنه يزيد، رغم معارضة أبناء الصحابة عبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن الزبير، والحسين بن علي وعبد الله بن عمر.[١٠] ويجمع معظم المؤرخين

١- ابن تغري بردي(جمال الدين أبي المحاسن يوسف الاتابكي ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة, قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين, دار الكتب العلمية, بيروت ط١ ١٩٩٢م, ج١/ صـ ١٥٧

- ابن حجر الهيثمي(شهاب الدين أحمد):الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة, www.al-mostafa.com تاريخ الدخول/٢٠١٠/٦/٢م. صـ١٣٤, ١٣٥

٢- زكار:تاريخ العرب والإسلام صـ ١٢٣

٣- عاقل: دراسات في تاريخ العصر الأموي, صـ٤٣

٤- حتي,وآخرون: تاريخ العرب,صـ٢٥٥

- أمين: ترجمة أمير المؤمنين معاوية, صـ ١

٥- خطاب(محمود شيت): قادة فتح الشام ومصر, دار الفتح, بيروت ط١ ١٩٦٥م, صـ ١٩٣

٦- البيهقي (إبراهيم بن محمد ت ٣٢٠هـ/٩٣٢م): المحاسن والمساوئ, اعتنى به عبد الرزاق أسبر, دار ابن حزم, بيروت ط١ ٢٠٠٥م, صـ ٤١٩

٧- القلقشندى(أبي العباس أحمد بن علي ت ٨٢١هـ/١٤١٨م): مآثر الإنافة في معالم الخلافة, تحقيق عبد الستار أحمد فراج, وزارة الإرشاد والإنباء في الكويت, الكويت ١٩٦٤م, ج١/ صـ ١١١

- حتي وآخرون: تاريخ العرب,صـ٢٥٥

٨- أبو زيد(علاء عبد العزيز):الدولة الأموية٠٠دولة الفتوحات(٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م),المعهد العالي للفكر الإسلامي,القاهرة ط١ ١٩٩٦م -www.al-mostafa.com تاريخ الدخول/٢٠١٠/٣/٢٧م.صـ ١٥

٩- أبن الأثير: الكامل ج٣/ صـ ١٢٤

١٠- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي صـ ٣٠٥

- الطبري:تاريخ الرسل والملوك،ج٥ صـ٣٢٢

على أن معاوية توفي لأربع أو ثمان بقين من رجب سنة ٦٠هـ/٦٨٠م،[١] وكان له من العمر ثمانون عاماً[٢] أمضى نصفه تقريباً في الحكم إذ بقي والياً على الشام لـ عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان عشرين عاماً وخليفة على المسلمين عشرين عاماً،[٣] أو تسعة عشر عاماً وثلاثة أشهر وبضعة أيام[٤] أو إلا بضعة أيام[٥]. وتولى بعده

يزيد بن معاوية

ابن أبي سفيان بن حرب بن أمية،[٦] وأمه ميسون بنت بحدل بن أنيف بن دلجة بن قنام بن عدي بن زهير،[٧] ولد سنة خمس وعشرين أو ست وعشرين للهجرة النبوية الشريفة.[٨]

- ابن الوردي(زين الدين عمر ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م): تتمة المختصر في أخبار البشر(تاريخ ابن الوردي), تحقيق أحمد رفعت البدراوي, دار المعرفة, بيروت ط١ ١٩٧٠م, ج١/ صـ ٢٥٦

- العصامي: سمط النجوم العوالي صـ ٦٠٠

- أبو الفداء(عماد الدين إسماعيل صاحب حماه): كتاب المختصر في أخبار البشر, دار الكتاب اللبناني, بيروت م١/ صـ ١٠١

- حسن:تاريخ الإسلام السياسي صـ٢٣٢

١- ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق ج ٢٤/ صـ ٤٠٠- ٤٠١

- ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر ج١/ صـ ٢٥٧

- مغلطاي(علاء الدين مغلطاي بن قلنج بن عبد الله البكرجي ت ٧٦٣هـ/١٣٦١م):مختصر تاريخ الخلفاء,دراسة وتحقيق آسيا كليبان علي البارح,دار الفجر, القاهرة ط١ ٢٠٠١م . صـ ٨٩

- ابن العماد(شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م):شذرات الذهب في أخبار من ذهب,إشرف على تحقيقه واخرج أحاديثه عبد القادر الارناؤوط ,حققه وعلق عليه محمود الارناؤوط ,دار ابن كثير,دمشق ط١ ١٩٨٦م, م١ / صـ ٢٧٠.

- علي: مختصر تاريخ العرب صـ ٨٨

- المنجد(صلاح الدين): معجم بني أمية, دار الكتاب الجديد, بيروت ط١ ١٩٧٠م صـ ١٦٨

٢- المسعودي: التنبيه والإشراف صـ١٥٩

- المنجد: معجم بني أمية صـ ١٦٨

٣- اليافعي: مرآة الجنان صـ ١٠٦

٤- ابن عبد ربه (أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م):العقد الفريد, شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الابياري, منشورات دار الكتاب العربي,بيروت ١٩٨٢م ,ج٤ صـ ٣٦٢

- ابن الأثير: الكامل, ج٣/ صـ١٢٠.

- أبو الفداء: كتاب المختصر في أخبار البشر م١/ صـ ١٠٢

- ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر ج١/ صـ ٢٥٧

- القلقشندى: مآثر الإنافة, ج١/ صـ ١١١

- ابن العماد: شذرات الذهب م١/ صـ ٢٧٠

٥- المقريزي(تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٥٤هـ/١٤٥٠م): كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك, قام بنشره محمد مصطفى زيادة, لجنة التأليف والترجمة والنشر, ط٢, ج١/ ق١/ صـ ٣٣

٦- الزبيري: نسب قريش ج٤/ صـ ١٢١, ١٢٤, ١٢٧

- الذهبي(شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م): تاريخ الإسلام, حوادث ووفيات (٦١-٨٠هـ) تحقيق عمر عبد السلام تدمري, دار الكتاب العربي, بيروت ط١ ١٩٩٠م, صـ ٢٦٩

٧- ابن عساكر(أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي): تاريخ مدينة دمشق, دراسة وتحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي, دار الفكر، بيروت ط١ ١٩٩٨م , ج٦٥ صـ٣٩٥.

٨- المنجد: معجم بني أمية صـ ٢٠٣

أكره معاوية المسلمين على مبايعة يزيد قبيل وفاته، فبايع المسلمون إلا أربعة من أبناء الصحابة كما مر سالفاً، وكان معاوية يخشاهم كثيراً على ملك ابنه, فحذره في وصيته مبيناً مكامن الضعف والقوة فيهم:(وإني لا أتخوف أن ينازعك هذا الأمر إلا أربعة نفر من قريش الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، و عبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكرٌ، فأمّا عبد الله بن عمر فرجل قد وقذته العبادة،وإذا لم يبق أحد غيره بايعك، والحسين بن علي فإن أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه، فإن خرج عليك وظفرت به فأصفح عنه فإنّ له رحماً ماسة وحقا عظيما، وأمّا ابن أبي بكر فرجل إن رأى أصحابه صنعوا شيئا صنع مثلهم، وأمّا الذي يجثم جثوم الأسد،ويراوغك مراوغة الثعلب، فإذا أمكنته فرصة وثب، فذاك ابن الزبير، فإنْ هو فعلها بك فقدرت عليه فقطِّعه إربا إربا.)[١]

وما أن تولى يزيد الخلافة بعد وفاة أبيه حتى أرسل إلى واليه على المدينة المنورة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان[٢] طالبا منه الإسراع والتشدد في أخذ البيعة من الأربعة المذكورين سالفاً، وخاصة الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير، فطلبهما الوليد وطالبهما بالبيعة، فاستمهلوا ليبايعا على عيون الناس جميعاً، وحين أمهلهم الوليد غادرا المدينة من ساعتهما دون بيعة.[٣] فوقع ما كان يخشاه معاوية، فالحسين بن علي وجد الفرصة أصبحت مواتية وكفة كل الموازين تميل إليه، خاصة بعد وفاة أخيه الأكبر الحسن بن علي الأحق منه بالخلافة، ووفاة معاوية بن أبي سفيان الذي كان يدين له بالبيعة،[٤] إضافة إلى دعوات أهل العراق وتشجيع ابن الزبير له بالخروج إليهم.[٥]

فخرج الحسين ليلقى مصيرا مأساوياً،[٦] إذ قتل يوم عاشوراء سنة ٦١هـ/٦٨١م وهو ابن ست وخمسين أو ثمان وخمسين سنة.[١] لتخلوا الساحة لابن الزبير الذي

١- الطبري:تاريخ الرسل والملوك، ج٥/صـ٣٢٢-٣٢٣

- ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج٣, صـ ١٢٠

- ابن الطقطقي(محمد بن علي بن طباطبا ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م): الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية, دار صادر, بيروت. صـ ١١٢

- ابن كثير:البداية والنهاية,ج ٨ صـ ١٠٠

- العصامي:سمط النجوم العوالي صـ ٦٠٠

٢- يذكر ابن قتيبة الدينوري ان والي المدينة انذاك كان خالد بن الحكم

٣- ابن قتيبة الدينوري(ابي محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م): الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء, تحقيق علي شيري, انتشارات الشريف الرضي, قم, إيران ط١ ١٣٧١- ١٤١٣هـ ج١/ صـ ٢٢٥- ٢٢٧

- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي صـ ٣١٣

- البيهقي: المحاسن والمساوئ, صـ ٧٤-٧٥

- ابن العبري(غريغوريوس الملطي ت ٦٨٥هـ/١٣٠٩م): تاريخ مختصر الدول, دار الأفاق العربية, القاهرة ط١ ٢٠٠١م صـ ١١٠

- أبو الفداء: كتاب المختصر في أخبار البشر م١/ صـ ١٠٣

- ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر ج١/ صـ ٢٥٨

- اليافعي: مرآة الجنان صـ ١٠٧

- كنعان:تاريخ الدولة الأموية,صـ٥٠٣

- علي(أحمد إسماعيل):تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل الميلاد حتى نهاية العصر الأموي, دار دمشق للطباعة والنشر, دمشق ط١ ١٩٨٤م صـ ١٧٨

٤- ابن كثير:البداية والنهاية,ج ٨/ صـ١٣٧--١٣٨

٥- ابن كثير:البداية والنهاية,ج ٨/ صـ١٣٧--١٣٨

- علي: مختصر تاريخ العرب صـ صـ ٩٠

٦- ابن أعثم (أحمد بن أعثم الكوفي ت ٣١٤هـ/٩٢٦م): الفتوح, تحقيق سهيل زكار, دار الفكر, بيروت ط١ ١٩٩٢م, ج٢/صـ ١٧٢

كان ينتظر هذه الفرصة على أحرمن الجمر, فدانت له الحجاز وتهامة، مما دفع يزيد إلى إرسال جيش للقضاء عليه والانتقام من أهل المدينة الذين خلعوه وأخرجوا أعمامه من بني أمية من دارهم، فأرسل جيشاً بقيادة مسلم بن عقبة المزني الذي قاتل أهل المدينة في الحرة فقتل منهم الكثير، واستباح مدينة رسول الله ثلاثة أيام, توجه بعدها إلى مكة المكرمة حيث ابن الزبير لكنه توفي في الطريق فعهد بالقيادة إلى الحصين بن نمير الذي حاصر ابن الزبير في مكة المكرمة، حتى اضطر إلى رفعه بعد وصول نبأ وفاة يزيد.[٢] وكان يزيد و إنْ عُرِفَ عنه الكرم والفصاحة والشعر إلا أنَّه كان أيضاً مستهتراً بأمور الدين محباً للهو والمجون.[٣] و كان حكمه القصير مليئا بالصراعات والنكبات، حيث بدأه بفاجعة كربلاء وأنهاه بحريق الكعبة المشرفة مرورا بإباحة المدينة المنورة.[٤] توفي يزيد بحُوَّارين،[٥] لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة أربع وستين وهو ابن ثمان وثلاثين سنة.[٦] بعد حكم دام ما

- حتي, وآخرون:تاريخ العرب, صـ٢٥٠

- بروكلمان(كارل): تاريخ الشعوب الإسلامية, نقله إلى العربية: نبيه فارس ومنير البعلبكي, دار العلم للملايين ط١١ ١٩٨٨م. صـ ١٢٨

١- ابن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة, ج١/صـ ٢٣٠-٢٣٧, ج٢/صـ ١٦-١٧

- ابن أعثم: الفتوح ج٢/ صـ ٢١١, ٢١٧

- ابن الجوزي(عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ت ٥٩٧هـ/١١٩٩م): صفة الصفوة, تحقيق أحمد بن علي, دار الحديث, القاهرة ٢٠٠٠م ج١/ صـ ٣٠١

- ابن الأثير: أسد الغابة, ج ٣/ صـ ٢٤٢

- اليافعي: مرآة الجنان صـ ١١١- ١١٢

- ابن حجر(أحمد بن حجر شهاب الدين العسقلاني ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م):تهذيب التهذيب, باعتناء إبراهيم الزيبق وعادل مرشد, مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة, مؤسسة الرسالة,دمشق ٢٠٠٨م ,ج٤/صـ٤٢٩

٢- حتي, وآخرون:تاريخ العرب,صـ٢٥٠

- بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية, صـ ١٢٨

- علي:تاريخ بلاد الشام صـ ١٧٩- ١٨٠

٣- ابن منظور(الإمام محمد بن مكرم ت ٧١١هـ/١٣١١م): مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر, اختصرته على نهج ابن منظور سكينة الشهابي. دار الفكر, دمشق ط١ ١٩٨٩م, ج٢٨/ صـ ٢٧

٤- المسعودي(أبي الحسن علي بن الحسن بن علي ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م): مروج الذهب ومعادن الجوهر ،شرحه وقدم له د.مفيد قميحة,منشورات محمد علي بيصون دار الكتب العلمية, بيروت ط٢ ٢٠٠٤م , م٣/صـ٨٧

- ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية صـ ١١٣

- مغلطاي:مختصر تاريخ الخلفاء صـ ٩٠-٩١

- العصامي:سمط النجوم العوالي صـ ٦٣٠

- ابن حجر الهيثمي:الصواعق المحرقة صـ ١٣٦

- حسن:تاريخ الإسلام السياسي صـ٢٣٤-٢٣٥

٥- حُوَّارين قرية من قرى حلب؛ حُوَّارين حصن من ناحية حمص.[الحموي(ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان, دار صادر, بيروت ط٣ ٢٠٠٧م, م٢/ صـ ١٢٣ م٢/ صـ ٣١٥]

٦- الطبري:تاريخ الرسل والملوك، ج٥, ص ٤٩٩.

- ابن العمراني(محمد بن علي بن محمد ت ٥٨٠هـ/١١٨٤م): الأنباء في تاريخ الخلفاء, تحقيق وتقديم الدكتور قاسم السامرائي, دار الآفاق العربية, القاهرة ط١ ١٩٩٩م, www.al-mostafa.com تاريخ الدخول/٢٥/٤/٢٠١٠م. صـ ٤٩.

- ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق, ج ٢٨/ صـ ٢٩

- أبو الفداء: كتاب المختصر في أخبار البشر م١/ صـ ١٠٨

- ابن كثير:البداية والنهاية,ج ٨صـ٢٠٠

- القلقشندى(أبي العباس أحمد بن علي ت ٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا, وزارة الثقافة والرشاد القومي ,المؤسسة المصرية العامة, للتأليف والترجمة والطباعة و النشر, القاهرة , ج٣/صـ٢٥٢

يقارب ثلاث سنوات وستة أشهر وقيل ثمانية أشهر[١]، وقيل بل تسعة أشهر[٢].حيث تولى بعده

٣- معاوية الثاني

وهو معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية،[٣] أبو يزيد وكذلك أبو ليلى. أمه أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة. [٤]

بويع بالخلافة بعهد من أبيه في شهر ربيع الأول سنة ٦٤هـ/٦٨٣م،[٥] إلا أنَّ حكمه لم يدم طويلاً، إذ سرعان ما خلع نفسه واعتزل الناس بعد عشرين أو أربعين يوماً، وقيل ثلاثة أشهر.[٦] وتجمع معظم المصادر على أنّ ضعف معاوية الثاني كان أهم أسباب اعتزاله، إلا أنَّ القرماني يؤكد على أنه كان شاباً صالحاً ذا عقل ودين، وكان زاهداً في الدنيا، راغباً في الآخرة.[٧] وهذا ما يظهر جلياً في خطبته الأخيرة التي ألقاها قبيل اعتزاله والتي تظهره رجلا متدينا يتبرأ من أعمال أبيه و جده، رجل يخشى حدود الله و يعف عن ارتكاب المعاصي فيقول:(يا أيها الناس! إنّ جدي معاوية نازع الأمر أهله. ومن هو أحق منه لقرابته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو علي بن أبي طالب وركب بكم ما تعلمون حتى أتته منيته، فصار في قبره رهيناً بذنوبه وأسيراً بخطاياه. ثم قلد أبي الأمر فكان غير أهل لذلك، وركب هواه وأخلفه الأمل وقصر عنه الأجل، وصار في قبره رهيناً بذنوبه وأسيرا بجرمه.)[٨].

ولما حضرت معاوية بن يزيد الوفاة قيل له: أعهدْ. فقال: (لا أتزود مرارتها واترك لبني أمية حلاوتها[٩].....وما أنا بالمتقلّد ولا بالمحتمل تبعاتكم، فشأنكم و أمركم والله لئن كانت الدنيا خيراً فلقد نلنا منها حظاً، ولئن كانت شراً فكفى ذرية أبى سفيان ما أصابوا منها، وشاوروا في خلافتكم رحمكم الله.)[١٠] ولم يخرج من داره بعد اعتزاله إلا إلى مثواه الأخير وذلك بعد حوالي أربعين يوما في قول، وسبعين يوما في

١- اليافعي: مرآة الجنان صـ ١١٢

- المقريزي: كتاب السلوك ج١/ ق١ / صـ ٣٣

- ابن العماد: شذرات الذهب م١/ صـ ٢٨٦- ٢٨٧

٢ - المنجد: معجم بني أمية صـ ٢٠٩

٣ - الزبيري: نسب قريش ج٤/ صـ ١٢١, ١٢٤, ١٢٧, ١٢٨

٤- الذهبي: تاريخ الإسلام, حوادث ووفيات (٦١-٨٠هـ) تحقيق عمر عبد السلام تدمري, دار الكتاب العربي, بيروت ط١ ١٩٩٠م صـ٢٥٠

٥ - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة,ج١/ صـ ٢١٣

٦- القلقشندى: مآثر الإنافة ج١/ صـ ١٢٢

- السيوطي:تاريخ الخلفاء، ص ٢١٩.

٧- القرماني(أحمد بن يوسف ت ١٠١٩هـ/١٦١٠م): أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ, دراسة وتحقيق أحمد حطيط وفهمي سعد, دار عالم الكتب, بيروت ط١ ١٩٩٢م, م٢/ صـ ١٥

٨- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة, ج١/صـ ٢١٣

٩- ابن منظور(الإمام محمد بن مكرم ت ٧١١هـ/١٣١١م): مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر, تحقيق مأمون الصاغرجى, دار الفكر, دمشق ط١ ١٩٨٩م , ج٢٥/ صـ ١١٠

١٠- حسن: تاريخ الإسلام السياسي صـ٢٣٦

قول آخر وله من العمر عشرين أو إحدى وعشرين سنة.[١] فمات مسموماً أو مطعونا كما يقال.[٢]

وفي أيامه خرج عبد الله بن الزبير يدعو الناس إلى بيعته كـ (أمير للمؤمنين) لا(عائذ بالبيت) كما كان يسمي نفسه أيام يزيد بن معاوية[٣] وبذلك انقسمت الخلافة الإسلامية إلى خلافتين،أموية في دمشق وزبيرية في الحجاز.

وبوفاة معاوية الثاني انتهى حكم الفرع السفياني من الأسرة الأموية وانتقل إلى الفرع المرواني الذي حكم حتى نهاية عصر الدولة الأموية.

خلفاء الفرع المرواني:

١- مروان بن الحكم:

ابن أبي العاص بن أمية- جد الأمويين بفرعيهم السفياني والمرواني- بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مره بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر وهو قريش بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة واسمه عامر بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان،[٤] وأمه أمنة بنت علقمة بن صفوان بن مالك بن كنانة بن خزيمة.[٥]

ولد على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، في السنة الثانية للهجرة وقيل ولد يوم أُحد أو يوم الخندق، لم ير النبي صلوات الله عليه لأنه خرج إلى الطائف وهو طفل صغير مع أباه الحكم الذي نفاه النبي.[٦] تولى مروان ولاية البحرين كما تولى المدينة مرتين في عهد معاوية الأول، وبقي في المدينة حتى نفاه ابن الزبير إلى الشام مع غيره من بني أمية.[٧] فوصل مروان إلى دمشق والخلافة الأموية تكاد أن تلفظ أنفاسها الأخيرة. فمعاوية الثاني مات دون أن يترك خليفة، وأهل الشام منقسمين إلى قسمين، قسم يميل إلى بني أمية وعلى رأسهم خال يزيد بن معاوية, حسان بن مالك بن بحدل في الأردن, الذي كان يرى أن الخلافة يجب ألاَّ تخرج من أبناء يزيد. وقسم ثان يقودهم الضحاك بن قيس الذي بايعه أهل دمشق أميراً حتى ينتخب المسلمون

١- ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج٣, صـ٢٢٦

- الذهبي:تاريخ الإسلام , حوادث ووفيات (٦١-٨٠هـ), صـ٢٥١

- السيوطي:تاريخ الخلفاء، ص ٢١٩.

٢- ابن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة, ج٢/صـ ١٨

- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٥, صـ٥٣١

- ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج٣, صـ ٢٢٦

- الحسيني(محمد):مقاتل الأمويين, راجعه عبد الزهراء الحسيني الخطيب, مؤسسة البلاغ, بيروت ط١ ١٩٩٠م صـ ١٦٤

٣- الخربوطلي(علي حسني): الدولة العربية الإسلامية,دار إحياء الكتب العربية, القاهرة ١٩٦٠م , صـ٢١١

٤ - الزبيري: نسب قريش ج٤/ صـ ٣- ٨, ١٠-١٤, ج٥/ ١٥٩

٥- البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر): انساب الأشراف، تحقيق وفهرسة محمود الفردوس العظم،دار اليقظة العربية، دمشق ١٩٩٩م, ج٥/ صـ٢٨٤.

٦ - ابن الأثير:أسد الغابة ج٥/ صـ ١٣٩

٧- البلاذري: انساب الأشراف،ج٥ / صـ ٢٨٦

خليفتهم، وهؤلاء يميلون إلى ابن الزبير، الذي بايعته مصر، والعراق، وفلسطين، وحمص، والجزيرة وغيرها من الولايات.[١]

أمام هذا الوضع المتأزم كان مروان بن الحكم يهم بالسير إلى ابن الزبير لمبايعته بالخلافة، لولا تدخل عبيد الله بن زياد عامل الأمويين على العراق الذي أقنع مروان بأنه أحق الناس وأنسبهم للخلافة.[٢] وكان على مروان ان يقنع الجميع بهذه الفكرة حتى يتسنى له تولي الخلافة، لذلك اتفق أصحابه مع أولئك الذين يقودهم الضحاك بن قيس على عقد مؤتمر في الجابية[٣] لانتخاب خليفة من بني أمية، إلا أنّ الضحاك وبتأثير من قومه بدّل رأيه في اللحظة الأخيرة وتوجه إلى مرج راهط[٤] بدلا من الجابية التي اجتمع فيها الأمويون وكل من كان يميل ميلهم بقيادة حسان بن مالك بن بحدل،[٥] فاتفق المجتمعون في الجابية على أن تكون الخلافة لمروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، ثم لخالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية من بعده ، ومن ثم لعمرو بن سعيد بن العاص بن أمية الملقب بالأشدق من بعدهما.[٦] فبويع مروان في الثالث من شهر ذي العقدة، سنة ٦٤هـ/٦٨٣م،[٧] وبمبايعته أسس مروان حكم الفرع المرواني من الأسرة الأموية.

وبعد الانتهاء من المؤتمر توجه الجميع إلى مرج راهط بقيادة مروان بن الحكم لتدور رحى المعركة الفاصلة التي انتهت بمقتل الضحاك بن قيس وعدد كبير من أصحابه[٨].

١- الطبري:تاريخ الرسل والملوك، ج٥/ صـ٥٣٠- ٥٣١

٢- المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر,م٣ /صـ١٠٣

- المقريزي(تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٥٤هـ/١٤٥٠م):النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم, حققه وعلق حواشيه د.حسين مؤنس, دار المعارف, القاهرة . صـ ٤٧

- العصامي:سمط النجوم العوالي صـ ٦٣٤

- الخربوطلي: الدولة العربية الإسلامية, صـ ٢١٣

- خماش(نجدة): الشام في صدر الإسلام, دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر, دمشق ط١ ١٩٨٧م صـ ١٥٩

- علي: مختصر تاريخ العرب صـ ٩٧

٣- الجابية: قرية من أعمال دمشق [الحموي: معجم البلدان م٢/ صـ ٩١]

٤ - مرج راهط: بنواحي دمشق [الحموي: معجم البلدان م٥/ صـ١٠١]

٥- العصامي:سمط النجوم العوالي صـ ٦٣٤

٦- ابن الكلبي: جمهرة النسب صـ ٣٧, ٣٩, ٤٥, ٤٩- ٥١

- المسعودي: التنبيه والإشراف صـ ١٦٢

- العصامي:سمط النجوم العوالي صـ ٦٣٤

- الخربوطلي: الدولة العربية الإسلامية, صـ ٢١٤

- عاقل:دراسات في تاريخ العصر الأموي, صـ ٧٦- ٧٧

- علي:تاريخ بلاد الشام صـ ١٨٥

٧- ابن العمراني: الأنباء في تاريخ الخلفاء صـ ٤٩

٨- المسعودي: التنبيه والإشراف صـ ١٦٣

- ابن الأثير: أسد الغابة ج٣/ صـ٥٠

- ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج٣/ صـ ٢٤١

- ابن العديم (كمال الدّين عمر بن أحمد بن ابي جرادة ت ٦٦٠هـ/١٢٦١م): زبدة الحلب من تاريخ حلب، حققه وقدم له الدكتور سهيل زكار، دار الكتاب العربي, دمشق والقاهرة ط١ ١٩٩٧م. ج١/ صـ ٥٧

- أبو الفداء: كتاب المختصر في أخبار البشر م١/ صـ ١١٠

- ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر ج١/ صـ ٢٦٤

وبعد تربعه على عرش ابن سفيان تزوج مروان من امرأة يزيد ، وأم خالد خليفته في الحكم،[١] فقتل على يدها خنقا بوسادة[٢] وقيل بل سمته ثم قامت إليه مع جواريها فغمته[٣]، وذلك لما بدر من مروان من تحقير بحقها وحق ولدها خالد،[٤] أما بروكلمان فيذكر أنَّ مروان بن الحكم لم يتوف إلا بالطاعون، وما قصة خنقه إلا ضرب من خيال الرواة.[٥] وكانت وفاته في الثالث من شهر رمضان سنة ٦٥هـ/٦٨٥م[٦] وله من العمر ثلاث أو أربع وستون عاماً وحكم دام حوالي تسعة أشهر وعشرة أيام[٧]وقيل عشرة أشهر.[٨] وكان مروان قبيل وفاته قد دفع الناس إلى مبايعة أبنيه عبد الملك ومن بعده عبد العزيز، مخالفاً بذلك مقررات مؤتمر الجابية.[٩]

٢-عبد الملك بن مروان :

ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية،[١٠] وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية.[١١] ولد في رمضان سنة٢٣هـ/٦٤٣م أو ٢٤هـ/٦٤٤م، وكان أول

- علي: مختصر تاريخ العرب صـ ٩٧- ٩٨

١ - ابن الأثير: المصدر نفسه ج٥/ صـ ١٤٠

٢- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي صـ ٣٢٣

- أبو الفداء: كتاب المختصر في أخبار البشر م١/ صـ ١١١

- ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر ج١/ صـ ٢٦٤

- القرماني: أخبار الدول, م٢/صـ ١٩

- العصامي:سمط النجوم العوالي صـ ٦٤٠

- الحسيني:مقاتل الأمويين, صـ ١٩٧

- كنعان:تاريخ الدولة الأموية,صـ ٥٠٦

٣- ابن قدامه (أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي): التبيين في انساب القرشيين, حققه وعلق عليه محمد نايف الدليمي, عالم الكتب, مكتبة النهضة العربية, بيروت ط٢ ١٩٨٢م صـ ١٨٤

٤- ابن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة, ج٢/صـ ٢٣

- ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية صـ ١١٩

- المقريزي:النزاع والتخاصم. صـ ٤٨

٥- بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية, صـ١٣١

٦- المسعودي: التنبيه والإشراف صـ ١٦٥

- أبو الفداء: كتاب المختصر في أخبار البشر م١/ صـ ١١١

- ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر ج١/ صـ ٣٦٤

٧- ابن قدامه: التبيين في انساب القرشيين, صـ ١٨٤

٨- المقريزي: كتاب السلوك ج١/ ق١/ صـ ٣٣

- العصامي:سمط النجوم العوالي صـ ٦٤٠

٩- البلاذري :انساب الأشراف،ج٦ /صـ٣٠٩

- حسن:تاريخ الإسلام السياسي صـ ٣٣٨

١٠- الزبيري: نسب قريش صـ ج٥/ ١٥٩- ١٦٠

- البلاذري :انساب الأشراف،ج٦ /صـ ٣٠٠

- الذهبي:تاريخ الإسلام , حوادث ووفيات (٨١- ١٠٠هـ), صـ ١٣٥

١١- البلاذري :انساب الأشراف،ج٦ /صـ ٣٠٠

- المسعودي: التنبيه والإشراف صـ ١٦٥

- ابن كثير:البداية والنهاية,ج ٩صـ٥٢

من تسمى بـ عبد الملك في الإسلام ،[١] بويع بعد وفاة أبيه في رمضان سنة ٦٥هـ/٦٨٣م،[٢] أي قبل عامين من تولي جستنيان الثاني عرش القسطنطينية.[٣] وهو خامس الخلفاء الأمويين ومؤسسها الثاني بعد معاوية بن أبي سفيان، وإذا كانت الدولة قد ولدت من جديد على يد مروان بن الحكم، فـ عبد الملك هو من ثبت أركانها، بعد أنْ واجه بكل حزم المشاكل الخطيرة التي اعترضت سبيله منذ الساعة الأولى من حكمه، فالدولة آنذاك كانت تتعرض لمجموعة من التحديات، ففي الوقت الذي كانت فيه معظم الولايات تدين بالولاء لابن الزبير, استمر زفر بن الحارث في تمرده على السلطة المركزية في دمشق, والبيزنطيون ينتظرون الفرصة المناسبة للانقضاض على الدولة من الشمال،[٤] هذا بالإضافة إلى ظهور المختار في العراق وخروج عمرو بن سعيد بن العاص(الأشدق) واعتصامه في دمشق،[٥] فتعامل عبد الملك مع هذه الشدائد ببراعة دلت بوضوح على رجل حازم، صلب الإرادة، يجمع بين القوة والدهاء، فتخلص من خصومه الواحد تلو الآخر. فمصعب بن الزبير خلصه من المختار سنة ٦٧هـ/٦٨٦م، بينما تولى عبد الملك بنفسه مهمة التخلص من الأشدق سنة ٦٩هـ/٦٨٨م أو٧٠هـ/٦٨٩م،[٦] ومن مصعب بن الزبير من بعده سنة ٧٢هـ/٦٩١م،[٧] تاركا للحجاج مهمة القضاء على عبد الله بن الزبير والذي أتمها

١- الذهبي:تاريخ الإسلام , حوادث ووفيات (٨١- ١٠٠هـ), صـ ١٢٧

- الريس(ضياء الدين):عبد الملك بن مروان موحد الدولة العربية, وزارة الثقافة والإرشاد القومي, المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر, القاهرة ١٩٦٢م , صـ ٩٤

- المنجد: معجم بني أمية صـ ١١٢- ١١٣

٢- البلاذري :انساب الأشراف،ج٦ /صـ٣٠٠

- ابن عبد ربه: العقد الفريد,ج٤/ صـ٣٩٩

- القلقشندى: مآثر الإنافة ج١/صـ ١٢٧

- المقريزي: الذهب المسبوك صـ ٥٦

- علي:تاريخ بلاد الشام صـ ١٨٦

٣- رستم (أسد): الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب, دار المكشوف، بيروت ط١ ١٩٥٥م. ج١/ صـ ٢٦٤

- الشيخ (محمد محمد مرسي): تاريخ الإمبراطورية البيزنطية,دار المعرفة الجامعية, الإسكندرية ١٩٩٤م. صـ ١٠٢- ١٠٣

- عمران(محمود سعيد): معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية,دار المعرفة الجامعية, الإسكندرية. صـ ٨٢

٤- بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية, صـ ١٣١- ١٣٢

٥- ابن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة, ج٢/صـ ٣١-٣٥

- اليافعي: مرآة الجنان صـ ١١٦

- خماش: الشام في صدر الإسلام صـ ١٦٤

- علي:تاريخ بلاد الشام صـ ١٨٦- ١٨٧

٦- المسعودي: التنبيه والإشراف صـ ١٦٦

- اليافعي: مرآة الجنان صـ ١١٦

- ابن العماد: شذرات الذهب م١/ صـ ٣٠٠

- العصامي:سمط النجوم العوالي صـ ٦٤٨- ٦٤٩

- خماش: الشام في صدر الإسلام صـ ١٦٤

٧- المسعودي: التنبيه والإشراف صـ ١٦٦

- ابن الجوزي: صفة الصفوة ج١/ صـ ٣٠٥

- أبو الفداء: كتاب المختصر في أخبار البشر م١/ صـ ١١٣

- ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر ج١/ صـ ٢٦٧

- علي: مختصر تاريخ العرب صـ ١٠٠

سنة ٧٣هـ/٦٩٢م[١] بعد أنْ حاصره ستة أشهر وسبع عشرة ليلة فقتله يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من جمادى الأولى.[٢] وبمقتل ابن الزبير توحدت الخلافة الإسلامية من جديد في يد عبد الملك بن مروان.[٣] وعادت راية الأمويين تخفق من جديد في كل ركن من أركان دولة الإسلام بعد أن نافستها رايات ابن الزبير وكادت أن تقضي عليها.

وما إن انتهى عبد الملك من خصومه في الداخل حتى وجه كل اهتمامه إلى أعدائه في الخارج وكما انتصر في الداخل انتصر في الخارج أيضا،[٤] كما أنّ اهتمام عبد الملك بالتخلص من خصومه لم يشغله عن الاهتمام بأمور الدولة الأخرى، بل إنّ عبد الملك كلّل عهده بأعمال إدارية هامة جداً مثل تعريب الدواوين والنقود وغيرها.[٥]

وحاول عبد الملك قبل وفاته مخالفة وصية والده، فيخلع أخاه عبد العزيز، ويبايع لولديه الوليد وسليمان، لكنه تراجع تمثلا لنصيحة أصحابه، إلا أن عبد العزيز توفي بعد ذلك بمدة وجيزة، فتحقق لعبد الملك ما أراد دون مخالفة وصية أبيه فبايع لابنه الوليد ومن بعده سليمان،[٦] ويذكر أن عبد الملك بن مروان قال: (ولدت في شهر رمضان، وفطمت فيه، وبلغت الحلم فيه، ووليت الخلافة فيه، وختمت القرآن فيه وأظن موتي فيه.) إلا أنه لم يدرك رمضان وتوفي في شوال[٧] سنة ٨٦هـ/ ٧٠٥م، بعد أن حكم الدولة الأموية ما يقارب الواحد والعشرين عاما،[٨] وله من العمر ثلاث وستون سنة في رواية وستون في رواية أخرى، فيما قال البعض الآخر أن عمره كان ثمانية وخمسين عاما.[٩] ويقال: إنَّ عبد الملك كان أشدهم (أي الخلفاء) شكيمة

١- الطبري:تاريخ الرسل والملوك، ج٦, صـ ١٤٩
- المسعودي: التنبيه والإشراف صـ ١٦٦
- أبو الفداء: كتاب المختصر في أخبار البشر م١/ صـ ١١٤
- الذهبي:تاريخ الإسلام , حوادث ووفيات (٦١-٨٠هـ), صـ ٣١٠- ٣١١, ٣١٥
- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة,ج١/ صـ ٢٤٣- ٢٤٤
- ابن العماد: شذرات الذهب م١/ صـ ٣٠٦
- علي: مختصر تاريخ العرب صـ ١٠٠- ١٠١
- خماش: الشام في صدر الإسلام صـ ١٦٦- ١٦٧

٢- ابن الجوزي: صفة الصفوة ج١/ صـ ٣٠٥
- المقريزي:الذهب المسبوك صـ ٥٤-٥٥

٣- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج١/ صـ ٢٤٤

٤- فلهوزن(بوليوس):تاريخ الدولة العربية , نقله عن الألمانية وعلق عليه محمد عبد الهادي أبو ريده , راجع الترجمة حسين مؤنس , لجنة التأليف والترجمة والنشر, القاهرة ط٢ ١٩٦٨م صـ٢٠٩

٥- السيوطي:تاريخ الخلفاء، ص ٢٢٧- ٢٢٨.
- زيدان(جرجي):تاريخ التمدن الإسلامي, ج١/ ١٠٩- ١١٠
- فلهوزن: تاريخ الدولة العربية, صـ ٢١٠- ٢١١

٦- ابن الأثير:الكامل في التاريخ،ج٣, صـ ٥٢٧- ٥٢٨
- الذهبي:تاريخ الإسلام , حوادث ووفيات (٨١- ١٠٠هـ), صـ٢٤

٧- القرماني: أخبار الدول, م٢/صـ ٢٢
- العصامي:سمط النجوم العوالي صـ ٦٧٢

٨ - اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي صـ ٣٣٨
- ابن العمراني: الأنباء في تاريخ الخلفاء صـ ٥٠

٩- الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٦ صـ ٤١٩

وأمضاهم عزيمة. بينما هو يصف نفسه في خطبته في المدينة عقب الانتصار على عبد الله بن الزبير فيقول: (أما بعد- أيها الناس- فلست بالخليفة المستضعف (عثمان) ولا الخليفة المداهن (معاوية) ولا الخليفة المأفون (يزيد) [١] ألا وأنى لا أداوي أدواء هذه الأمة إلا بالسيف.)[٢] وبعد وفاته انتقل الحكم إلى ابنه الوليد.

٣- الوليد بن عبد الملك:

ابن مروان وأمه ولادة بنت العباس بن جزيء بن الحرث بن زهير بن جذيمة بن رواحه بن مازن بن ربيعة,[٣] بويع بالخلافة بعد وفاة والده سنة٨٦هـ/ ٧٠٥م،[٤] الذي ترك له دولة قوية، راسخة الأركان، بعد أن هزم أعداءه في الداخل والخارج.

شب الوليد مترفاً, فنشأ قليل العلم، كثير اللحن، إلا أنه مع ذلك كان جباراً عنيداً,[٥] وكان عهده، عهد رخاء وازدهار، فتميز باهتمامه البالغ برعيته، وخاصة الفقراء والمساكين, فخصّص الوليد أعطيات للمجذومين، وخادم لكل مقعد، وقائد لكل ضرير، وأعطى الضعفاء والفقراء وحرم عليهم سؤال الناس.[٦] كما اهتم بالبناء، واليه تنسب عدد من أهم الصروح المعمارية في التاريخ الإسلامي ومنها توسيع المسجد النبوي في المدينة المنورة، وبناء الجامع الأموي في دمشق، وقبة الصخرة في القدس.[٧] وبلغ بنو أمية في عهد الوليد أقصى درجات عزهم.[٨] وانتقل الوليد إلى جوار ربه في جمادى الآخرة سنة ٩٦هـ/٧١٥م[٩] بعد حكم يقال إنَّه دام عشر

- كنعان: تاريخ الدولة الأموية , صـ٥٠٧

١- الذهبي:تاريخ الإسلام , حوادث ووفيات (٦١-٨٠هـ), صـ ٣٢٥

- المقريزي: الذهب المسبوك صـ ٥٨

- المقريزي: النزاع والتخاصم , صـ ٣٧

- الريس: عبد الملك بن مروان صـ ٢٩٢

٢- الذهبي:تاريخ الإسلام , حوادث ووفيات (٦١-٨٠هـ), صـ ٣٢٥

- الريس: عبد الملك بن مروان صـ ٢٩٢

٣- البلاذري: انساب الأشراف، دمشق ٢٠٠٠م،ج٧ /صـ ٥

٤- ابن العمراني: الأنباء في تاريخ الخلفاء صـ ٥٠

- ابن منظور(الإمام محمد بن مكرم ت ٧١١هـ/١٣١١م): مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر, تحقيق أحمد راتب حموش ومحمد ناجي عمر دار الفكر, دمشق ط١ ١٩٨٩م, ج٢٦/ صـ ٣١٧

- المقريزي: الذهب المسبوك صـ ٥٩

٥- ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية صـ ١٢٧

- القرماني: أخبار الدول, م٢/صـ ٣٢

٦- السيوطي:تاريخ الخلفاء، ص ٢٣٣

- القرماني: أخبار الدول, م٢/صـ ٣٢

- حسن:تاريخ الإسلام السياسي صـ ٢٤٥

- علي:تاريخ بلاد الشام صـ ١٩١

٧- السيوطي:تاريخ الخلفاء، ص ٢٣٣

- القرماني: أخبار الدول, م٢/صـ ٣٢- ٣٣

- كنعان:تاريخ الدولة الأموية,صـ٥٠٩

٨- كرد علي(محمد): خطط الشام, دار العلم للملايين بيروت ط٢ ١٩٦٩م/ ١٣٨٩هـ , ج١/ صـ ١٢٢

٩- ابن العمراني: الأنباء في تاريخ الخلفاء صـ ٥٠

- ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر ج١/ صـ ٢٧١

- مغلطاي:مختصر تاريخ الخلفاء صـ ٩٧

سنين إلا شهر، أو تسع سنين وسبعة أشهر أو ثمانية أشهر في قول آخر،[١] عن عمر تراوح بين اثنتين وأربعين[٢]واثنين وخمسين.[٣] فانتقل الحكم من بعده إلى أخيه سليمان.

٤ـ سليمان بن عبد الملك:

ابن عبد الملك بن مروان,[٤] وأمه أم الوليد، فهو أخاه الشقيق الذي حاول كما فعل من قبل أباه وجده, مخالفة وصية العهد، فحاول الوليد خلع سليمان من ولاية عهده، ومبايعة ابنه عبد العزيز بدلاً عنه ودعا الناس إلى ذلك، فلم يؤيده إلا قلة منهم، وعلى رأسهم الحجاج، وقتيبة بن مسلم، فكتب الوليد إلى سليمان يأمره بالقدوم إليه، وحين أبطأ سليمان قرر الوليد السير إليه وإرغامه على خلع نفسه، لكن المنية كانت أسرع منه، فتوفي قبل أن يتم له ذلك،[٥] فبويع سليمان بالخلافة وهو بالرملة في فلسطين بعد موت أخيه الوليد بثلاثة أيام[٦] في جمادى الآخرة سنة٩٦هـ/٧١٥،[٧] وفور توليه الخلافة، قام سليمان بعزل معظم عمال الوليد وخاصة من كان قد لمس منه موافقة على عزله من ولاية العهد.[٨] ثم أكمل ما كان الوليد قد بدأ به من تجهيز الحملة الإسلامية الكبرى لفتح القسطنطينية,[٩] متخذاً من دابق شمال حلب[١٠] مقراً لإقامته طوال مدة الحصار بعد أن عاهد الله أن لا يغادرها حتى يدخل جيش المسلمين العاصمة البيزنطية, وبقي سليمان على عهده فلم يغادر دابق إلا إلى مثواه الأخير، لعشر ليال بقين من صفر سنة ٩٩هـ/٧١٧م ، فكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام على رأي، وفي رأي آخر توفي لعشر ليال مضين من صفر، وولايته

- المقريزي: كتاب السلوك ج١/ ق١/ صـ ٣٣
- ابن العماد: شذرات الذهب م١/ صـ ٣٨٨
- العصامي:سمط النجوم العوالي صـ ٦٨١

١- المقريزي: كتاب السلوك, ج١/ ق١/ صـ ٣٣

٢- الطبري:تاريخ الرسل والملوك، ج٦ صـ ٤٩٥

٣ - ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق, ج ٢٦/ صـ ٣١٧

٤ - ابن الكلبي: جمهرة النسب صـ ٣٩

٥- ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت ٥٩٧هـ/١١٩٩م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور, دار الكتب العلمية، بيروت ط١ ١٩٩٢م ،ج٧/ صـ ١٢.

- العصامي: سمط النجوم العوالي صـ ٦٨١

٦- القرماني: أخبار الدول, م٢/صـ ٣٥

٧- المقريزي: الذهب المسبوك صـ ٦٢

- العصامي: سمط النجوم العوالي صـ ٦٨١
- المنجد: معجم بني أمية, صـ ٦٧

٨- ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم،ج٧,صـ ١٣

- حسن:تاريخ الإسلام السياسي صـ ٢٦٤

٩- ابن العديم: زبدة الحلب, ج ١/ صـ ٥٩

- العبادي وسالم(أحمد مختار والسيد عبد العزيز): تاريخ البحرية الإسلامية(في مصر والشام): دار النهضة العربية،بيروت ١٩٨١م صـ ٣٤.
- علي:تاريخ بلاد الشام صـ ١٩٢

١٠- الحموي: معجم البلدان ج٢/ صـ ٤١٦

سنتان وسبعة أشهر وقيل أيضا أنَّه حكم ثلاث سنوات[١] وثلاثة أشهر،[٢] وكان له من العمر خمس وأربعون عاماً.[٣] وكان سليمان على عكس الوليد أديباً فصيح اللسان، كثير النكاح شَرهاً في الأكل.[٤] وكان سليمان فتياً معجباً بشبابه فكان يقول: (كان محمد صلى الله عليه وسلم نبياً وأبو بكر صديقاً وعمر فاروقاً وعثمان حيياً ومعاوية حليماً وكان يزيد صبوراً وعبد الملك سائساً والوليد جباراً وأنا الملك الشاب.)[٥] وقد أسند سليمان ولاية عهده إلى ابن عمه عمر بن عبد العزيز ثم لأخيه يزيد بن عبد الملك من بعده.[٦] فسمي سليمان مفتاح الخير لاستخلافه عمر بن عبد العزيز.[٧]

٥- عمر بن عبد العزيز:

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف،[٨] أمه أم عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه،[٩] وكان يكنى بأبي حفص، ويقال له أشج بني أمية أو أشج بني مروان؛ لأن في جبهته أثر يقال إنه ضربة حافر.[١٠] ومن مبالغات المؤرخين يذكر ابن العماد في شذرات الذهب: (انه مذكور في التوراة أنَّ أشج بني أمية تقتله خشية الله.)[١١]

ولد عمر الثاني في حلوان قرية من قرى مصر وأبوه أمير عليها في سنة ٦١هـ/٦٨٠م.[١٢] وتولى المدينة المنورة سنة٨٧هـ/٧٠٦م في خلافة الوليد وهو ابن

١- الطبري:تاريخ الرسل والملوك، ج٦ صـ ٥٤٦

- ابن كثير:البداية والنهاية,ج ٩صـ١٤٦

٢- ابن منظور(الإمام محمد بن مكرم ت ٧١١هـ/١٣١١م): مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر , تحقيق رياض عبد الحميد مراد, دار الفكر, دمشق ط١ ١٩٨٦م ج١٠/ صـ ١٧١

٣- اليافعي: مرآة الجنان صـ ١٦٤

- ابن العماد: شذرات الذهب م١/صـ ٣٩٩

٤- القلقشندى: مآثر الإنافة ج١/ صـ ١٣٩

- كنعان:تاريخ الدولة الأموية, صـ٥١٢

٥- ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق, ج١٠/ صـ ١٧٩

- القرماني: أخبار الدول, م٢/صـ ٣٧

٦- ابن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة, ج٢/صـ ١٣١

- القلقشندى: مآثر الإنافة ج١/ صـ ١٤٠

٧- كرد علي: خطط الشام ج١/ صـ ١٢٣

٨- ابن الكلبي: جمهرة النسب صـ٣٧, ٣٩

- ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر ج١/ صـ٢٧٣

٩- البلاذري :انساب الأشراف،ج٧ /صـ ٦٥

- ابن الجوزي(الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ت ٥٩٧هـ/١١٩٩م) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد, ضبطه وشرحه وعلق عليه آ. نعيم زرزور, دار الكتب العلمية, بيروت ط١ ١٩٨٤م صـ ٩

- ابن كثير:البداية والنهاية,ج ٩صـ ١٥٨

- مغلطاي:مختصر تاريخ الخلفاء صـ ٩٩

- ابن حجر الهيثمي:الصواعق المحرقة صـ ١٣٧

١٠- الأصفهاني(أبي الفرج علي بن الحسين ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م): كتاب الأغاني, تحقيق إحسان عباس, إبراهيم السعافين, بكر عباس, دار صادر, بيروت ط١ ٢٠٠٢م, ج٩/صـ ١٨٩

- العصامي:سمط النجوم العوالي صـ ٦٨٥

١١- ابن العماد: شذرات الذهب م٢/ صـ٦

١٢- القرماني: أخبار الدول, م٢/صـ ٣٩

خمس وعشرين عاماً.[١] وبويع بالخلافة في العاشر من صفر سنة٩٩هـ/٧١٧م[٢]. بعد أن ألقت إليه المقادير بزمام أعظم دولة على الأرض في زمنه، فسارت إليه الخلافة دون أن يتقدم خطوة إليها،[٣] إذ عهد إليه ابن عمه سليمان بالخلافة دون علمٍ أو رغبةٍ منه، فقد بقي الأمر سراً بين سليمان وكاتبه رجاء بن حيوة، الذي كتب العهد وختمه بأمر من سليمان ثم خرج وأخذ البيعة من آل أمية لمن عهد له بالكتاب المختوم، فبايعوا دون أن يعرفوا لمن، حتى إذا أسلم سليمان الروح إلى باريها، جمع رجاء بني أمية مرة أخرى دون أن يعلمهم بوفاة سليمان، وحين بايعوا مجدداً أعلمهم أن الخلافة آلت إلى عمر بن عبد العزيز.[٤] وقد عد عهد عمر بن عبد العزيز امتداداً للعصر الراشدي فلقب بخامس الخلفاء الراشدين، لما عرف عنه من زهد، وتقشف، وحب لعمل الخير، ونشر العدل، والمساواة بين الناس، فشابه بذلك جده عمر بن الخطاب في أعماله وأخلاقه، كما أسقط عمر الجزية عمن أسلم، وخفّف الضرائب عن المسلمين عامة والموالي خاصة، مما شجع الناس على الإقبال على الإسلام، كما جادل الخوارج ولم يقاتلهم، لأنه كان كارها للقتال وسفك الدماء.[٥] ومنع سب الإمام علي بن أبي طالب على المنابر، وأعاد الجيش المحاصر للقسطنطينية إشفاقا على المسلمين.[٦] وعنه قال أحد أباطرة الروم[٧]:(وما أعجب لهذا الراهب الذي قد ترك الدنيا وعبد ربه على رأس صومعة، ولكني عجبت لهذا الراهب الذي صارت الدنيا تحت قدمه فزهد فيها حتى صار مثل الراهب.)[٨] حتى ان زهده وتقشفه ألبت عليه حاشيته بعد أن حرمهم من الترف الذي اعتادوا عليه، فدفعوا بأحد غلمانه فسقاه سماً[٩] ولما فعل السم فعلته دعي له بطبيب، فلما نظر إليه قال: قد سقي السم، ولا آمن عليه الموت. فرفع عمر بصره وقال: ولا تأمن الموت أيضاً، على من لم يسق السم. قال الطبيب: فتعالج يا أمير المؤمنين؟ فإني أخاف أنْ تذهب نفسك. فقال: ربي خير مذهوب إليه. والله لو علمت أنَّ شفاي عند شحمة أذني. ما رفعت يدي إلى أذني.[١٠] فتوفي في دير سمعان سنة١٠١هـ/٧٢٠م لخمس[١] أو عشر ليال بقين من

- المنجد: معجم بني أمية صـ ١٣٢

١ - ابن الجوزي: سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز صـ ٤١

٢- العبادي(عبد الحميد): صور وبحوث من التاريخ الإسلامي, مكتبة الانجلو المصرية, القاهرة ط٢ ١٩٩٣م صـ ١٥٥

- علي:تاريخ بلاد الشام صـ ١٩٤

٣- العبادي: صور وبحوث صـ ١٥٥

٤- مجهول(ت في القرن الرابع):العيون و الحدائق في أخبار الحقائق, www.al-mostafa.com تاريخ الدخول/١٥/٩/٢٠٠٩م صـ ٢-٣

- ابن الجوزي: سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز صـ ٦٠- ٦١

- القرماني: أخبار الدول, م٢/صـ ٣٨

- ابن العماد: شذرات الذهب م٢/ صـ ٦-٧

- العصامي:سمط النجوم العوالي صـ ٦٨٤

٥- حسن:تاريخ الإسلام السياسي صـ ٢٦٧- ٢٦٩

٦- ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج٤, صـ ٩٩

٧- هو الإمبراطور ليو الثالث (الأيسوري) ٩٩- ١٢٤هـ/٧١٧- ٧٤١م على الأغلب, لأنه عاصر عهد عمر بن عبد العزيز.

٨- كرد علي: خطط الشام ج١/ صـ ١٢٥

٩- السيوطي:تاريخ الخلفاء، ص ٢٥٦

- القرماني: أخبار الدول, م٢/صـ ٤٣

- الحسيني:مقاتل الأمويين, صـ ٢٣٩

١٠- ابن الجوزي: سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز صـ ٣١٧

رجب، وهو ابن تسعة وثلاثين وقيل أربعون عاما وخلافته دامت حوالي سنتين وخمسة أشهر،[٢] وقيل سنتان وخمسة أشهر وأربعة عشرة يوماً، [٣]ويقول البلاذري: (كان الوليد صاحب بناء واتخاذ للمصانع، فكان الناس يتلاقون في زمن الوليد فيسألون عن البناء والمصانع وما أشبهه، و يسألون زمن سليمان عن التزاوج والجواري والطعام، وولي عمر بن عبد العزيز فكان الناس يتلاقون فيسألون عن الفقه والقرآن، فيقول هذا متى ختمت ويقول هذا كم تصوم من الشهر.) [٤] رحل عمر بن عبد العزيز تاركاً الخلافة لابن عمه

٦- يزيد الثاني :

وهو يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، بويع بالخلافة بعد عمر بن عبد العزيز بعهد من أخيه سليمان، ويقال إنْ سليمان قال:(لولا أني أخاف اختلاف بني مروان بعدي ما وليت يزيد.) وكذلك قال عمر بن عبد العزيز: (لو اخترت للأمة غير يزيد كان أولى، ولكني أخاف إن أخرجتها من بني عبد الملك أن تقع في ذلك فتنة وفرقة.)[٥] انتهج يزيد نهج عمر بن عبد العزيز في بداية حكم, فجاءه مجموعة مشايخ دمشق، وحلفوا له أنّه ليس على الخلفاء حساب ولا عذاب[٦] لأنه مشتغل بأمور الناس فانخدع بكلامهم[٧] أو هكذا أراد، فانقلب على سيرة عمر، فعرف عنه اللهو والمجون وتعلقه الشديد بالجواري.[٨] كما أعاد سب الإمام علي بن أبي طالب على المنابر.[٩]

وفي أيامه خرج شوذب الخارجي فأرسل له مسلمة بن عبد الملك حين ولي الكوفة سعيد بن عمرو الحريشي في جيش كبير، استطاع القضاء على شوذب ومعظم رفاقه، كما خرج في أيامه يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، فأرسل إليه يزيد أخاه مسلمة وابن

١- ابن العديم: زبدة الحلب, ج ١/ صـ ٥٩
- أبو الفداء: كتاب المختصر في أخبار البشر م١/ صـ ١٢٠
- ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر ج١/ صـ٢٧٣
- القرماني: أخبار الدول, م٢/صـ ٤٣
٢- الطبري:تاريخ الرسل والملوك، ج٦ صـ ٥٦٥
- ابن الجوزي: سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز صـ ٣٢٧
- المقريزي: كتاب السلوك ج١/ ق١/ صـ ٣٣
٣- مجهول:العيون والحدائق صـ ٣٧
- ابن منظور(الإمام محمد بن مكرم ت ٧١١هـ/١٣١١م): مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر , اختصره على نهج ابن منظور وعني بتحقيقه إبراهيم صالح, دار الفكر, دمشق ط١ ١٩٨٩م, ج١٩/ صـ ١٢٧
٤- البلاذري :انساب الأشراف،ج٧ /صـ ١٣
٥- البلاذري انساب الأشراف ،ج٧ /صـ ١٨٦
٦- ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ج ٦٥، صـ٣٠٤.
- القرماني: أخبار الدول, م٢/صـ ٤٥- ٤٦
- ابن العماد: شذرات الذهب م٢/ صـ ٢٨- ٢٩
٧ - العصامي: سمط النجوم العوالي صـ ٦٩٤
٨ - الخربوطلي: الدولة العربية الإسلامية صـ ٢٢٦
- زيدان:تاريخ التمدن الإسلامي, ج١/١١١
٩- كرد علي: خطط الشام ج١/ صـ ١٢٥- ١٢٦

أخيه العباس بن الوليد على رأس جيش كبير استطاع أن يهزم ابن المهلب الذي سقط قتيلا في أرض المعركة.[١]

توفي يزيد بن عبد الملك لخمس بقين من شعبان سنة ١٠٥هـ/٧٢٤م[٢] وله ثلاث وثلاثون سنة أو أربع وثلاثون سنة وكانت ولايته أربع سنين إلا ثلاثة أشهر أو أربع سنين ونيف.[٣] وقد جاء في العيون والحدائق: إنَّ ولايته كانت أربع سنين وشهراً وعمره ثمان وثلاثون عام.[٤] وبعد وفاة يزيد انتقلت الخلافة إلى أخيه

٧- هشام بن عبد الملك:

هو هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم وأمه عائشة بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي، وكانت أمه حمقاء فطلقها عبد الملك.[٥]

بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه يزيد بعهد منه ولأبنه الوليد من بعده،[٦] وكان عمره آنذاك أربع وثلاثين سنة أتاه البريد وهو بالرصافة.[٧]

وقد لقب الوليد وسليمان ويزيد وهشام أبناء عبد الملك بالأكباش الأربعة، ولم يلِ الخلافة من بني أمية أربعة إخوة إلا هؤلاء.[٨] وقد تولى هشام الخلافة والدولة في حالة ضعف شديد، فالأتراك يهاجمون خراسان، والخزر يهاجمون أرمينية وأذربيجان، والبيزنطيون يهاجمون الحدود من الشمال، إلى جانب النزاع الشديد بين القيسيين واليمانيين في الداخل. إلا أنَّ هشام بما عرف عنه من حزم، وعقل، وسياسة، استطاع أن ينقذ الدولة من كافة الأخطار التي كانت تحيق بها، و أنْ يعيد لها سابق مجدها فعد المؤسس الثالث للدولة[٩] بعد معاوية وعبد الملك.[١٠] إذ كان هشام من أحزم بني أمية وأرجلهم، إلى جانب أنْه كان بخيلاً ظلوماً، شديد القسوة.[١١]

١- مجهول:العيون والحدائق صـ ٢٨- ٣٦

- حسن:تاريخ الإسلام السياسي صـ ٢٦٩- ٢٧٠

٢- ابن العديم: زبدة الحلب من. ج١/ صـ ٥٩

- ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر ج١/ صـ ٢٧٦

- القرماني: أخبار الدول, م٢/صـ ٤٧

٣- ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ج ٦٥، صـ٣٠٩- ٣١٠.

٤- مجهول: العيون والحدائق صـ ٤٣

٥- مجهول: العيون والحدائق في أخبار الحقائق صـ ٤٣- ٤٤

- ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج٤/صـ ١٦٥

٦- البلاذري: انساب الأشراف،ج٧ /صـ ٣١٢.

- المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر,م٣,صـ ٢٤٩

- مجهول: العيون والحدائق صـ ٤٣

٧- ابن العبري: مختصر تاريخ الدول صـ ١١٦

- أبو الفداء: كتاب المختصر في أخبار البشر م١/ صـ ١٢٣

٨ - كرد علي: خطط الشام ج١/ صـ ١٢٥

٩- الخربوطلي: الدولة العربية الإسلامية صـ ٢٢٦

١٠- DVORIK Origins of Intelligence Services, Rutgers university press, New Brunswick, New JERSEY P 201 (Frangis):

١١- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي صـ ٣٦٧

ومع ذلك كانت الأرض تميد تحت أقدام هشام في أواخر أيامه، وذلك لقيامه ببعض الأعمال التي ألبت الناس ضده، ومن ذلك عزل خالد بن يزيد القسري من ولاية العراق وتولية يوسف بن عمر الثقفي مكانه، والذي اتبع سياسة ظالمة أغضبت أهل العراق وأثارت استياءهم، كما ثار الخوارج الصفرية في شمال افريقية بعد أن انضم إليهم البربر، بالإضافة إلى تمرد بعض القبائل الأفريقية في الأندلس، وخروج زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب،[١] لذلك أمعن هشام في الانتقام من العلويين والتنكيل بهم، كلّما أمكنته الفرصة.[٢]

وقد توفي هشام في السادس من ربيع الأول[٣] أوربيع الآخر سنة ١٢٥هـ/٧٤٣م،[٤] وقيل سنة ١٢٦هـ/٧٤٤م[٥] وهو ابن أربع وخمسين سنة وكانت خلافته عشرين عاماً إلا أشهر،[٦] وقيل بل كان عمره ثلاثة وخمسين عاماً[٧] وخلافته تسعة عشر عاما وتسعة أشهر وواحداً وعشرين يوماً، أو ثمانية أشهر ونيف.[٨] وقد رحل هشام تاركاً رغماً عنه الخلافة لابن أخيه الوليد

٨- الوليد الثاني:

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم.[٩] وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي وهي ابنة أخي الحجاج.[١٠] ولد سنة ٩٠هـ/٧٠٩م، وتولى الخلافة بعد وفاة عمه هشام بعهد من أبيه يزيد في ربيع الآخر سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م،[١١] بويع بالخلافة وهو بالبرية حيث كان يقضي معظم وقته، نهاره صيد، وليله شرب ولهو، وقد زاد الوليد من لجوئه إلى البادية حين زاد الجفاء بينه وبين عمه هشام،[١٢] الذي طمع في خلعه ومبايعة ابنه مسلمة بن هشام، وحين رفض الوليد ، أمعن هشام في تصغيره وإظهار فساده[١٣] فولاَّه على الحج سنة١٢٦هـ/ ٧٤٣م, فحمل الوليد كلاباً في صناديق، وحمل معه قبة حمراء أراد أنْ

١- الخربوطلي: الدولة العربية الإسلامية صـ ٢٢٦- ٢٢٧
- علي:تاريخ بلاد الشام صـ ٢٠١- ٢٠٢
٢- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي صـ ٣٦٥-٣٦٦
٣- ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر ج١/ صـ ٢٧٨
٤- مجهول: العيون والحدائق صـ ٦٨
- العصامي: سمط النجوم العوالي صـ ٦٩٤
٥- ابن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة, ج٢/صـ ١٤٣
٦- ابن العماد: شذرات الذهب م٢/صـ ١٠٢
٧- مجهول: العيون والحدائق صـ ٦٩
٨- المقريزي: الذهب المسبوك صـ ٦٥
- المقريزي: كتاب السلوك ج١/ ق١/ صـ ٣٣
٩- الزبيري: نسب قريش ج٥/ ١٥٩, ١٦٦
١٠- الأصفهاني: كتاب الأغاني, ج ٧/ صـ ٥
١١- أبو الفداء: كتاب المختصر في أخبار البشر م١/ صـ ١٢٥
- المنجد: معجم بني أمية صـ ١٩٤
١٢-ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر ج١/ صـ ٢٧٩
- كنعان: تاريخ الدولة الأموية , صـ ٥٢٠
١٣- البلاذري: انساب الأشراف،ج٧ /صـ ٤٧٧

ينصبها على الكعبة المشرفة، لولا نهي أصحابه، إلا أنه لم يخفى على أحد تهاونه في أمور الدين،[١] وتشاغله عن مناسك الحج بالشرب واللهو.[٢] وهذا ما كان يرمي أليه هشام, إظهار فسقه وفجوره أمام المسلمين, فحرمه من العطاء وحرم سائر مواليه وأسبابه وجفاه جفاءً شديداً.[٣] لذلك ما إن انتقلت إليه الخلافة حتى أخرج كاتبه عياض بعد سجنه. فختم عياض أبواب الخزائن وأنزل هشام عن فراشه مستوليا على أمواله وأملاكه وكل متاعه، حتى إنهم لم يجدوا له أناء يسخن فيه الماء لغسله، فاستعاروا واحداً[٤] ولا وجدوا كفناً حتى كفّنه أحد ـتباعه على نفقته.[٥] كما عزل عمال هشام وعذبهم أشد العذاب، عدا يوسف بن عمر الثقفي عامل العراق، وذلك لأنه وجد في ديوان هشام بعد وفاته، كتباً من ولاة الأمصار يؤيدونه فيما كان عازماً عليه من خلع الوليد من ولاية عهده إلا يوسف، أشار عليه ألا يفعل.[٦] ولما انتقلت الخلافة إلى الوليد أراد- على ما يبدو- تغيير نظرة الناس إليه، فأمر بزيادة أعطيات الناس عشرة دراهم، ولأهل الشام عشرين درهما، [٧] كما رد أعطيات أهل مكة والمدينة بعد منعها من قبل هشام، وأعان المرضى والعجزة وعين لهم الخدم، لكن الطبع يغلب التطبع فسرعان ما عاد إلى سيرته السابقة من لهو واستهتار.[٨] سائراً بالدولة الأموية إلى حافة الهاوية، فتهاوى النظام وقربت النهاية المحتومة.[٩] وقد استغلَّ أعداؤه سوء سيرته فتآمروا على خلعه وقتله، وكان أكثرهم عداءً له أبناء عمه هشام وعلى رأسهم سليمان بن هشام، و أبناء الوليد بن عبد الملك وعلى رأسهم يزيد[١٠] الذي اظهر الورع والتقوى وبدأ يدعو الناس سراً، فلاقت دعوته قبولا لدى أغلب الناس وخصوصا من ناله الأذى على يد الوليد،[١١] ولما تأكد يزيد بن الوليد من قوة أصحابه، دخل دمشق في أربعين رجلاً من أصحابه وسيطر عليها بكل يسر وسهولة، وكان الوليد وقتها منشغلا بصيده في البادية التدمرية، وأرسل يزيد أصحابه إلى البادية فحاصروا الوليد في قصره وقاموا بقتله.[١٢] لليتين أو خمس بقين من جمادى الآخرة سنة ١٢٦هـ/٧٤٤م،[١٣] وقيل بل في ذي الحجة سنة

١- ابن أعثم: الفتوح ج٣/ صـ ٣٠٨

٢- الأصفهاني: كتاب الأغاني ج٧/ صـ ٦

٣- الأصفهاني: كتاب الأغاني ج٧/ صـ ٦

٤- أبو الفداء: كتاب المختصر في أخبار البشر م١/ صـ ١٢٥

- ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر ج١/ صـ ٢٧٨

٥- ابن العبري: مختصر تاريخ الدول صـ ١١٧

٦- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي صـ ٣٦٥

٧- أبو الفداء: كتاب المختصر في أخبار البشر م١/ صـ ١٢٥

٨- عاقل:دراسات في تاريخ العصر الأموي, صـ ٢٨٢, ٢٨٤

- علي:تاريخ بلاد الشام صـ ٢٠٤

٩- زكار:تاريخ العرب والإسلام صـ ٢٢٥

١٠- يذكر ميخائيل الكبير في تاريخه: ان أول من حاول الخروج عليه كان العباس بن الوليد, وهذا يناقض ما تجمع عليه المصادر الإسلامية من ان العباس بقي رافضاً للانقلاب رغم تزعم أخاه له.

١١- البلاذري: انساب الأشراف،ج٧ /صـ ٥١٥ , ٥٢١

١٢- ابن عبد ربه:العقد الفريد,ج٤ , صـ٤٦١

- أبو الفداء: كتاب المختصر في أخبار البشر م١/ صـ ١٢٦

- القرماني: أخبار الدول, م٢/صـ ٥٣

١٣- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي صـ٣٦١

١٢٧هـ/٧٤٥م،[١] وكان عمره ست وأربعين سنة وكانت خلافته سنة وشهرين واثنين وعشرون يوما، وقيل سنة وثلاثة أشهر،[٢] أو شهرين واثنين وعشرين يوماً.[٣] فكانت حركة يزيد أول انقلاب دموي داخل الأسرة الأموية، وأول ثورة أموية ضد الحكم الأموي، ما لبثت أن جرّت وراءها ثورات, عجلت بسقوط البيت الأموي.[٤]

٩- يزيد الثالث:

هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، وأمه شاه فرند بنت فيروز بن يزدجر بن شهريار بن كسرى ابرويز، وكانت من سبايا خراسان أرسلها قتيبة بن مسلم للحجاج الذي أهداها بدوره إلى الوليد بن عبد الملك، فولدت له يزيداً، وكان بذلك أول أموي يتولى الخلافة وهو ابن جارية.[٥] وكان يزيد يلقب بالناقص، لأنه نقص من عطاء الناس.[٦]

ولم تعرف خلافة يزيد الهدوء بل كانت مليئة بالاضطراب، فقد خرج عليه أهل حمص ولم يتمكن من إخضاعهم إلا بعد أن حشد لهم ألاف الجنود، كما خرج عليه أهل فلسطين والأردن ثم أهل العراق، ومروان بن محمد[٧] الذي خرج مطالبا بدم الوليد بن يزيد سائراً باتجاه دمشق فأقنعه يزيد بجمع ما كان لأبيه من ولاية على الجزيرة وأرمينية والموصل وأذربيجان تحت أمرته، فرضي مروان بذلك وبايع يزيد.[٨] وفي السنة نفسها بايع يزيد لأخيه إبراهيم ومن بعده ابن عمه عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك.[٩] ليموت بعدها مسموماً على يد أخيه إبراهيم،[١٠] وقيل بل مات بالطاعون.[١١] فتوفي في جمادى الآخر سنة ١٢٦هـ/٧٤٤م، وهو ابن أربعين

- ابن العديم: زبدة الحلب, ج ١/ صـ ٦٠
- أبو الفداء: كتاب المختصر في أخبار البشر م١/ صـ ١٢٦
- ابن العماد: شذرات الذهب م٢/صـ ١٠٨
- العصامي: سمط النجوم العوالي صـ ٧٠١

١- ابن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة, ج٢/صـ ١٥٥
٢- ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج٤, صـ ٣٠٦
٣- المقريزي: كتاب السلوك ج١/ ق١/ صـ ٣٣
٤- زكار:تاريخ العرب والإسلام صـ ٢٢٦
٥- البلاذري: انساب الأشراف،ج٧ /صـ ٥١٥, ٥٢١
٦- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي صـ ٣٦١
- المسعودي: مروج الذهب,م٣,صـ٢٦٨
- العصامي: سمط النجوم العوالي صـ ٧٠٢
٧- ابن الجوزي: المنتظم ،ج٧/صـ٢٥١- ٢٥٣
- علي:تاريخ بلاد الشام صـ ٢٠٦
٨- ابن الجوزي: المنتظم ،ج٧/صـ٢٥١- ٢٥٣
٩- ابن الجوزي: المصدر نفسه،ج٧,صـ٢٥١
- العصامي: سمط النجوم العوالي صـ ٧٠٢
١٠- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي صـ ٣٧٢
١١- القرماني: أخبار الدول, م٢/صـ ٥٥

سنة، وخلافته خمسة أشهر ونصف وقيل ستة أشهر[١]، وقيل بل توفي في العاشر من ذي الحجة وله من العمر ست وثلاثون سنة.[٢]

١٠- إبراهيم بن الوليد :

ابن عبد الملك وأمه جارية من جواري الأمويين ولكنها غير أم أخيه يزيد, بويع بالخلافة بعد أخيه يزيد. وكما مر سالفاً، فإنّ مروان بن محمد كان قد ادعى مطالبته بدم الوليد بن يزيد، وكان في الوقت ذاته يدعو لنفسه سراً، ولما توفي يزيد أظهر دعوته إلى العلن، وسار باتجاه دمشق بعد أن استنهض الناس إلى خلع إبراهيم متهما إيّاه بالضلالة،[٣] فوجّه إبراهيم لمحاربته جيشاً بقيادة أخويه بشر ومسرور، فهزمهما مروان وأسرهما ، فوجه إليه إبراهيم جيشاً أخر بقيادة ابن عمه سليمان بن هشام، فهزم سليمان أيضاً، فخرج الخليفة بنفسه لملاقاته، إلا أنَّ جنده خذلوه وانفضوا من حوله وبايع الناس مروان، فاضطر إبراهيم إلى مبايعته والتنازل له عن الخلافة، بعد أنّ تأكد أن لا طاقة له على مجابهته.[٤] وبعد حكمٍ لم يتجاوز شهرين وعشرة أيام، [٥] أو أربعة أشهر.[٦]

١١- مروان الثاني :

هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص،[٧] وأمه أمة كردية أخذها أبوه من عسكر ابن الأشتر.[٨] وكان يلقب بالحمار،[٩] او حمار الجزيرة،[١٠] لأنه كان كان كالحمار لا يجف له لبد, في محاربة الخارجين عليه، وقيل لصبره في الحروب, وقيل أيضاً لأن العرب تسمي كل مائة سنةٍ حماراً, فلما قارب ملك بني أمية مائة سنة لقبوا مروان بالحمار لذلك.[١١] لكن أغلب الظن أنَّ هذا اللقب ما كان إلا لذمه والنيل من مكانته خاصة وإنْ معظم ما كُتِبَ عن الأمويين كُتِبَ في أيام العباسيين ألد أعداء بني أمية،[١٢] ولقب كذلك بالجعدي نسبة إلى مؤدبه الجعد بن درهم،[١٣] والجعد كان

١- كنعان: تاريخ الدولة الأموية , صـ ٥٢٢

٢- ابن العماد: شذرات الذهب م٢/صـ ١٠٨, ١١٦

٣- البلاذري: انساب الأشراف،ج٧ /صـ ٥٤٨

٤- ابن العماد: شذرات الذهب م٢/صـ ١١٧

- كنعان: تاريخ الدولة الأموية , صـ ٥٢٣

٥- القرماني: أخبار الدول, م٢/صـ ٥٧

- كنعان: تاريخ الدولة الأموية , صـ ٥٢٣

٦- المقريزي: كتاب السلوك ج١/ ق١/ صـ ٣٣

٧- ابن الكلبي: جمهرة النسب ٩٣- ٤٠

٨- البلاذري: انساب الأشراف، ج٥/صـ ٣٧١ ,ج٧ /صـ ٥٦١

٩- ابن العمراني: الأنباء في تاريخ الخلفاء صـ ٥٢

١٠- ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر ج١/ صـ ٢٨٧

١١- السيوطي: تاريخ الخلفاء صـ ٢٧١- ٢٧٢

١٢- أبو جيب (سعدي):مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية, دار لسان العرب, بيروت ١٩٧٢م/١٣٩٢هـ صـ ٧٤

١٣- العصامي: سمط النجوم العوالي صـ ٧٠٦

- حسن: تاريخ الإسلام السياسي صـ ٢٧٣

مولى سويد بن غفلة الجعفي، وكان أول زنديق أطلع عليه بنو أمية, فقتله هشام بن عبد الملك.[١]

بويع مروان بالخلافة في النصف من صفر سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م، ولم يهنأ بها، لكثرة من خرج عليه، كان آخرهم وأشرسهم بني العباس،[٢] وعلى الرغم من كون مروان حاكماً شجاعاً وذكياً إلا أنه جاء في وقت كانت الدولة فيه تلفظ أنفاسها الأخيرة، فكان الرجل المناسب في المكان المناسب لكن في الوقت غير المناسب، لذا لم يكن في مقدوره إيقاف التدهور الذي كانت تسير فيه الدولة بخطى حثيثة، فقد امتد الصراع الدموي بين القبائل من دمشق إلى حمص وفلسطين، حيث قامت اليمانية بثورات مناهضة لمروان الذي دعمه المضريون، وقام العلويون بالثورة في العراق، كما سيطر الخوارج على الجزيرة، متقدمين نحو الكوفة.[٣]

فلم تبد شجاعة مروان وحزمه نفعاً أمام الوضع المتأزم الذي كانت تمر به الدولة الأموية، فقد دبَّ الضعف، واستشرت الفوضى، وكان على مروان أن يجابه إضافة لمن سلف، الدولة العباسية الوليدة القوية، فحاول مروان جاهدا السيطرة على الوضع ، لكن دون جدوى ، فهُزم في لقائه الأول مع العباسيين قرب الموصل هزيمةً لم يستطع معها أن يحضر للقاء ثان معهم، فعاد إلى الشام ومنها إلى مصر والعباسيون في أثره، فقبضوا عليه في قرية بوصير المصرية وقتلوه في شهر ذي الحجة سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م،[٤] وقيل بل قتل سنة ١٣٣هـ/٧٥١م وهو ابن تسع وستين سنة.[٥] بعد حكم دام حوالي خمس سنين وعشرة أشهر وستة عشر يوماً.[٦] وقيل بل كان حكمه خمس سنين وتسعة أشهر وأيام وله تسع وخمسون سنة.[٧] وبمقتل مروان كانت نهاية عصر الدولة الأموية، وبداية عصر الدولة العباسية.

- علي: تاريخ بلاد الشام صـ ٢٠٧

١- ابن الكلبي: جمهرة النسب صـ ٤٠

- العصامي: سمط النجوم العوالي صـ ٧٠٦

٢- السيوطي:تاريخ الخلفاء،صـ٢٧٢

٣- زكار:تاريخ العرب والإسلام صـ ٢٢٧

٤- ميخائيل: تاريخ ميخائيل الكبير الكبير، ج٢/صـ ٤٠٠، ٤١٢

- السيوطي:تاريخ الخلفاء،صـ٢٧٢

- ابن العماد: شذرات الذهب م٢/ صـ ١٣٨- ١٣٩

٥- البلاذري :انساب الأشراف،ج٥ /صـ ٣٧١

٦- المقريزي: كتاب السلوك ج١/ ق١/ صـ ٣٣

٧- ابن العماد: شذرات الذهب م٢/ صـ ١٣٩

٢- البيزنطيون:

عاشت الإمبراطورية الرومانية أزهى عصورها قديماً, وبلغت أوج عظمتها في القرنين الأول والثاني الميلاديين, وفي القرن الثالث انقسمت الإمبراطورية إلى إمبراطوريتين غربية وعاصمتها روما, التي انهارت سنة٤٧٦م على يد الجرمان, وإمبراطورية شرقية استطاعت ان تصمد بعد سقوط الأولى لأكثر من ألف عام متخذة من القسطنطينية,[١] والتي قامت على أنقاض مدينة بوزنطيا القديمة عاصمة لها، فالبيزنطيون ليسوا إلا امتداداً للروم أو هم الروم أنفسهم, سميوا بالبيزنطيين نسبة إلى بوزنطيا أو بيزنطة،[٢] ولم يُعرف البيزنطيون في أيامهم بهذا الاسم، بل كانوا يعرفون بالرومان، وكانوا يعدون دولتهم وحضارتهم امتداداً للدولة والحضارة الرومانية، والواقع أن تسمية البيزنطيين تسمية حديثة أطلقها المؤرخون[٣] على سكان الإمبراطورية الرومانية الشرقية.

وقد حكم العرش البيزنطي سلسلة طويلة من الأباطرة، اقتصر الحديث هنا على أولئك الذين عاصروا عصر الدولة الأموية، والذين يمكن تقسيم عهودهم إلى مرحلتين أساسيتين، الأولى هي التي مثلها عهد الأباطرة قسطنطين الثالث(كونستانس الثاني) وقسطنطين الرابع (٢١-٦٦هـ/٦٤١-٦٨٥م) وشهدت فيها الإمبراطورية تحدياً خطيراً تمثل بالأخطار الخارجية التي عملت الإمبراطورية جاهدة على مقاومتها، وفيها منيت الإمبراطورية بضربات شديدة من جانب العرب نتج عنها ضياع قسم كبير من الأراضي التي كانت تسيطر عليها وتعرض ما تبقى منها في الجهة الشرقية لهجمات عربية قوية وصلت مداها حتى العاصمة القسطنطينية، هذا فضلا عن الأحوال المضطربة في شبه جزيرة البلقان وما رافق ذلك من تسلل للعناصر السلافية وإنشائهم المستعمرات السلافية الضخمة هناك.

أما المرحلة الثانية والتي تبدأ باعتلاء جستنيان الثاني للعرش وتنتهي باعتلاء ليو الثالث (٧٦-٩٩هـ/٦٨٥- ٧١٧م) فقد دامت حوالي ثلاثين عاماً وتميزت بالفوضى والتدهور السياسي والانهيار في الداخل والخارج.[٤] كما تميزت أيضاً بتعاقب سريع لأباطرة زادوا الإمبراطورية قلقاً واضطراباً امتزج بالمزيد من القسوة والعنف، ومزيد من الخسائر الإقليمية في ميادين صراعها مع العرب في آسيا الصغرى وشمال افريقية, وعلى الرغم من أنَّ هذه المرحلة شهدت أباطرة أقوياء عسكرياً أكفاء إداريا إلا أنهم لم يستطيعوا أنْ يحققوا نجاحاً دائماً في السياسة الخارجية، لأن

١- الشيخ: تاريخ الإمبراطوري البيزنطية صـ ٣- ٤

٢- طهبوب(صلاح): موسوعة التاريخ الإسلامي(العصر الأموي), دار أسامة للنشر والتوزيع, عمان ط١ ٢٠٠٣م صـ١٦

٣- العريني(السيد الباز): الدولة البيزنطية(٣٢٣-١٠٨١م), دار النهضة العربية,بيروت ١٩٨٢م صـ١٩

٤ - فرج ويوسف: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية صـ ٣٨-٣٩, ٤١

الاضمحلال في الداخل كان قد استشرى وبدا وكأنه داء مستعصي، اقترن بفقر فكري وروحي.[١] وكان أول هؤلاء الأباطرة:

١ـ قسطنطين الثالث (كونستانس الثاني) ٢١ـ ٤٨هـ/٦٤١ـ ٦٦٨م:

ابن قسطنطين الثاني من الأسرة الهرقلية عُرف في طفولته باسم هرقل، وتوج باسم قسطنطين الثالث، فيما لقبه الناس بـ كونستانس الثاني، تولى العرش البيزنطي سنة ٢١هـ/٦٤١م ولم يتجاوز الحادية عشرة من عمره بعد، فتولى مجلس الشيوخ الوصاية على عرشه حتى يبلغ السن القانونية.[٢]

وعلى الرغم من أن قسطنطين الثالث تولى العرش صغيراً، وتحت الوصاية إلا أنه تحلى بإرادةٍ قويةٍ وميل إلى العنف، فقد أجبر أخاه تيودوسيوس على الرهبنة ومن ثم قتله بتهمة الخيانة العظمى وذلك سنة ٤٠هـ/٦٦٠م بعد أن طالبه بحقه في العرش.[٣] إلا أنَّ فعلته تلك نغصت عليه حياته لذلك غادر القسطنطينية إلى سيراكوزة في جزيرة صقلية وأراد على ما يبدو نقل العاصمة إلى هناك، وترك القسطنطينية فأرسل في طلب أبنائه الثلاثة، إلا أن البيزنطيين لم يسمحوا له بذلك.[٤] وبقي في تلك المدينة البعيدة حتى لقي حتفه على يد أحد غلمانه سنة ٤٨هـ/٦٦٨م.[٥]

٢ـ قسطنطين الرابع (٤٨ـ٦٦هـ/٦٦٨ـ٦٨٥م):

بعد مقتل قسطنطين الثالث تولى الحكم ابنه قسطنطين الرابع الذي كان يُسِّير الأمور في القسطنطينية أثناء غياب أبيه في سيراكوزة، وذلك رغم حداثة سنه، وما إن علم بمقتل أبيه وقيام الثورة ضده هناك، حتى سار على رأس جيش للانتقام لأبيه وفرض سيطرته على الثائرين، وكان له ما أراد فأعاد الأمور إلى نصابها، ثم عاد إلى القسطنطينية وقد نبت الشعر في وجهه فلقب بالألحى،[٦] ليحكم الإمبراطورية مع أخويه تيبيروس وهرقل.[٧]

---

١ ـ فرج ويوسف: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية صـ ٥٥

٢ـ فرح(نعيم): تاريخ بيزنطة السياسي, منشورات جامعة دمشق, دمشق ١٩٩١ صـ ١٤١

٣ـ فرح: تاريخ بيزنطة السياسي صـ١٤١

ـ٣

4 -Theophanes :Chronicle of Theophanes, an English translation of anm mund 6095 -6305 (A.D .602-813), with introduction and notes, by Harry Turtledove, University of Pennsylvania Press, Philadelphia 1982 .p 47

ـ ميخائيل الكبير: تاريخ ميخائيل الكبير، ج٢/صـ ٣٤٢ـ ٣٤٣

ـ خلف: الرواية السريانية, صـ ٧٠

٥ـ Theophanes: Chronicle of Theophanes p 50- 51

ـ ميخائيل: تاريخ ميخائيل الكبير، ج٢/صـ٣٤٧ـ ٣٤٨

ـ أومان: الإمبراطورية البيزنطية, ترجمة مصطفى طه بدر, دار الفكر العربي, القاهرة ١٩٥٣م صـ ١٣٣

٦ـ رستم: الروم, ج١/صـ ٢٥٧ـ ٢٥٨

٧ـ Theophanes: Chronicle of Theophanes p 51

ـ ميخائيل: تاريخ ميخائيل الكبير، ج٢/صـ ٣٤٨

ويعد عهد قسطنطين الرابع مرحلة هامة من مراحل التاريخ البيزنطي وذلك لما حدث في عهده من أحداث جسام، كان من أهمها النشاط العسكري العربي الواسع براً وبحراً والذي انتهى بحصار العرب لمدينة القسطنطينية، والذي لم يكتب له النجاح بفضل ما بذله قسطنطين من جهود جبارة في مقاومة الحصار وحسن التصدي له.[١] وقبل وفاته بقليل قام قسطنطين بجدع أنف أخويه(هرقل وتيبيريوس)[٢]ليصبحا غير صالحين لاعتلاء العرش ، وقد توفي قسطنطين قبل أنْ يبلغ السادسة والثلاثين[٣] وذلك سنة ٦٦هـ/٦٨٥م، تاركاً العرش لابنه جستنيان الثاني.[٤]

٣- جستنيان الثاني(٦٦- ٧٦هـ/٦٨٥-٦٩٥)، (٨٦- ٩٣هـ/ ٧٠٥- ٧١١م):

تولى جستنيان الثاني العرش بعد وفاة أبيه في الأول من أيلول سنة ٦٦هـ/٦٨٥م وهو ابن السادسة عشرة،[٥] وقد كان شابا جسورا مجازفاً، قاسي القلب طموحاً ذا عزيمة قوية، ميالا للظلم والاستبداد،[٦] فكان بذلك إلى جانب ما اتصف به من مواهب قيادية وحبٍ لمظاهر العظمة والفخار، خير ممثل لأسرة هرقل،[٧] كما كان شغوفاً ببناء الصروح الضخمة، التي أرادها أنْ تكون عنواناً لدولته، والتي كلفت الدولة أموالاً طائلة،[٨] عجزت الخزانة في أكثر الأحيان عن تحمل أعبائها، الأمر الذي دفعه إلى ابتزاز أموال الناس، وجباية الضرائب بقسوة بالغة، فأكسبته سياسته تلك كراهية الناس له ولجهازه الإداري،[٩] إضافة إلى أنْ تشجيعه للفلاحة الحرة، ومناهضة الطبقة الارستقراطية، أكسبته كراهية هذه الطبقة أيضاً، كل ذلك مهد لقيام ثورة ضده في نهاية سنة ٧٦هـ/٦٩٥م[١٠] حيث القي القبض عليه، وجُدع أنفه وقطع لسانه. ومن ثم نفي إلى خرسون[١١]في شبه جزيرة القرم، ليتوج ليونتيوس قائد ثغر هيلاس إمبراطوراً مكانه.[١]

١- العريني: الدولة البيزنطية صـ ١٤٨- ١٥١

٢- Theophanes: Chronicle of Theophanes p 51

- فرح: تاريخ بيزنطة السياسي صـ ١٤٢

٣- عمران:معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية صـ ٨٢

٤- Theophanes: Chronicle of Theophanes p 58

٥- رستم: الروم , ج١/ صـ ٢٦٤

- الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية, صـ ١٠٢- ١٠٣

- عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية صـ ٨٢

٦- أومان: الإمبراطورية البيزنطية صـ ١٣٧

- الشيخ:تاريخ الإمبراطورية البيزنطية صـ ١٠٢

7 -OSTROGORSKY:A History of the Byzantine states، trans، by Hussey (Oxford 1956), P116

٨- أومان: الإمبراطورية البيزنطية صـ ١٣٧- ١٣٨

- الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية صـ ١٠٧- ١٠٨

- العريني: الدولة البيزنطية صـ١٦٦- ١٦٧

٩- OSTROGORSKY:A History of the Byzantine states, P 120- 122

١٠- أومان: الإمبراطورية البيزنطية صـ ١٣٧- ١٣٨

- الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية صـ ١٠٧- ١٠٨

- العريني: الدولة البيزنطية صـ١٦٦- ١٦٧

١١- Theophanes: Chronicle of Theophanes p 66- 67

٤- ليونتيوس (٧٦- ٧٩هـ/٦٩٥- ٦٩٨م) :

كان ليونتيوس قائداً عسكرياً متمرساً، أمضى في الحكم ثلاث سنوات متمتعاً فيها بالقوة والاستقرار، ولم يمنعه الهدوء الذي ميز العلاقات بين دولته والدولة الأموية من الاهتمام بالأمور العسكرية تحسباً لأي طارئ،[٢] على عكس ما يذكره أومان في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية حيث يقول: (وقد تبع اغتصاب ليونتيوس للعرش انتشار الفوضى مدة عشرين سنة. إذ أنَّ الإمبراطور الجديد لم يكن رجلاً ذا مقدرة، وقد دعته إلى الثورة مخاوفه أكثر من أطماعه، واحتفظ بالعرش ثلاث سنوات بصعوبة، في وسط الثورات المستمرة في الداخل، والهزائم المتوالية في الخارج.)[٣] ومع وصول ليونتيوس إلى السلطة كانت الأسافين الأخيرة تُدق في نعش السلطة البيزنطية في شمال أفريقيا، فاعتباراً من عام ٧٤هـ/٦٩٣م بدأت بيزنطة تفقد حصونها هناك لصالح المسلمين الواحد تلو الآخر، وبحلول عام ٧٦هـ/٦٩٥م، كان المسلمون قد وصلوا إلى قرطاجة عاصمة شمال افريقية البيزنطية، ورغم تمكن البيزنطيين من استعادة سيطرتهم على قرطاجة، استطاع المسلمون طردهم منها نهائياً سنة ٧٨هـ/٦٩٧م[٤] أو٧٩هـ/٦٩٨م.[٥] وفي الطريق اتفقت القوات المطرودة من شمال افريقية على التمرد على الإمبراطور، أثناء عودتها إلى القسطنطينية،[٦] والتفوا حول أبسيمار قائد بند كيبرهايوت الذي نجح في دخول العاصمة مع رجاله، وبعد أشهر أربعة قتل خلالها الكثير من الناس تمكن الإمبراطور الجديد أبسيمار والذي لقب بـ تيبيروس من القبض على الإمبراطور المخلوع ليونتيوس.[٧]

٥- تيبيروس الثالث(٧٩- ٨٦هـ/٦٩٨- ٧٠٥م):

كان أول عمل قام به تيبيروس الثالث، هو جدع أنف سلفه ليونتيوس، وحبسه في أحد الأديرة،[٨] ويلاحظ هنا انتشار ظاهرة (جدع الأنف) كعقاب للأباطرة

- المسعودي: التنبيه والإشراف صـ ٨٥

- الذهبي:تاريخ الإسلام , حوادث ووفيات (٦١-٨٠هـ), صـ ٣٣٧

- ربيع(حسنين محمد): دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية, دار النهضة العربية, القاهرة ط٥ ١٩٩٥م. صـ ٩٩

١- Theophanes: Chronicle of Theophanes p 66- 67

- ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية صـ ٩٩

٢ - فرج ويوسف: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية صـ ٥٥- ٥٦

٣ - أومان: الإمبراطورية البيزنطية صـ ١٣٩

٤- أومان: الإمبراطورية البيزنطية صـ ١٣٩

٥- العريني:الدولة البيزنطية صـ ١٦٨

٦- أومان: الإمبراطورية البيزنطية صـ ١٣٩

- عمران:معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية صـ ٨٤

- فرج ويوسف: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية صـ ٥٧- ٥٨

٧- Theophanes: Chronicle of Theophanes p 68

- فرج ويوسف: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية صـ ٥٨

٨- فرج ويوسف: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية صـ ٥٨

المخلوعين، والتي ربما كان الهدف منها تشويه الإمبراطور المخلوع بصورة تمنعه من التفكير في العودة إلى الحكم.

كان الإمبراطور الجديد رجلاً قوياً وجندياً قديرا نجح في إخضاع المتمردين على السلطة المركزية،[١] وعين أخاه هرقل الذي استطاع أنْ يثبت جدارته سريعاً، قائداً لجبهة آسيا الصغرى[٢] حيث استرد بعض المناطق الحدودية، كما غزا سورية الشمالية. وبقي تيبيروس يحكم الإمبراطورية البيزنطية حتى قتل على يد جستنيان الثاني سنة ٨٦هـ/٧٠٥م.[٣]

عودة جستنيان الثاني (٨٦- ٩٣هـ/٧٠٥- ٧١١م):

أثارت الأخبار عن نية جستنيان الثاني ورغبته في استعادة عرشه المسلوب، قلق أصحاب تيبيروس الثالث وخوفهم لذلك قرروا قتله أو تسليمه للإمبراطور ليقتص منه، وحين علم جستنيان بنواياهم فر من منفاه في خرسون إلى بلاد الخزر ونزل في ضيافة خان(ملك) الخزر، الذي استقبله بكل حفاوة وزوجه من أخته تيودورا.[٤] بيد أن جستنيان الثاني سرعان ما غادر بلاد الخزر خلسة بعد أن وصلته أنباء عن نية الخان تسليمه للإمبراطور تيبيروس بعد أن أغراه بمبلغ كبير من المال،[٥] فوصل إلى بلاد البلغار ولجأ إلى ملكهم ترفل وحصل على عهد منه بحمايته ومساعدته[٦]لاستعادة حكمه مقابل مال يدفعه جستنيان لترفل كل عام.[٧]

فسار معه ترفل على رأس جيش ضخم إلى القسطنطينية في خريف عام٨٦هـ/٧٠٥م، وحين عجز الجيش البلغاري عن اقتحام الأسوار، استطاع جستنيان بفضل بعض رجاله و أتباعه المخلصين داخل المدينة، من أن يدخل القسطنطينية ويستعيد عرشه المسلوب من جديد.[٨]

وما إن تربع جستنيان على عرشه من جديد حتى قام بسلسلة من الأعمال الدموية التي صبغت المرحلة الثانية من حكمه. والتي كانت بدعوى الانتقام من الخونة، وبدأً بمن كان منهم داخل المدينة،[٩] فلم يسلم أحدٌ من شره، فقتل تيبيروس وهو يحاول الهرب وكذلك ليونتيوس بعد أنْ نكل بهما، وحتى هرقل القائد الذي حقق النصر

١- ميخائيل: تاريخ ميخائيل الكبير، ج٢/صـ ٣٦٩

٢- فرج ويوسف: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية صـ ٥٨

٣- رستم : الروم , ج١/ صـ ٢٧١- ٢٧٢

- أومان: الإمبراطورية البيزنطية صـ ١٤٠- ١٤٢

٤- Theophanes: Chronicle of Theophanes p 70

- المسعودي: التنبيه والإشراف صـ ٨٥

٥- أومان: الإمبراطورية البيزنطية صـ ١٤٠- ١٤١

- فرج ويوسف: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية صـ ٦٢

- فرح: تاريخ بيزنطة السياسي صـ ١٤٤

٦- المسعودي: التنبيه والإشراف صـ ٨٥

- عمران:معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية صـ ٨٥

٧- المسعودي: التنبيه والإشراف صـ ٨٥- ٨٦

٨- العريني: الدولة البيزنطية صـ ١٧١- ١٧٢

٩- رستم : الروم , ج١/ صـ ٢٧٢

للإمبراطورية أحضره جستنيان من تراقيا وشنقه مع جميع قواده.[١] بعدها التفت جستنيان إلى من بقي من خصومه في الخارج، وبالطبع خصومه الشخصيين وليس خصوم دولته الذين أعماه حقده عن ملاحظة تقدمهم وضغطهم على الحدود، وبدل أنْ يقوم الإمبراطور بتركيز قواته لمواجهة العرب الذين وصلوا إلى خريسوبوليس، وجه القوى التي تحت تصرفه لعقاب مدينتي رافنا وخرسون،[٢] فقد كان ناقماً على أهالي خرسون أشد النقمة لما لقيه منهم حين كان منفياً عندهم، فقُبض على أعيانها وأرسلوا إلى العاصمة فأمر جستنيان بربطهم بقضبان معدنية وشويهم، حتى صار جستنيان مكروهاً لدى الجميع مما عجل في خاتمته،[٣] فقد ثار أهالي خرسون و تصدوا للحملة الثانية وتمكنوا من ردها على أعقابها، الأمر الذي دفع قادة الحملة وأفرادها إلى التمرد ضد السلطة الإمبراطورية، ونادوا بقائدها باردانس إمبراطوراً ودخلوا معه القسطنطينية بعد أن فتح السكان أبوابها، ليتخلصوا من جستنيان وظلمه، الذي قُتل على يد أحد حراسه كما قُتل طفله تيبيروس من زوجته تيودورا، فانتهى بمقتله حكم أسرة هرقل الذي دام حوالي مئة عام[٤]. وكان الظلم والاستبداد أهم ما ميز عهد الإمبراطور العائد فساهم في إغراق البلاد في موجة من الضعف والاضمحلال والفوضى. [٥]

وخلف أسرة هرقل في الحكم مجموعة من الأباطرة الذين تميزت عهودهم بالفوضى والاضطراب، وذلك بسبب ضغط المسلمين على الحدود الشرقية من جهة، وتقدم البلغار عبر الحدود الشمالية الغربية من جهة أخرى.[٦]

٦- فيليبيكوس(باردانس) ٩٣- ٩٥هـ/٧١١- ٧١٣م:

كان الإمبراطور الجديد رجل لهو ومسرات فقط، وبعيد كل البعد عن الإحساس بالمسؤوليات الجسام التي فرضها عليه منصبه الجديد، وبينما كانت جيوشه تعيش التمزق والفوضى بعد أنْ فقدت القيادة الرشيدة والكفاءة العسكرية واللياقة الميدانية منذ تلك الأيام السوداء التي كانت تعيشها في ظل حكم جستنيان، كان فيليبيكوس ينفق الأموال الطائلة على لهوه ومجونه، في الوقت الذي كان فيه البلغار يطرقون أبواب القسطنطينية من الشمال والمسلمون يجتاحون أقاليم آسيا الصغرى من الجنوب،[٧] وقبل أن يكمل عامه الثاني من جلوسه على العرش، عصفت به مؤامرة، انتهت بوضع سكرتيره الخاص أرتيموس أنستاسيوس على العرش.[٨]

١- فرج ويوسف: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية صـ ٦٤

٢- فرج ويوسف: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية صـ ٦٤- ٦٥

٣- أومان: الإمبراطورية البيزنطية صـ ١٤٢

٤- فرح: تاريخ بيزنطة السياسي صـ ١٤٤- ١٤٥

٥- OSTROGORSKY:A History of the Byzantine states, P 126 -127

٦- العريني: الدولة البيزنطية صـ ١٨٤

٧- فرج ويوسف: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية صـ ٦٨

٨- ميخائيل: تاريخ ميخائيل الكبير، ج٢/صـ ٣٧٥

- أومان: الإمبراطورية البيزنطية صـ ١٤٣

- عمران:معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية صـ ٨٦

فكان ضحيةً للفوضى العارمة التي كانت تعبث بأركان البلاد, والتي أصبحت صفة للإمبراطورية آنذاك, فيتدخل العامة في تنصيب أحد موظفي القصر إمبراطوراً.

٧- أنستاسيوس الثاني (أرتيميوس) ٩٥-٩٧هـ/٧١٣- ٧١٥م:

تميز عهد أنستاسيوس الثاني بعدد من الظواهر، كان أولها الرجوع إلى السلام الديني مع روما بإلغاء كل القرارات الدينية التي أصدرها فيليبيكوس، والثانية كانت محاولة إصلاح الجيش الذي كان في أشد درجات الانحلال، وأما الظاهرة الثالثة فهي تزايد الخطر الخارجي القادم من الحدود الشرقية لبيزنطة والمتمثل بالمسلمين،[١] لذلك فقد وجه أنستاسيوس الثاني جل اهتمامه إلى تحصين العاصمة والدفاع عنها.

وحين وصلته الأنباء عن نية العرب في غزو بلاده، أراد أن يسبقهم فيهاجمهم في عقر دارهم، فأرسل في عام ٩٧هـ /٧١٥م حملة بحرية لمهاجمة الأساطيل والموانئ الإسلامية على سواحل بلاد الشام، لكن رجال البحرية البيزنطية على ما يظهر، كانوا قد اعتادوا التمرد، لذلك عادوا إلى القسطنطينية وعزلوا أنستاسيوس الثاني ونصبوا مكانه رجلاً يدعى تيودوسيوس.[٢]

٨- تيودوسيوس الثالث ٩٧- ٩٩هـ/٧١٥- ٧١٧م:

كان تيودوسيوس هذا أحد جباة الضرائب، ولم يكن راغباً في الحكم على الإطلاق، حتى أنه حاول الفرار ليتخلص من هذا العبء الكبير، غير أن المتمردين أجبروه على قبول العرش.[٣]

وهذه صورة جديدة من الفوضى والتحلل الأخلاقي الذي كانت تعيشه الإمبراطورية البيزنطية والذي لم يعد مقتصراً على القصر والمدنيين فقط بل امتد إلى الجيش الذي وجد أنَّ التمرد على السلطة المركزية والتقاعس في تنفيذ المهام أسهل بكثير من مواجهة الأعداء، كما أنَّ منصب الإمبراطور بات عبئاً غير مرغوب فيه لأنه غالباً ما يودي بصاحبه إلى التهلكة. وحين اقترب المتمردون من القسطنطينية تركها أنستاسيوس في يد وزرائه الموثوقين وتمركز في نيقية فدارت حرب أهلية لما يزيد على الستة أشهر بين المتمردين وأنصار أنستاسيوس، بقيت القسطنطينية خلالها عصية على المتمردين، فلم يتمكنوا من دخولها إلا بعد استمالة بعض حراسها، عندها اضطر أنستاسيوس إلى الرضوخ للأمر الواقع، وانتقل إلى أحد الأديرة ليعيش راهباً هناك.[٤] أمّا الإمبراطور الجديد فإنَّ عهده كان يمثل ذروة الانهيار والتدهور الذي أصاب الإمبراطورية البيزنطية في الداخل والخارج. كما أنَّ جهله السياسي وعجزه الإداري جعله أشبه بدمية تجلس على العرش[٥] بلا حول ولا

١- فرج ويوسف: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية صـ ٧١

٢- فرح: تاريخ بيزنطة السياسي صـ ١٤٥- ١٤٦

٣- العريني: الدولة البيزنطية صـ ١٨٥

٤- فرج ويوسف: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية صـ ٧٤- ٧٥

٥- فرج ويوسف: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية صـ ٧٥

قوة. فاستحوذ قواده على السلطة الفعلية تاركين له الاسم فقط، حتى جاءت سنة ٩٩هـ/٧١٧م حيث قام ليو الأيسوري بعزله وتولي العرش مكانه.[١]

ليو الثالث (الأيسوري) ٩٩- ١٢٤هـ/٧١٧- ٧٤١م:

ولد ليو لأسرة فقيرة كانت تقيم في شمال سورية،[٢] ثم انتقل مع أسرته إلى إقليم تراقيا في المرحلة الأولى من حكم جستنيان الثاني، و أثناء محاولات جستنيان استعادة عرشه، قدم ليو ما يستطيع من مساعدة للإمبراطور المخلوع الذي لم ينس صنيعه, فكافأه بوظيفة جيدة بعد عودته إلى سلطانه.[٣] واستمر ليو في تلك الوظيفة إلى ما بعد عهد جستنيان، فكان الوقت كافيا لتظهر مهاراته العسكرية النادرة، خاصة في إحدى الحملات التي كانت موجهة إلى القفقاز، فاستحق منصب قائد ثغر الأناتوليك (الأناضول)، وذلك في عهد الإمبراطور أنستاسيوس الثاني.[٤] والجدير ذكره هنا أن إقليم أناتوليك كان يعد من أكبر وأهم الأقاليم البيزنطية، مما زاد في شهرة ليو ومكانته في الدولة، ومن منصبه الجديد بدأ ليو يخطط للوصول إلى أكبر منصب في الدولة البيزنطية، وعمل بكل جد من أجل تحقيق هذا الهدف، وحين انتقل الأمر إلى تيودوسيوس الثالث المغمور،العازف عن العرش، أدرك أن الفرصة باتت مواتية، لذلك تحالف مع أرتاباسدوس قائد ثغر الأرمينياك، وأغراه بتزويجه من ابنته، كما تحالف مع العرب،[٥] أو الأصح تظاهر بالتحالف مع العرب، متخذاً بذلك الخطوات الأولى للوصول إلى عرش القسطنطينية.

وسار ليو بجيشه إلى ثغر الابسيق (هناك عدة روايات عن كيفية وصول ليو إلى القسطنطينية، سترد تفاصيلها لاحقا) فقبض على ابن الإمبراطور وبعض أفراد حاشيته, ثم دخل القسطنطينية وتربع على عرشها, بعد أن تنازل تيودوسيوس عن العرش مقابل الأمان له ولأهله، وفي آذار سنة ٩٩هـ/٧١٧م توج ليو إمبراطورا على العرش البيزنطي، باسم ليو الثالث، فأصبح سيد القسطنطينية،[٦] وربما في أكثر أوقاتها حرجاً. إذ كان عليه التصدي لحملة عربية، أكبر وأقوى بكثير من الحملة التي

١- المسعودي: التنبيه والإشراف صـ ٨٦

- فرح: تاريخ بيزنطة السياسي صـ ١٤٦

2 -HUSSEY(J.M): The Byzantine world, Harper torch books /The Academy Library, Harper & Row, publishers, New York and Evanston 1961 ,p 28

- الشيخ:تاريخ الإمبراطورية البيزنطية صـ ١١٢

٣- Theophanes: Chronicle of Theophanes p85

- العريني: الدولة البيزنطية صـ ١٨٦

٤- فرح: تاريخ بيزنطة السياسي صـ ١٦٥- ١٦٦

- فرج ويوسف: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية صـ ٨٠- ٨١

٥- العريني: الدولة البيزنطية صـ ١٨٧

٦- HUSSEY :The Byzantine world p 28

- OSTROGORSKY:A History of the Byzantine states, P 137 -138

تصدى لها قسطنطين الرابع منذ ثلاثين عاماً. وفي وقت لم يكن يملك فيه سوى جيش محطم، وخزانة خاوية ونظام إداري تشيع فيه الفوضى. ولكن هذا كله لم يفت في عزيمة ليو بل زاده إصرارا على إصرار حتى تمكن من رد الحملة.[١]

بنجاح ليو في إنقاذ القسطنطينية, كتب للإمبراطورية البيزنطية أن تعيش عمراً أطول مما مضى على وجودها, بعد أن شارفت على الهلاك على يد الأمويين, الذين لو نجحوا في مهمتهم, لأصبحت أملاك الإمبراطورية البيزنطية والأراضي الأوربية ميداناً تتسابق فيها خيولهم.

وبقي ليو مدافعاً عن الإمبراطورية البيزنطية حتى أواخر حياته، حيث توَّج انتصاراته على العرب بانتصاره الحاسم في معركة أكروينون[٢] ليبعد بهذه المعركة خطر الأمويين عن دولته بشكل شبه نهائي.

وقد توفي ليو الثالث مؤسس الأسرة الأيسورية سنة ١٢٤هـ/٧٤١م تاركاً العرش لابنه قسطنطين الخامس[٣].

قسطنطين الخامس ١٢٤- ١٥٩هـ/٧٤١- ٧٧٥م :

تولى قسطنطين الخامس العرش رسمياً بعد وفاة أبيه سنة١٢٤هـ/٧٤١م، بعد أنْ تولاه إمبراطوراً مساعداً لأبيه مذ كان في الثانية من عمره.[٤] وكان في ملازمته لوالده في جميع الحملات التي وجهت ضد العرب والبلغار، صقل لشخصيته العسكرية والإدارية مما جعله بغير غريب على الحكم ومطلع عن قرب على دقائق سياسة الدولة.[٥]

وبعد ولايته العرش بمدة قصيرة تمرد عليه صهره ارنيكوس، فدخل القسطنطينية ونصب نفسه إمبراطوراً بدل قسطنطين الذي كان خارج المدينة، فلجأ إلى العمورية مركز قيادة أبيه سابقاً، ومنها بدأ يعد عدته لاستعادة عرشه.[٦]

فجرت المعركة الفاصلة بين الطرفين في أيار سنة ١٢٦هـ/٧٤٣م وانتهت بانتصار قسطنطين على صهره، ومن ثم على ابنه نيكيتاس، حيث دخل قسطنطين بعد ذلك القسطنطينية مستعيداً عرشه ومنتقماً من أعدائه شر انتقام.[٧]

بعد تخلص قسطنطين من منافسيه, تزوج من ابنة خان الخزر, ليضمن بذلك ولاء الخزر له, فيحركهم حسب ما تدعو مصالحه, وليتفرغ لنزاعاته الخارجية،[١] حيث

١- أومان: الإمبراطورية البيزنطية صـ ١٤٥ + ١٤٧

٢- العريني: الدولة البيزنطية صـ ١٨٩

- عثمان: الحدود الإسلامية,ج٢ صـ ٩٤

٣- عاشور(عبد الفتاح سعيد): أوربا في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية ط١٠ ١٩٨٦م, , ج١/صـ ١٣٣

٤ -OSTROGORSKY: A History of the Byzantine states, P 147

٥ عمران:معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية صـ ١٠٢

٦- ميخائيل: تاريخ ميخائيل الكبير، ج٢/صـ ٣٩٦

- فرح: تاريخ بيزنطة السياسي صـ ١٦٨

- عمران:معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية صـ ١٠٣

٧- فرح: تاريخ بيزنطة السياسي صـ ١٦٨

استغل الخلافات الداخلية في الدولة الأموية في أواخر أيامها فاسترد سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م بعض الجهات الواقعة على أطراف آسيا الصغرى وأعالي النهرين من المسلمين، كما صد سنة١٣١هـ/٧٤٨م هجوماً إسلاميا على جزيرة قبرص.[٢]

ويبدو أن الانتصارات الخارجية، وتوقف الفتوحات الإسلامية الناتج عن انشغال المسلمين بمشاكلهم الداخلية على أثر انتقال الخلافة الإسلامية من الأمويين إلى العباسيين[٣]مكنته من القيام بإصلاحات داخلية أدت إلى إنعاش أحوال الإمبراطورية، ليترك لخلفائه دولة منظمة وجيش يدين بالولاء للإمبراطور وخزانة عامرة بالمال قبل أن يتوفى سنة١٥٩هـ/٧٧٥م[٤]. وهو في السابعة والخمسين من العمر.[٥]

وهكذا تكون حياة قسطنطين قد انتهت بعد انتهاء عصر الدولة الأموية بحوالي ربع قرن وبذلك كان آخر الأباطرة البيزنطيين الذين عاصروا الدولة الأموية.

---

١ - HUSSEY :The Byzantine world p 28

- OSTROGORSKY:A History of the Byzantine states, P 139

٢- عاشور: أوربا في العصور الوسطى, ج١/ صـ ١٣٤

٣- عمران:معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية صـ ١٠٤

٤- عاشور: أوربا في العصور الوسطى, ج١/ صـ ١٣٥

٥ - الشيخ:تاريخ الإمبراطورية البيزنطية صـ ١٣٨

الفصل الثالث

- الجيش في العصر الأموي

أولاً- نظم الجيش

أ- التجنيد

ب- مصادر الجند

ج- مكونات الجيش

د- التعبئة والتنظيم

هـ-الرتب العسكرية

ثانياً - أسلحة الجيش

(أ)- الأسلحة الفردية

(ب)- الأسلحة الجماعية

ثالثاً- نظام الجيش الأموي في المعارك البرية

آ- خطة المعركة

ب- المسير إلى المعركة

ج- جمع الأخبار

د- المعسكر

هـ- المعركة

الفصل الثالث: الجيش في العصر الأموي:

على الرغم من الحروب الكثيرة التي خاضها العرب في العصور السالفة للإسلام، فإنهم لم يعرفوا جيشاً بالمعنى الحقيقي للكلمة، ولم يَخبروا إلا القليل من فنون الحرب، التي تمرس بها جيرانهم من الفرس والروم، فقد كان لدى العرب ما يمكن تسميته (بـ جيش الطوارئ) إذ كانوا يتجمعون حول أميرهم أو شيخ قبيلتهم كلّما دعت الحاجة، وذلك لمواجهة خطر محدق أو لغزو أحد الخصوم، فكان كلُّ رجل قادر يحمل ما بين يديه من أسلحة ثم يركب فرسه إن كان يملك واحداً منها، وينطلق الجميع بقيادة زعيمهم لمواجهة عدوهم في كرٍ وفر ودون تخطيط مسبق في أغلب الأحيان، وما إن تنتهي الغزوة أو يزول الخطر حتى يعود كل إلى عمله السالف وتبقى العشيرة أو القبيلة دون جيش منظم مثابر على التدريب والتخطيط.

وبقيت الأحوال هكذا في معظم البقاع العربية حتى جاء الإسلام، فوضع الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم اللبنة الأولى للجيش الإسلامي الذي تجمع منه في معركة بدر ولأول مرة في تاريخ الإسلام ثلاث مئة وأربعة عشر مقاتل وفارسان، وتطور هذا الجيش ليبلغ تعداده ثلاثة آلاف مقاتل بين راكب وراجل في غزوة مؤتة، وحوالي اثني عشر الفاً في غزوة حنين.[1]

وما إنْ انتقلت الخلافة إلى الأمويين حتى عملوا على إكمال ما بدأه الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدين، وامتلكوا جيشا أصبح خلال برهة من الزمن من أقوى جيوش عصره، وأكثرها تنظيماً، بدليل الانتصارات العظيمة التي حققها في مشارق الأرض ومغاربها، ولكن لعله من الضروري وقبل التطرق إلى هذه الانتصارات التعرف أولا على أهم وحدات هذا الجيش وأسلحته.

أولاً- نظم الجيش:

آ- التجنيد:

لم يعرف العرب التجنيد الإلزامي إلا في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لأنَّ المسلمين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا يتسابقون إلى حمل السلاح والقتال ضد أعداء الإسلام طواعية وجهاداً في سبيل الله دون إلزام من أحد، إذ يقول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام:(لا يخرجن معنا إلا راغب في الجهاد.)[2] وفي

١- ابن الأثير: الكامل, ج٢/صـ١٤, ١١١, ١٣٤

٢- خماش(نجدة): الإدارة في العصر الأموي,دار الفكر,دمشق ط١ ١٩٨٠م, صـ٢٥٦

عهد الخليفة العادل عمر بن الخطاب ونتيجة لازدياد عدد المسلمين ظهرت الحاجة إلى إنشاء ديوان للجند تدوّن فيه أسماؤهم ومقدار أرزاقهم وأعطياتهم،[١] ومن ثم فرض التجنيد الإلزامي على كل من دوّن اسمه في هذا الديوان، بعد ازدياد حاجة الدولة إلى المقاتلين، لمواجهة الخطر الفارسي الذي كان يلوح في الأفق، فاستنفر عمر كل عمال الأقاليم بكتبه:(لا تدعوا في ربيعة ولا مضر ولا حلفائهما أحداً من أهل النجدة ولا فارسا إلا جلبتموه فإنْ جاء طائعاً وإلا حشرتموه.) [٢]

أما في العصر الأموي فقد اختل نظام التجنيد، بسبب الفتنة التي قامت على إثرها الدولة الأموية، وانشغال المسلمين آنذاك بقتال بعضهم بعضاً دفاعاً عن رأيهم واعتقادهم[٣]، لا دفاعاً عن الإسلام ودولتها. وحين رجحت الكفة الأموية دب التقاعس في صفوف المسلمين، فانصرفوا عن الجهاد وصار المال أداة التجنيد الأولى، فيكثر جند الخليفة أو يقلون حسبما تحتوي خزائنه من الأموال.[٤]

وقد أدرك معاوية وبعض خلفائه بأن التجنيد الإلزامي وحده غير كاف لتأمين جيش متماسك موال للخليفة، لذلك لجئوا إلى شراء ولاء الجند وقادتهم بالمال الذي بذلوه رخيصاً، ويؤيد جرجي زيدان هذه الفكرة قائلاً: (لم يقتلوا عبد الله بن الزبير إلا بالمال. ولو بذل عبد الله المال مثلهم لكانت الخلافة في نسله لا في بني أمية.)[٥]

وإذا اخفق المال في تحقيق الغرض المرجو منه سلكوا مسالك أخرى كاستمالة بعض الزعماء وشيوخ القبائل بقضاء حوائجهم حيناً, وإغرائهم بالمناصب حيناً آخر, وإذا تطلب الأمر قاموا باستمالة قبيلة على حساب أخرى.[٦]

وفي كثير من الأحيان انحرف الجيش عن مهمته الأساسية(الدفاع والفتح) تاركاً قتال الأعداء, ليصبح أداة في يد الخلفاء أو الطامعين بالخلافة،[٧] إما طمعاً في مال أو تعصب لشخص أو فكرة, فتعددت الفرق وتنوعت, ففي أيام عبد الملك بن مروان تمرد عبد الرحمن بن الأشعث, إضافة إلى حركة المختار ودعوة ابن الزبير الذي خرج منذ أيام يزيد بن معاوية وغيرهم[٨] فلو لم يجد هؤلاء من يؤيدهم ما خرجوا وتمردوا, إذ كان لدى الجند آذاناً صاغية لكل ثائر, وقد زاد تمرد الجند حتى كان

١- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي صـ ٢٥٧

٢- العسلي(بسام): فن الحرب في عهود الخلفاء الراشدين والأمويين ,عمليات الجبهات الشمالية والشرقية والبحرية ,دار الفكر بيروت ط١ ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م, ج١ صـ ١٧.

- خماش:الإدارة في العصر الأموي صـ ٢٥٧

- خماش: الشام في صدر الإسلام صـ ٢٤٢

٣- زيدان(جرجي):تاريخ التمدن الإسلامي,دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة, بيروت طبعة جديدة ١٩٨٢م,ج١صـ٢٠٧- ٢٠٨

٤- بابتي(عزيزة فوال): العصر الأموي أدبه وحضارته, دار الإنشاء للصحافة والطباعة والنشر, طرابلس ط١ ١٩٨٤م صـ ٢٤

- علي:تاريخ بلاد الشام صـ ٣٧٤

٥- زيدان(جرجي):تاريخ التمدن الإسلامي, ج١/١٠٧

٦- الدقدوقي:الجندية صـ ١٢٩

٧-علي:تاريخ بلاد الشام صـ ٣٧٤

- فوزي (فاروق عمر): الجيش والسياسة في العصر الأموي ومطلع العباسي، دار مجدلاوي، عمان ٢٠٠٥م صـ ٧٤- ٧٥

٨- المسعودي: التنبيه والإشراف صـ ١٦٥- ١٦٦

يخشاهم الخلفاء فهذا معاوية يوصي ابنه يزيد قائلاً:(... وانظر أهل العراق, فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملاً فافعل, فإن عزل عامل أحب إليَّ من أن تشهر عليك مئة ألف سيف.)[١] إنَّ حالة الجيش هذه، إضافة إلى تعدد الأحزاب السياسية والفكرية المعارضة للدولة الأموية ونجاح هذه الحركات في الانتصار على الجيش الأموي أحيانا، بالإضافة إلى اعتياد البعض على حياة الاستقرار والرفاهية، مع قلة الإيمان بشرعية القتال، أدت إلى انتشار ظاهرة الفرار من الجيش،[٢] الأمر الذي دفع عبد الملك بن مروان إلى إحداث ما عرف بـ (الساقة) بقيادة والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي وذلك لإرغام الناس على الالتحاق بالجيش وملاحقة المتقاعسين.[٣] فلما أراد عبد الملك الخروج لقتال مصعب بن الزبير استبطأ أهل الشام فسلط عليهم الحجاج، فعمد الحجاج إلى إحراق دار كل من تخلف عن الخروج، فأسرع أهل الشام إلى الخروج والالتحاق بالجيش.[٤] وفي عهود الاستقرار السياسي في العصر الأموي وخاصة عند استئناف عمليات الفتوح كان يمكن تمييز عدة أصناف من المقاتلة في الجيش الأموي:

الأول: من المتطوعين الذين التحقوا بالجيش رغبة في الجهاد في سبيل الله، دون إلزام أو انتظار ثواب من أحد إلا من رب العالمين، وكانوا غالبا ما يشتركون في حملة معينة أو عند تعرض الأمة لخطر ما، فيعودون إلى ديارهم لمجرد انتهاء الحملة أو زوال الخطر.

أمّا الصنف الثاني: فجند نظاميون مسجلون في ديوان الجند وهم من أصحاب العطاء، وخاضعون لأوامر القيادة العسكرية ويعملون بناء على أوامرها.[٥] مقابل رواتب محددة يتقاضونها في أوقات معينة, لهم أن يطالبوا بها كما يطالب المرء بديونه, إن تأخرت عن ميعادها. وإذا فقد أحدهم سلاحه أو عتاده، فيعوض عنه، كما يعطى نفقات السفر إذا كلف بذلك.[٦]

كما يمكن في بعض الأحيان تصنيف نوع ثالث من الجند عرفوا بالبعوث، فإذا كانت القوات المستقرة في الأمصار والأجناد غير كافية لتنفيذ بعض المهام الكبرى أو الطوارئ الجسيمة كان يتم إعلان النفير فيطلب الجنود غير المسجلين في الدواوين للقيام بهذه الأعباء مقابل رواتب وأرزاق معينة. ومن ذلك البعث الذي ضربه الوليد

١- الطبري: تاريخ الطبري ج٥/صـ ٣٢٣

- بابتي:العصر الأموي أدبه وحضارته, صـ ٢٤

٢- الطبري: تاريخ الطبري ج٦/ صـ ١٩٧

٣- الدقدوقي:الجندية صـ ١٢٩- ١٣٠

- فوزي:الجيش والسياسة صـ ٧٦- ٧٧

٤ - بابتي: العصر الأموي صـ ٢٦

٥- النويري(شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م):نهاية الأرب في فنون الأدب, وزارة الثقافة والإرشاد القومي, المؤسسة المصرية العامة, القاهرة, ح٦/صـ ١٥٢- ١٥٤

- علي:تاريخ بلاد الشام صـ ٣٧٤

- الدقدوقي:الجندية صـ ١٢٨

٦- علي:تاريخ بلاد الشام صـ ٣٧٦

بن عبد الملك سنة ٨٨هـ/٧٠٧م على أهل المدينة لغزو الروم فضرب عليهم بعث ألفين.[١]

وأما بالنسبة لجند الثغور فإمّا أنْ يكونوا جنداً مقيمين لهم عطاؤهم المقرر في الديوان، فيعرفون بالمرابطين لقيامهم بالرباط على الحدود، مقيمين مع نسائهم وأولادهم. أو يكونوا مندبين لمهمة معينة أو لميزة فيهم أو يكونوا مبعثين من جند البعوث.[٢]

ب- مصادر الجند:

رغم تطور الجيش الإسلامي في العصر الأموي من حيث العدد والتنظيم، إلا أنَّه لم يتمكن من التغلب على تكوينه العشائري القبلي، فالوحدة العسكرية (الكتيبة) كانت تتكون في الغالب من عشيرة واحدة[٣] وأحيانا من عدة عشائر متقاربة في النسب، بقيادة شيخ العشيرة أو أحد وجهائها. وقد عمل الخلفاء الأمويون على كسب ولاء هؤلاء القادة بطرق مختلفة كبذل الأموال أو العطايا والمناصب وإنْ اخفقت هذه الوسائل، كانوا لا يترددون في اللجوء إلى التهديد والوعيد،[٤] وتنفيذ تهديدهم إنْ لم تكن النتائج كما أرادوا.

والمصدر الأساسي للجند في العصر الأموي، كان العنصر العربي المسلم، ولكن بعد توسع رقعة الدولة وانتشار الإسلام بين أقوام غير عربية، دخل الجيش عناصر مسلمة غير عربية (الموالي)، حاربوا إلى جانب العناصر العربية، ورغم وصول بعضهم إلى مناصب قيادية عليا مثل طارق بن زياد، إلا أن سيادة العناصر العربية ظلت واضحة خلال العصر الأموي.[٥]

وقد استقر الجيش الإسلامي في مناطق عديد من الدولة الأموية، ففي بلاد الشام كانت مناطق تمركزهم تسمى بالأجناد, والأجناد كانت بداية معسكرات لإقامة الجند, ومع انتقال عيالات الجند للإقامة في هذه المعسكرات تحولت شيئا فشيئاً إلى مدن كبيرة. وفي مناطق الدولة الأخرى كانت الأجناد تعرف بالأمصار مثل الكوفة و البصرة والجابية والفسطاط والقيروان وغيرها.[٦] والأمصار هي مدن قائمة سابقاً فكان يتم تمصيرها بتجنيد أبنائها كجنود على أهبة الاستعداد.

وكان جند الشام يتألف من جند دمشق، وجند الأردن، وجند فلسطين وجند حمص[٧] الذي انفصل عنه جند قنسرين في خلافة معاوية بن أبي سفيان، ويقال بل انفصل في

١- عثمان:الحدود الإسلامية,ج٢ صـ ٢٦٦

٢- عثمان:المرجع نفسه,ج٢ صـ ٢٦٦, ٣١٤

3- DVORIK(Frangis):Origins of Intelligence Services، Rutgers University press، New Brunswick، New JERSEY P194

٤ - فوزي: الجيش والسياسة صـ ٤٨- ٤٩

٥- العسلي: فن الحرب,ج١ صـ ١٨- ١٩.

٦- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي صـ ٢٥٧

- طهبوب: موسوعة التاريخ الإسلامي صـ ١٧٨

- فوزي: الجيش والسياسة صـ ٤٩

٧- ابن العديم: بغية الطلب، ج ١/صـ ٢, ٣

خلافة يزيد بن معاوية،[١] أما الجزيرة فقد جندت منذ عهد عمر بن الخطاب.[٢] وكان الناس في زمن عمر وعثمان يجتمعون بالجابية لقبض مستحقاتهم ومهماتهم الموكلة اليهم, وبعد توسع حركة الفتوح نقلهم معاوية بن أبي سفيان إلى دابق لقربها من الثغور.[٣]

ج - مكونات الجيش:

اختلف الجيش في العصر الأموي عن كلَّ ما كان عليه في العصر الراشدي فقد أصبح هناك فرق أساسية وأخرى ثانوية إلى جانب موظفين إداريين وغيرهم.

ومن الفرق الأساسية:

١- الخيالة (الفرسان): يشكلون الكتلة الرئيسية ويناط بهم غالباً الهجوم واختراق صفوف الأعداء. ٢- المشاة: ومهمة هؤلاء غالباً دفاعية لكسر أو امتصاص هجوم الأعداء وكان الرماة يشكلون أبرز عناصرهم.[٤] إلا أنَّ بعض الولايات كانت تقدم بدل الرماة رجالاً من حملة الحراب كما كان هناك فرق من المشاة الثقيلة يقفون على الممرات الجبلية يلبسون الدروع ويحملون البلط والرماح والسيوف والتروس.[٥]

ومن الفرق الثانوية الملحقة بالجيش فرقة الخدمة وفرقة النقابين التي تماثل مهام سلاح الهندسة في الجيوش الحديثة، إذ تقع على عاتقها مهمة فتح ثغرات في حصون الأعداء وتمهيد الطرقات وبناء الجسور وغيرها.

وكان للمرأة مساهمة كبيرة وفعالة في الجيوش الإسلامية إذ كان من عادة العرب في العصر الأموي إرفاق النساء بالجيوش، لما لهذا العمل من أثر إيجابي على معنويات الجند واندفاعهم في المعركة،[٦] كما كان للمرأة مساهمات قتالية إلى جانب الرجل أحياناً، وفي أغلب الأحيان كانت تكلف بمهام عسكرية إدارية من أهمها إمداد المقاتلين بالمياه والطعام والذخيرة، إضافة إلى مهام العلاج والإسعاف.

وكان يرافق الجيش عادة مجموعة من الموظفين المدنيين مثل: الصراف، والخازن والقاضي، والمترجم، وصاحب الخبر، والواعظ،[٧] وصاحب الأقباض: الذي يجمع ويقسم المغانم، والرعاة: الذين يعرضون المطالب على العدو، والساقة: الذين يلحقون من يتخلف من الجند بوحداتهم، والقصاصون: الذين كانوا يلعبون دوراً هاماً في تهدئة النفوس الحائرة وخاصة في أيام التعسكر, التي قد تطول أحياناً, فيؤجج

١- ابن العديم: زبدة الحلب، ج ١/صـ ٥٤

٢- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي صـ ٢٥٧

٣- ابن العديم: بغية الطلب، ج١/صـ ٣

٤- الدقدوقي:الجندية صـ ١٣٢- ١٣٣ + ١٤٤

- طهبوب: موسوعة التاريخ الإسلامي صـ ١٨١

٥- علي:تاريخ بلاد الشام صـ ٣٦٥

٦- البلاذري (الإمام أبي الحسن أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م): فتوح البلدان, وضع حواشيه عبد القادر محمد علي, منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية, بيروت ط١ ٢٠٠٠م, صـ ١٠٤

- ابن العديم: بغية الطلب، ج ١/صـ ٣٥

٧- الدقدوقي:الجندية صـ ١٣٢- ١٣٣ + ١٤٤

- طهبوب: موسوعة التاريخ الإسلامي صـ ١٨١

الفراغ مشاعر الشوق إلى الأهل والديار, إذا لم تؤجج مشاعر الخوف من القتال, لذا كان القصاصون ينتشرون بين الجند يقرؤون الآيات التي تحض على الجهاد وتبين فضله وفضل طلب الشهادة، أو يقرؤون القصص والأشعار الحماسية التي تتغنى بأمجاد الآباء والأجداد. وإضافة إلى هؤلاء كان هناك أيضاً الكتبة وسعاة البريد وغيرهم[١].

د- التعبئة والتنظيم:

لقد تمت تعبئة الجيش الإسلامي غالباً في خمس كتل رئيسية، هي المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة،[٢] وكان هذا التقسيم هو الأساس في تعبئة الجنود في معظم الحروب التي خاضتها الجيوش الأموية.

وقد اقتبس المسلمون نظام الصف في المعركة من الآية الكريمة:{إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص}[٣] لذلك اصطف الجنود المسلمون في صفوف منتظمة كصفوف الصلاة, ففي الصف الأول يقف حاملو الرماح, فحاملو السهام ثم السيوف, وعلى الأجناب يقف الفرسان, كما كان للصف أشكالاً متعددة ومنها:

١ - الصف المستوي: وفيه يكون الجناحان والقلب على خط مستقيم.

٢- الصف الهلالي: أو المقعر وفيه يكون القلب متأخراً فيما تقدمت الأجناب.

٣- الصف المعطوف: أو المحدب وفيه يتقدم القلب وتبقى الأجناب متأخرة.[٤]

وقد استبدل المسلمون فيما بعد نظام الصفوف بنظام جديد كان يُعرف بالكراديس،[٥] وخالد بن الوليد كان أول من استخدم أسلوب الكراديس في الإسلام وذلك في معركة اليرموك،[٦] إلا أن نظام الصفوف ظل معمولاً به بعد اليرموك إلى جانب الكراديس، وتنظيم الجنود في صفوف أو كراديس كانت تعود إلى رغبة قائد الجيش ورؤيته الخاصة للمعركة. وقد استمر الحال كذلك حتى عهد مروان بن محمد الذي ألغى نظام الصف نهائياً وأحل الكراديس مكانها.[٧] في حين يؤكد سعدي أبو جيب إنَّ مروان بن محمد لم يوقف نظام الصف بشكل نهائي، بدليل أنَّه نظم جنوده صفوفاً في قتاله مع ثابت بن نعيم سنة ١٢٦هـ/ ٧٤٣م ، وتعود شهرة مروان بن محمد بهذا النظام إلى

١- بابتي: العصر الأموي صـ ٣٢

- خماش: الشام في صدر الإسلام صـ ٣٥٢-٣٥٣

٢- DVORIK: Origins of Intelligence Services, P194

٣- سورة الصف: الآية ٤

٤- هندي(إحسان): الحياة العسكرية عند العرب أو الجيش العربي في ألف عام، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٦٤م. صـ ٢٤٨.

٥- الكراديس: مفردها كُرْدوس: كان يتكون من مقنبين والمقنب يتكون من أربعة صفوف متقاطرة والصف يتكون من ستة عشر رجلاً.[بابتي: العصر الأموي صـ ٣٠]

٦- ابن الأثير: الكامل ح٢/ صـ ٢٥٦

- الدقدوقي:الجندية, صـ ١٤١.

- الوكيل(محمد السيد): الأمويون بين الشرق والغرب ،الدار الشامية،بيروت ،دار القلم،دمشق ط١ ١٩٩٥م ، ق١/ صـ١٤٣.

٧- بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية, صـ ١٦٢- ١٦٣

- الدقدوقي:الجندية صـ ١٤١.

- الوكيل: الأمويون بين الشرق والغرب ، ق١/ صـ١٤٣.

كثرة اعتماده على الكراديس، أكثر من أي قائد أموي أخر،[١] واعتماد مروان هذه الطريقة في أغلب معاركه يعود إلى أنَّ أغلب غزواته الموجهة إلى الأراضي البيزنطية أو حتى الأرمينية كانت في مناطق جبلية وعرة، والكراديس أثبتت فاعليتها في المناطق الجبلية بعكس الصفوف التي كانت تحتاج إلى أراض فسيحة ومرمى واسع، ففي الأراضي أو الدروب الضيقة كان لا يمكن إشراك الجيش كله في القتال دفعة واحدة، لضيق المكان أولاً، وصعوبة المناورة ثانياً، إضافة إلى أنَّ الدروب الضيقة يمكن أنْ تكون مرتعاً مناسباً للكمائن المفاجئة، فابتكر مروان تكتيكاً مناسباً لطبيعة المنطقة، وهو عدم إقحام كل الكراديس في القتال فيضيق المكان ويصعب القتال وتنعكس النتائج، لذلك عمل على دفع الكراديس تتابعاً، كردوس يقاتل وآخر ينفذ استراحة حتى يتعب الكردوس المقاتل فيحل آخر مكانه، وبهذه الطريقة يهلك جيش العدو المضطر لملاقاة الجحافل المهاجمة بينما يكون الجند العربي المهاجم في أتم راحة.[٢]

كما أن مروان أجرى تعديلا هاماً على تعبئة الجنود، وذلك أنَّ الكراديس قبله كانت تتألف من أفراد قبيلة واحدة، أي إن كل قبيلة تشكل كردوساً مستقلاً برئاسة شيخ القبيلة. أما مروان فقد عبّأ الكردوس من قبائل متعددة، وانتخب لقيادتها قادة محترفون عُرفوا ببأسهم وحسن إدارتهم، حتى سميت بعض الفرق بأسماء قوادها كالوضاحية نسبة إلى الوضاح، والذكوانية نسبة إلى مسلم بن ذكوان.[٣]

هـ ـ الرتب العسكرية:

كانت الرتب العسكرية في الجيوش الأموية على الشكل التالي :

١ـ أمير الجيش: كان الخليفة نفسه غالبا ما يحتل هذا المنصب أو أحد المقربين منه أو أحد القادة الأكفاء، حيث كانت أعلى رتبة في الجيش الأموي، يتمتع متقلدها بصلاحيات واسعة شبه مطلقة.[٤] وكان يتم اختيار القادة من جند دمشق غالباً، وذلك بسبب موقع جند دمشق المتأخر عن أجناد حمص وقنسرين والجزيرة، فيبقى القائد برفقة من تبقى من جنده في طريق العودة حين يلحق كل جندٍ بأهله.[٥]

ومن الرتب الأخرى: أمير التعبئة، وأمير الكردوس، والقائد، والخليفة والعريف.[٦] وهناك رتب أخرى ولكن حولها بعض الجدل مثل النقيب الذي يجعله البعض فوق

١- أبو جيب: مروان بن محمد صـ ٩٥ , ٩٨

٢- أبو جيب: مروان بن محمد صـ ٩٦ , ٩٧

٣- أبو جيب: المرجع نفسه صـ ٩٦

٤ - الدقدوقي:الجندية صـ ١٢٢

٥ - ابن العديم: بغية الطلب، ج ١/صـ ٣

٦ - الدقدوقي:الجندية صـ ١٢٢

العريف،[١] فيما يجعله البعض الأخر أقل رتبة [٢] وكذلك المنكب الذي ليس هناك ما يوضح عمله ، فمن قائل إنَّه رئيس العرفاء إلى قائل إنَّه تابع للعريف.[٣]

ثانياً ـ أسلحة الجيش:

(آ)-الأسلحة الفردية:

كباقي أمم الأرض علاقة العرب بالسلاح قديمة ووطيدة، وقد يختلف العربي عن غيره، بتقديره الشديد لسلاحه، حتى عده رمز عزته وكرامته، وقد قدمه بعضهم على أولادهم، منذ ما قبل الإسلام، وحتى بعده، وقد ظلت علاقة العربي بسلاحه بنفس القوة، بل ربما أقوى مما كان عليه قبل الإسلام، لأنها لم تعد الوسيلة التي يدافع بها عن نفسه وأهله فحسب بل أداته التي يجاهد بها في سبيل دينه وربه، وفي العصر الإسلامي استخدم الأمويون أنواعاً كثيرة من الأسلحة، منها ما كان يستخدم بشكل جماعي وأخرى تستخدم بشكل فردي ومنها:

١)- السيف:

كان السيف من أشهر الأسلحة وأكثرها استخداماً عند العرب المسلمين، وكان يستخدمه الرجالة والخيالة على حد سواء، وقد أطلق العرب على السيف أسماء مختلفة، فقد سميت حسب المكان الذي صنعت به أو حسب اسم مالكها أو صانعها أو حسب شكلها ومن أسمائها: إبريق، واصليت، وباتر، وحسام، وذالق وصارم وغيرها.

وقد اشتهرت بعض أنواع السيوف عند العرب نسبة إلى مكان صنعها كاليمانية والهندية والخراسانية والسليمانية والشامية، وكان السيف الإسلامي مستقيماً وظل شائعاً حتى القرن الثالث عشر الهجري تقريباً حيث ظهر السيف المقوس.[٤] وقد اشتهر عند العرب بعض السيوف بذاتها مثل: سيف ذي الفقار للأمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وسيف الصمصامة الذي كان لعمر بن معد يكرب[٥] و....الخ.

٢)- الرمح:

الرمح أيضاً استخدم من قبل الرجالة والخيالة، ويتألف الرمح من قسمين رئيسين:

آـ القناة: وهي من أعواد الأشجار القوية أو قصب الخيزران.

ب- السنان: وكانت تصنع من الحديد أو الفولاذ.

---

١ - النويري :نهاية الأرب ح٦ /صـ ١٥٢- ١٥٤ .

٢ - طهبوب: موسوعة التاريخ الإسلامي صـ ١٨١

٣ - طهبوب: المرجع نفسه صـ ١٨١

٤- النويري: نهاية الأرب ج٦/صـ٢٠٢- ٢٠٣

- زكي(عبد الرحمن): السلاح في الإسلام, الجمعية الملكية للدراسات, مكتبة أدوات البحث التاريخي والوثائق والنصوص, دار المعارف , لالقاهرة ١٩٥١م صـ ٣٣- ٣٤

٥- زيدان(جرجي):تاريخ التمدن الإسلامي, ج٢٤١/١

- فرج(محمد):المدرسة العسكرية الإسلامية, تقديم إبراهيم الطحاوي وعبد الرحمن فوده,دار الفكر العربي,بيروت ١٩٦٩م صـ ٢٤٨

ولا يقال للقناة رمح ما لم يثبت عليها السنان،[١] وكانت أسنة الرماح أشكالاً مختلفة منها المشعب والعريض والرفيع والمستوي والمموج وغير ذلك.[٢] ويتراوح طول الرمح بين الأربعة وحتى العشرة أذرع، والرماح تنسب إلى صنّاعها مثل: الردينية، والسمهرية، واليزنية، والقعضبية، والشرعبية والقنطاريات.[٣] ولم يعتمد العرب عليها كثيراً خوفاً من انكسارها.[٤]

٣) ـ القوس:

وهو عود من الخشب اللين والمتين في الوقت ذاته، يحنى طرفاه بقوة حتى يتقوس كالهلال ، ويثبت عليه وتر من الجلد أو العصب القوي لترمى به السهام.[٥]

ويقول العباسي في أثار الأول: (أجود القسي ما كثر قرنها، وقل خشبها، وصح لحامها، واشتد جفافها، وثقل وزنها، وقوي حيلها.)[٦] وكان للقوس مكانة كبيرة في الجيوش الأموية، لما له من فاعلية، خاصة أنه يمكن إصابة الهدف به دون الالتحام بالعدو, كما أنه فعال جداً في حالات الدفاع عن الحصون, إذ يكفي الرامي فتحة ضغيرة في السور للتحقيق أفضل النتائج, إلا أن استخدامه يحتاج إلى مهارة كبيرة، حصل العرب على نصيب كبير منها ساعدهم على ذلك ما تميز به المسلمون من حدة البصر، إضافة إلى تدريبهم المستمر في رحلات الصيد أوقات السلم.[٧]

والأقواس حسب استخدامها كانت على نوعين: قوس اليد، وقوس الرجل. وقسي اليد اشتهر منها قبل الإسلام ثلاثة أنواع هي: الحجازي، والشريحي، والواسطي، كما اشتهر منها بعد الإسلام أيضاً ثلاثة وهي: الدمشقي والماسخي وقوس المحراة. وأهم أجزاء القوس هي: الكلية، والأبهر، والطائف، والسية، والمقبض، والفرض والفرضة.[٨]

٤)- السهم:

والسهام هي ذخيرة القسي، ومن دون السهام، تصبح القسي أدوات عديمة الفائدة، والسهام كانت تصنع من شجر صلب بطول الذراع تقريباً والسهم والنبل والنشاب أسماء لأداة واحدة. ومن أجزاء السهم: القدح، والنصل، والكعب، والفوق، وسنخ النصل، والرعظ، والرصافة، والحفر والريش.[٩]

١- هندي(إحسان): الأسلحة وآلات القتال عند العرب المسلمين في القرون الوسطى, مركز الدراسات الإستراتيجية, دمشق ٢٠٠٤م صـ ٨٢,٨١,٧٦.

٢- زيدان(جرجي):تاريخ التمدن الإسلامي, ج١/ ٢٤٢

٣- هندي: الأسلحة وآلات القتال صـ ٨٢,٨١,٧٦.

٤- فرج:المدرسة العسكرية الإسلامية صـ ٢٤٩

٥- الدقدوقي: الجندية, صـ ٢٢٦

٦- العباسي(حسن بن عبد الله ت ٧١٠هـ/ ١٣١٠م): أثار الأول في ترتيب الدول, حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه د. عبد الرحمن عميره, دار الجيل, بيروت ط١ ١٩٨٩م صـ ٣١٥

٧- فرج:المدرسة العسكرية الإسلامية صـ ٢٥٠

٨- النويري:نهاية الأرب ج٦,صـ٢٢٣

- هندي: الأسلحة وآلات القتال صـ ٤٨- ٥١, ٦١.

٩- هندي: المرجع نفسه صـ ٥٤- ٥٧

٥)- الدرع:

والدرع رداء مصنوع من الجلد أو زرد الحديد أو الفولاذ. استخدمه الجنود المسلمون لحماية أنفسهم من ضربات السيوف والرماح وغيرها.[١]

وللدروع أنواع عديدة أهمها:

السابغة: وهي الطويلة التي تغطي البدن بأكمامها وحاشيتها الطويلة التي تصل إلى الكعبين، لذلك اعتاد من كان يرتديها على شد وسطه بنطاق من جلد كي لا تعيقه الحواشي أثناء القتال.

والبتراء: وهي بلا أكمام وأقصر من السابغة تصل إلى الركبة أو فوقها بقليل، وهي قليلة الحماية لمرتديها.

ومن أنواعها الأخرى:الزعفة، والمضاعفة، والنثرة، والنثالة، والمسرودة، والسك واللأمة .[٢]

وكان الدرع عادةً يتكون من: الجوشن: وهو الجزأ الذي يقي الصدر، لكن بلا ظهر وأكمام.

والمغفر: وهو نسيج من حلقات معدنية يلبس تحت البيضة (الخوذة) وكان يتدلى قسم منه لحماية الرقبة والوجه, أما الساقان والأكف فكان يتم حمايتهما بدروع خاصة من الحديد. [٣]

٦)-الترس:

والترس صفيحة من الخشب أو المعدن أو الفولاذ، كان الجنود يستخدمونها لوقاية أنفسهم من الضربات المعادية المختلفة, بمسكها باليد اليسرى بواسطة مقبض مثبت على وجهها الخلفي. [٤]

والتروس لها أشكال مختلفة منها: المقبب وهو مفيد في الوقاية من ضربات النشاب والحجارة والسيوف.والمستطيل وهو مفيد ضد النشاب. وأما المسطح فهو فعال في مواجهة ضربات الرماح.[٥] ومن أسماء الترس: البصيرة، والجوب، والجنه، والحجفه، والدرقة، والعنبر والفرض.[٦]

١- الدقدوقي: الجندية, صـ ٢٣٧

٢- هندي: الأسلحة وآلات القتال صـ ٣٠- ٣٢

٣- الدقدوقي:الجندية صـ ٢٣٩

٤- هندي: المرجع نفسه صـ ١٧

٥- زيدان:تاريخ التمدن الإسلامي,ج١/ ٢٤٢

- هندي: المرجع نفسه صـ ١٧

٦- النويري:نهاية الأرب ج٦,صـ ٢٣٩

- الدقدوقي:الجندية صـ ٢٤٠- ٢٤١

(ب)- الأسلحة الجماعية:

١)- المنجنيق:

يماثل المنجنيق سلاح المدفعية في عصرنا الحالي وكان يستخدم غالباً في حالات الحصار، حيث يعتبر من أكثر الأسلحة فعالية في هذه الحالات، إذ يقوم برمي الحصون بقدور النفط أو الكلس المشتعل، أو الحجارة، أو السهام النارية، والعادية وغيرها من المقذوفات إلى مسافات بعيدة محدثة أكبر الأثر.

وقد أتقن العرب استخدام المجانيق بدقة كبيرة بعد أن أدخلوا عليها الكثير من التحسينات من الناحية الميكانيكية ومن حيث المقذوفات والأنواع أيضاً.[١] فصنعوا منها أنواعاً صغيرة وأخرى كبيرة، ومنها ما هو بلولب، ومنها ما هو بدائرة وثقالات من الرصاص.[٢]

٢)- العرادة:

وهي آلة حربية شبيهة بالمنجنيق ولكنها أصغر حجماً وهي مخصصة لرمي الحجارة.[٣]

٣)- الدبابة:

والدبابة آلة ضخمة كانت تتحرك على عدة عجلات وكانت تصنع من الخشب السميك،[٤] وتغلف باللبود أو الجلود المنقعة في الخل لحمايتها من نيران العدو،[٥]

وهي مختلفة تماماً عن الدبابة في العصر الحالي، بل إنها تشبه من حيث وظيفتها ناقلات الجنود، حيث تقوم بنقل الجنود المحتمون بداخلها إلى قرب الأسوار المحاصرة, فيقومون من داخلها بالعمل على ثقب السور أو هدمه.

وقد أدخل الأمويون الكثير من التحسينات عليها من حيث حجمها إذ أصبحت أضخم من ذي قبل وعلى وظيفتها إذ صنع بعضها على شكل برج مرتفع يناطح أعلى

١- الزردكاش(ابن أرنبغا ت ٧٦٧هـ/١٣٦٥م): الأنيق في المجانيق, تحقيق إحسان هندي, من منشورات جامعة حلب معهد التراث العلمي العربي, المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم, معهد المخطوطات العربية صـ ٤١-٤٥

٢- العباسي: أثار الأول صـ ٣٦٥

- فرج:المدرسة العسكرية الإسلامية صـ ٢٥٣

٣- العباسي: أثار الأول صـ ٣٧١

- زكي: السلاح في الإسلام صـ ٤٠

٤ - زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي, ج٢٤٦/١

٥ - العباسي: أثار الأول في ترتيب الدول صـ ٣٦٥

الأسوار في داخلها سلالم كثيرة يستخدمها الجنود للارتقاء إلى أعالي الأسوار ودخول الحصن عن طريقها.[١]

٤)- رأس الكبش:

وهو عمود خشبي ضخم في نهايته رأس من الحديد على شكل رأس كبش, وكانت تعلق بالدبابة بواسطة سلاسل وحبال، وحين تقترب الدبابة من السور يتعاون مجموعة من الجنود بضرب الكبش بالسور حتى ينهار جزء منه أو تنفتح فيه ثغرة.[٢] فكان سلاحاً فعالاً في اقتحام الأسوار.

٥)- الحبل والسلّم:

كان الجنود يستخدمونها للتسلق إلى أعالي أسوار الحصون، وقد تطورت السلالم فأصبحت ذات أحجام كبيرة لبعضها قواعد خشبية أو عجلات.[٣] وكانت فعالة جداً في حالات التسلل, وخطر في حالات التسلق المكشوف, إذ يكون من السهل على جنود الأعداء, مقاومة المتسلقين أو منعهم.

١ - زكي: السلاح في الإسلام صـ ٢٤- ٢٥

- فرج: المدرسة العسكرية الإسلامية صـ ٢٥٤

٢ - زكي: السلاح في الإسلام صـ ٤٨- ٤٩

٣ - الدقدوقي:الجندية صـ ٢٣٥- ٢٣٦

ثالثاً- نظام الجيش الأموي في المعارك البرية:

آ- خطة المعركة:

إنَّ الحديث عن المعارك البرية وخططها في العصر الأموي قد يثير الاستغراب أحياناً، لأن الفكرة السائدة لدى الكثيرين هي عدم وجود خطط حربية أساساً، وإنَّ القتال كان يحدث تنفيذاً لرغبة شخصية للخليفة أو القائد العام وبشكل عفوي، ودون أي تخطيط مسبق.

إلا أنَّ دراسة المصادر والمراجع المختلفة، وخاصة تلك التي نقلت صفحات هامة من رسائل مروان بن محمد إلى ابنه عبد الله تبين المستوى المتقدم للخطط الحربية الأموية، وباعتبار أنَّ مروان بن محمد كان آخر الخلفاء الأمويين، فإنه من الممكن اعتبار ما تضمنته رسائله من خطط وتوجيهات تكتيكية حصيلة نهائية للخطط والاستراتجيات الأموية، وبناء عليه يمكن القول إنَّ الحروب التي خاضتها الدولة الأموية على مختلف الجبهات، وعلى الجبهة البيزنطية تحديداً، كانت لا تحدث إلا بعد وضع خطة حربية في منتهى الدقة والتنظيم، تجاري في دقتها وتنظيمها الخطط التي تضعها الجيوش الحديثة إنْ لم تتفوق عليها.

والخطة كانت توضع بعد تحديد الهدف من المعركة، ورغم أنَّ جميع المعارك التي دارت رحاها على الجبهة البيزنطية كانت تشترك في الأهداف العامة، التي سبق وأشير إليها، فقد كان لبعضها أهداف خاصة، تكون الغاية المرجوة من تلك المعركة. وبعد تحديد الهدف، تبدأ المشاورات والدراسات المعمقة لقوات الطرفين وأسلحتها إضافة إلى دراسة أرض المعركة، والأحوال الجوية، والحالة النفسية للجند، ومدى جاهزيتهم ومدى اقتناعهم بهدف المعركة. وحصيلة كل هذه الأعمال كانت خطة المعركة، وعلى الخطة تتوقف إلى حد كبير نتيجة المعركة، فالخطة التي تحقّق النصر هي تلك التي تتقرر نتيجة لدراسات سليمة وصحيحة.[1]

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هل أمتلك الأمويون خرائط جغرافية ام لا؟ اذ كيف لهم بدراسة أرض العدو واطلاع القادة عليها بدون خارطة؟ وهل كانوا يمتلكون ادوات خاصة بالقياس والرسم غير المعروفة لينا الآن؟

ولعل الحوار الذي دار بين الوليد بن عبد الملك وقائديه مسلمة بن عبد الملك وموسى بن نصير عشية الحملة الأموية الثالثة على القسطنطينية والذي سيرد لاحقاً لخير دليل على المناقشات العسكرية التي كانت تسبق صناعة الخطة.

---

١ - فرج: فن أدار المعركة, الكتاب (٤٥) / صـ ٧١

ب ـ المسير إلى المعركة :

وبعد الانتهاء من عمليات الحشد والتنظيم، كما هو مبين من قبل، كان على قائد الجيش القيام بمجموعة من الإجراءات للتأكد من جاهزية الجيش قبل الانطلاق وهي:

١) استعراض الجند, وإخراج كل من يشك في جاهزيته جسمياً أو نفسياً, فمن لم يكن قادراً جسمياً على تحمل أعباء المسير والقتال سيصبح عبأ ثقيلاً وتسريحه أفضل بكثير من بقائه، أما من لم يكن مستعداً نفسياً فوجوده ليس عبء فحسب وإنما فيه خطر على رفاقه, لأن الخائف سيفر عند أول محنة, وهذا ما سيكون له أسوء الأثر على عمل باقي الجند وفاعليتهم. [١]

٢) على القائد عمل كل ما من شأنه توحيد الصفوف, وجمع الكلمة وتجنب كل ما قد يؤدي إلى زرع التفرقة أو الضغينة بين الجند, كتقديم البعض على البعض لوجود فرابة بينه وبينهم, أو انتمائه وإياهم إلى مذهب أو طائفة معينة.

٣) وعلى القائد أيضاً توزيع المهام والمناصب على القادة بمختلف رتبهم وتعريف الجند بهم حفظاً على النظام وحسن تنفيذ الخطة وسد الطريق على المتأمرين المتذرعين بعدم المعرفة.

٤) وعليه أن يجعل لكل طائفة شعاراً. والشعار كثيراً ما كان يستخدم في نقل الأوامر إلى الجند من خلال حركات معينة.[٢]

٥) وأن يتفقد الخيل فيتأكد من صلاحيتها وقدرتها على تحمل أهوال الحرب. ويقال إنَّ هشام بن عبد الملك عرض جنده يوماً، فنفر برجل من أهل حمص فرسه ودنا من هشام فقال له:(ويلك تركب مثل هذا الفرس فإنْ نفر بك في الحرب صرعك فهلكت.)[٣]

٦) على القائد أن يكون خبيراً في شؤون المسير والقدرات المتباينة للجنود, فيسير ويستريح بما يتلاءم مع قدرات أضعفهم, فيحافظ بذلك على قدراتهم وجاهزيتهم الدائمة.[٤] وهذا ما أوصى به عبد الملك ابنه مسلمة حين أغزاه فقال:(فكن يابني بالمسلمين باراً رحيماً، وأميراً حليماً، ولاتكن عنيداً كفوراً، ولا مختالاً فخوراً.)[٥]

إنَّ المدقق في الإجراءات السابقة يجد دستوراً عسكرياً متكاملاً، كما يلاحظ الخبرة العميقة لدى قادة الجيوش الإسلامية ليضعوا هذا النظام المتكامل والذي يتضمن كل ما يحيط بالجيش من إجراءات تنظيمية، وكل ما يتعلق بالجنود من مستلزمات معاشيه وميدانية، مع مراعاة أحوالهم النفسية وقواهم العضلية.

---

١ ـ العباسي: أثار الأول في ترتيب الدول صـ ٣٣٩

ـ النويري:نهاية الأرب ح٦ /صـ ١٥٢ـ ١٥٤

٢ ـ النويري :نهاية الأرب ح٦ /صـ ١٥٢ـ ١٥٤.

٣ ـ النويري :نهاية الأرب ح٦ /صـ ١٥٢ـ ١٥٤ .

ـ مجهول: العيون والحدائق صـ ٦٤

٤ ـ النويري :نهاية الأرب ح٦ /صـ ١٥٢ـ ١٥٤ .

٥ ـ ابن أعثم: الفتوح ج٣/ صـ ٦٣

وبعد انتهاء القائد العام من إجراءاته، يستعرض كل قائد من القواد وحدته، لتلافي أي خلل لم ينتبه له قائده، وبعد ذلك تأتي أوامر أمير الجيش بالمسير على بركة الله،[١] بعد أن يلقن القواد وصاياه التي غالبا ما كانت تحتوي خططاً وتكتيكات حربية هامة جدا. ومن ذلك وصية عبد الملك بن مروان لقائد الجيش الذي سيَّره إلى الأراضي البيزنطية، فقال:(أنت تاجر الله لعباده، فكن كالمضارب الكيس الذي إنْ وجد ربحا تجر، وإلا تحفظ برأس المال، ولا تطلب الغنيمة حتى تجوز السلامة، وكن من احتيالك على عدوك، أشد حذرا من احتيال عدوك عليك.)[٢] ويلاحظ من وصية عبد الملك ان سلامة الجيش تأتي في مقدمة أولويات قائد الجيش، وإيلاء الحيلة هذه الأهمية دليل على أدراك القادة الأمويين بأن القوة مهما بلغت لن تجدي نفعاً ما لم تقترن بالخطط الإستراتيجية والخدع الحربية. ومما يذكر عن اهتمام الخلفاء بسلامة الجيش إنَّ الوليد لما كانت أيام خلافته علم أنَّ الطريق الحربي الذي تسلكه معظم الصوائف والشواتي الإسلامية بين أنطاكية والمصيصة معرض لهجوم الحيوانات المفترسة، لذلك قام الوليد وأخوه يزيد بإسكان تلك المنطقة بمجموعات من الزط ومعهم قطعان من الجواميس لتأمين الطريق الحربي، وذلك بإطلاق الجواميس إذا ما خرج جيش إسلامي يقصد ذلك الطريق، فتنشغل الوحوش بمطاردة الجواميس بينما يمر الجيش بأمان.[٣]

وبعد صدور أمر التحرك، ينطلق الجيش إلى مهمته على دقات الطبول والأهازيج، وذلك لدب الحماس في نفوس المقاتلين والمودعين في الوقت ذاته، إضافة إلى أنَّ قرع الطبول استخدمت كإشارة لبدء المسير وتوقفها كان يعني توقف المسير.[٤]

وفي حال كانت قوات العدو لا تزال بعيدة عن منطقة مرور جند المسلمين، فإنَّ الخيالة كانت تسير في المقدمة وعلى جناحيها النبالة، ثم الرجالة في صفوف كثيفة ومن خلفهم الجمال المحملة بالعُدد والخيام والعتاد، ومن بعدهم الخدمات الطبية، وغيرهم من الشؤون الإدارية،[٥] ونظراً لحساسية الجبهة البيزنطية وقرب الثغور من الحدود، ومع ارتفاع احتمال تعرض القوات الإسلامية لهجوم مفاجئ، كان القادة الأمويون ينظمون جنودهم بترتيب، يمكن معه الانتقال من ترتيب المسير إلى ترتيب القتال بأسرع ما يمكن، مع توفير أعلى درجات الحيطة والحذر. لذلك فقد نظمت القوات الإسلامية في الغالب إلى مقدمة، وأجناب (ميمنة ومسيرة)، ومؤخرة(ساقه)، وكانت القوات الرئيسية والشؤون الإدارية والطبية تسير في الوسط لتكون محمية من كل طارئ.[٦]

---

١ - هندي:الحياة العسكرية صـ ٢٢٨- ٢٢٩

٢ - ابن عبد ربه: العقد الفريد, ج١/صـ١٣٢

٣ - ابن العديم: بغية الطلب، ج ١/صـ ٣٧

- ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١/ق٢/ صـ ١٤٧- ١٤٨

٤ - عثمان: المرجع نفسه,ج٢ صـ ٢٨٤

٥ - هندي:الحياة العسكرية ص ٢٢٨- ٢٢٩

٦ - النويري :نهاية الأرب, ج٦ /صـ ١٥٨

- العسلي :فن الحرب ج١/صـ٥٢

ج – جمع الأخبار:

كانت عملية جمع الأخبار المتعلقة بالعدو وبلاده، بثرواتها، وطبيعتها من سهولة ووعورة، بجيشه من حيث العدد والعدة والعتاد، بشعبه من حيث معيشته ومعنوياته، بحدوده، بحصونه، بثغوره. لها أهمية كبيرة، لذلك فالمعلومات كانت تسيل بدون توقف، في كل وقت وحين، قبل المسير وفي وأثنائه وفي المعركة وبعدها وحتى في أوقات الهدنة، وكان يقابل عملية جمع المعلومات عملية أخرى تساويها في الأهمية وهي عملية المحافظة على أسرار الدولة وخططها العسكرية، وقد أدرك العرب أهمية الحصول على المعلومات فاتبعوا من أجل الحصول عليها مسالك عدة منها:

١ـ الطلائع:

إنَّ مهمة الطلائع كانت ـ على مايبدو ـ تختلف من وقت إلى آخر، أو أن مهمتها كانت تتحدد وفق رؤية قائد الجيش أو حسب الظروف المحيطة، فكانت أحياناً على شكل سَرية أو كتيبة متقدمة تجمع المعلومات وتناوش في الوقت ذاته قوات العدو ذات الأعداد القليلة وحتى الكثيرة أحياناً، وهذا ما يعرف بـ (الاستطلاع بالقوة)،[١] ومن ذلك ما كان قبيل حملة مسلمة بن عبد الملك المشهورة لفتح القسطنطينية، فقد أرسل مسلمة كتيبة استطلاعية عبر آسية الصغرى، فتوغلت هذه الكتيبة في إقليم أناتوليا حتى وصلت مدينة عمورية، فحاصرتها وضيقت عليها، حتى تمكن حاكمها ليو الأيسوري من إقناع العرب برفع الحصار،[٢] ويستدل من هذه الواقعة على أن عدد أفراد هذه الكتيبة كان كبيراً بحيث تمكنوا من فرض الحصار وتضيقه على المدينة. كما انطلقت حملة بحرية تمهيدية أيضاً لدراسة الطرق البحرية والتيارات المائية وتدريب البحارة العرب على الإبحار في تلك الاتجاهات وذلك في سنة ٩٧هـ/٧١٦م وبقيادة عمر بن هبيرة الفزاري.[٣]

أمّا الهرثمي صاحب المأمون فيحدد مهمة الطلائع كالتالي:(ليس عليهم إلا أنْ يأتوا بالخبر، ولا يباشروا إلى اللقاء إلا عند ضرورة.)[٤] وهذه ربما كانت مهمة الطلائع الأساسية أو التي عرفت بها، وما قاموا به من أعمال قتالية، ربما كانت بحكم ضرورات الموقف أو ما شابه.

ومهما كانت مهمتهم، فقد كان لهم أهمية كبيرة ويبدو ذلك واضحاً في رسالة مروان ابن محمد إلى ابنه عبد الله:(ثم تقدم في طلائعك فإنَّها أول مكيدتك، ورأس حربك، ودعامة أمرك.) وكذلك قوله: (والطلائع حصون المسلمين وعيونهم، وهم أول مكيدتك، وعروة أمرك، وزمام حربك.)[٥] وكذلك من تشدده في التأكيد على ابنه

---

١ - بركات(وفيق):فن الحرب البحرية(في التاريخ العربي الإسلامي), منشورات جامعة حلب, معهد التراث العربي, حلب ١٩٩٥م صـ ٥٦

٢ - طهبوب: موسوعة التاريخ الإسلامي صـ ١٣٥

٣ - العبادي وسالم:تاريخ البحرية الإسلامية صـ ٣٤

٤ - الهرثمي: مختصر سياسة الحروب، تحقيق عبد الرءوف عون، مراجعة محمد مصطفى زيادة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر ١٩٦٤م صـ ٤٩

٥ - القلقشندى: صبح الأعشى, ج١٠/ صـ ٢١٨, ٢٢٠

بأنْ يقوم باختيارهم بنفسه: (واحذر أن تكل مباشرة عرضهم وانتخابهم إلى احد من أعوانك وكتابك.)[١]

ونظراً لخطورة المهمة الملقاة على عاتقهم، وتعرّضهم الدائم للمخاطر، فإنَّه من أولى واجبات قائد الجيش أنْ يحسن اختيار قائدهم " ينبغي لصاحب الطلائع أنْ يكون رجلاً مذكوراً، بعيد الصوت، ثقة، ناصحاً عاقلاً مدبراً نجداً جسوراً حاضر الحذر وينبغي لجميع الطلائع أن يكونوا من أهل النصحة والنجدة والتجربة للحرب."[٢]

ومادام عملهم يتطلب الخفة والسرعة في نقل الخبر، وحسن التصرف في المواقف الحرجة، فأن اختيارهم كان يتم بدقة كبيرة، من حيث المهارة القتالية، وخفة الحركة ورجاحة العقل وحسن التصرف، فقد أوصى الخليفة الأموي مروان بن محمد أبنه عبد الله قائلا: (فانتخب لها من كل قادة وصحابة رجالاً ذوي نجدة وبأس، وصرامة وخبرة، حماة كفاة، قد صلوا بالحرب وذاقوا سجالها. ثم انتقهم على عينك، واعرض كراعهم بنفسك؛ وتوخ في انتقائك ظهور الجلد، وشهامة الخلق، وكمال الآلة. وإياك أن تقبل من دوابهم إلا إناث الخيول ... فإنها أسرع طلباً وأنجى مهرباً، وألين معطفاً وأبعد في اللحوق غاية وأصبر في معترك الأبطال إقداماً.)[٣] وللسبب نفسه تطلَّب أن يكون عددهم قليلاً وسلاحهم وأحمالهم خفيفة، فيسهل عليهم الفرار إذا باغتهم العدو بأعداده الكثيرة، وأنْ تكون جعابهم مصنوعة من الجلد، لأنَّ الجلد لا يصدر أصواتاً أثناء الحركة " ولا يكونوا أقل من ثلاثة :أحدهم يأتي بالخبر واثنان يتقدمان إلى العدو، وهم لا يلبسون الدروع ولا يحملون الترسة ولا يكون مع أحدهم ثقلة ولا فضول من الظهر، ليكونوا على خيولهم بجعابهم وهي مع سيورها ومعاليقها آدَم فيها مابين العشر نشابات إلى العشرين نشابة وقد سمطوا حقائبهم."[٤] وكي لا يثير القلق أو الفوضى في صفوف الجند ويبقى الخبر في سرية تامة كان صاحب الطلائع، يدخل المعسكر في خلسة، وينقل الخبر إلى القائد على جناح السرعة، وإذا كان القائد في مجلسه ومن حوله الرجال جالسون، كان يخبره بإشارات مشفرة، متفق عليها مسبقاً دون ان يثير الانتباه، وإذا كان ما يحمله من أخبار لا تحتمل التأجيل، وقف بفرسه في موضع واضح للمعسكر راسماً مع فرسه عدة حركات لها معاني معروفة لدى قائده"إن أتى أحدهم بالخبر وصار بحيث يرى العسكر نازلاً أو مصافاً، قرب قليلاً ثم خب ثم أعنق ثم أستمر لشأنه ودخل العسكر برفق وأخبر صاحب الجيش في ستر، ليكن فيما بين الطليعة وصاحب الجيش علامات في خبر العدو من الخوف والأمن والقرب والبعد،إذا لم يمكنه الوصول إلى العسكر أو لم ير ذلك وأمكنه الترأى لهم بفعلها بنفسه ودابته من إدارته وركضه ونزوله وجلوسه وإقباله وإدباره."[٥] ويبدو إن مهمة الطلائع تطورت فيما بعد ولم تعد تقتصر على جلب المعلومات فقط،

---

١ - القلقشندى: المصدر نفسه ج١٠/ صـ ٢١٩

٢ - الهرثمي :مختصر سياسة الحروب صـ ٤٨

٣ - القلقشندى: صبح الأعشى, ج١٠/صـ ٢١٨

٤ - الهرثمي :مختصر سياسة الحروب صـ ٤٩

٥ - الهرثمي : مختصر سياسة صـ ٤٨ , ٥٠

بل تعدت ذلك إلى رسم الخرائط لأرض العدو وطبيعتها ومسالكها ودروبها، الآمنة منها والخطرة والأماكن الصالحة منها لتعسكر والغير صالحة وما شابه ذلك.[١]

٢- العيون:

إنَّ بناء أي خطة عسكرية ونجاحها يتطلب الحصول على معلومات وافية عن العدو(جيشه ،أسلحته، تحصيناته، وخطته إنْ أمكن)، فيقول العباسي: (وإنْ خرج الملك بنفسه إلى الحرب فليبعث العيون ويحقق أمر العدو وما هو عليه، ليقدم على خبرةٍ وبصيرةٍ، فإذا فهم أمر عدوه واطلع على كنه حاله ومدار سياسته وتدبيره، فليقابل ذلك بما يقتضيه.)[٢] واستمرار هذا النجاح يتطلب المحافظة على الخطة نفسها، ومراقبة ومقاومة أية محاولة لتسريبها كلها أو حتى جزء منها، وذلك بمراقبة أي فرد يدعو نشاطه إلى الشك والريبة مهما كان هذا النشاط بسيطاً.[٣] و قد حض الإسلام المؤمنين دائماً على الاستعداد لمواجهة العدو بكافة الوسائل الممكنة بما فيها العيون، يقول الله تعالى:{ وأعدُّوا لَهُم ما اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ ومِنْ ربَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وعَدُوَّكُمْ وآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمْ اللهُ يَعْلَمُهُمْ.}[٤] وقد فطن العرب منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم لأهمية العيون وأهمية الحصول على المعلومات الخاصة بالعدو، ودور هذه المعلومات في تحقيق النصر.[٥]

وقد سار الخلفاء الأمويون على سنة الرسول عليه الصلاة والسلام من حيث الاهتمام بتقصي أخبار العدو وبث العيون وغير ذلك من إجراءات، حتى أسسوا شبكة منظمة من العيون منذ عهد معاوية بن أبي سفيان.[٦] وما كتبه الهرثمي صاحب المأمون، يمكن عده دستوراً في أسس اختيار العيون والتعامل معهم ؛ فالشخص الذي يتم اختياره لهذه المهمة يجب أن يكون قبل كل شيء من أهل الثقة، معروف بالصدق في القول والفعل، ذو عقل راجح، يجيد التصرف في المواقف الحرجة، واثق من نفسه، فإن كان الشخص متقلباً لا يمكن الاعتماد على معلوماته وإن كانت صحيحة، كما يجب أن لا يعرف العيون بعضهم بعضاً، خوفاً من اتفاقهم على أراء قد تكون مغلوطة أو قائمة على الغش، وربما اتفقوا ومالوا إلى العدو فيكونوا عيوناً لهم لا عليهم، فيقول الهرثمي:(لتكن عيونك وجواسيسك ممن تثق بصدقه ونصيحته فإن الظنين لا ينفعك خبره، وإن كان صادقاً. لا تعرف أحداً من الجواسيس صاحبه فإنه لا تؤمن ممالأتهم العدو وتواطئهم على الغش أو أن يورط بعضهم بعضاً.)[٧] ومن الخطأ

---

١ - هندي :الحياة العسكرية ص٢٣٨

٢ - العباسي: أثار الأول صـ ٣٣١

٣ - الدغمي (محمد راكان): التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية، دار السلام،القاهرة ط٢ ١٩٨٥م. صـ ٦٠

٤ - سورة الأنفال :٦٠

٥ - هندي : الحياة العسكرية صـ ٢٣٥

٦ - الدقدوقي: الجندية صـ ١٧٧

- عثمان:الحدود الإسلامية,ج٢ صـ ٣٠٩

٧ - الهرثمي :مختصر سياسة الحروب صـ ٢٤

أنْ تكون العيون معروفةً من قبل الجند ، إذ لا يأمن أنْ يكون بينهم من هو عيناً للعدو، وفي ذلك افتضاح لأمر عين من عيون المسلمين ، خاصة إنْ اكتشفه العدو، ولم يدرِ قائده باكتشافه، فيواصل استخدامه وعندها سيفعل العدو فعلته، إمّا بوضع أخبار خاطئة في طريقه، أو القبض عليه، محاولاً تجنيده أو قتله إنْ اخفق في تجنيده، وفي كل الأحوال فإنَّ النتيجة سلبية، لأنَّ خسارة العيون تعني الكثير، وتعويضه يستلزم الكثير، فليس كل جندي مهما بلغ إخلاصه يصلح أنْ يكون عيناً، وليس كل من يصلح لهذه المهمة يقدم عليها، إضافة إلى أنَّ مقتل العيون على يد العدو بعد اكتشافهم، له أبلغ الأثر على عمل زملائهم ومعنوياتهم "واعلم أنَّ لعدوك في عسكرك عيوناً راصدة، وجواسيس متجسسة، وأنَّه لن يقع رأيه عن مكيدتك بمثل ما تكايده به، وسيحتال لك كاحتيالك له، فاحذر أنْ يشهر رجل من جواسيسك في عسكرك فيبلغ ذلك عدوك ويعرف موضعه، فيعد له المراصد، ويحتال له بالمكايد. فإنْ ظفر به فأظهر عقوبته، كسر ذلك ثقات عيونك، وخذلهم عن تطلب الأخبار من معادنها، واستقصائها من عيونها."[١] ويعد النويري: الكشف عن عيون العدو في صفوف المسلمين، من أولويات عمل قائد الجيش فيقول:(أن يتصفح الجيش ومن فيه فيخرج منهم من كان فيه تخذيل للمجاهدين وإرجاف للمسلمين أو عينا عليهم للمشركين.)[٢] وبالطبع فإنَّ الأمر لا يكون بهذه السهولة والبساطة فليس بين الجند من يملك علامة تدل على أنه عين للعدو، وإنما يكون ذلك بالحرص الشديد وبث العيون بين الجند، وتوعيتهم ليكونوا على حذر من أي رجل تدعو أفعاله إلى الشك والريبة.

وعلى القائد عدم التسرع في معاقبة عيونه إذا نقلوا إليه معلومات تبين أنها خاطئة، لأنه قد يحدث ذلك دون قصد، فيصل أحد العيون قبل الأخر جالباً معه أخباراً حدثت بعد مغادرة زميله بلاد الأعداء ، تبين وكأن ما جلبه زميله من معلومات، خاطئة أو كاذبة، فضلاً عن أنَّ معاقبته قد تؤدي إلى انحيازه إلى العدو "أحفظ من عيونك وجواسيسك ما يأتونك به من أخبار عدوك. وإياك ومعاقبة أحد منهم على خبر إن أتاك به اتهمته فيه أو سؤت به ظناً وأتاك غيره بخلافه، أو أنْ تكذبه فيه فترده عليه ولعله أنْ يكون قد محضك النصيحة وصدقك الخبر، وكذبك الأول، أو خرج جاسوسك الأول متقدماً قبل وصول هذا من عند عدوك... من غيرأنْ يرى أحد منهم أنَّك أخذت من قوله أخذ العامل به والمتبع له، أو عملت على رأيه عمل الصادر عنه، أو رددته عليه رد المكذب به، والمتهم له، المستخف بما أتاك منه، فتفسد بذلك نصيحته، وتستدعى غشه، وتجتر عداوته."[٣] وفي حال ثبت انحيازه أو تبَّين تورط غيره من المسلمين أو أحد رعاياهم، فعمل عيناً للأعداء، فإنَّ عقوبته الإعدام لا محالة وذلك باتفاق رأي الأئمة سواء أكان مشركاً أو ذمياً أو مسلماً، وأجاز القليل منهم تخفيف العقوبة، والعفو إن كان مسلماً.[٤] ولعله من أسباب إخفاق العرب في حصار القسطنطينية الثالث ونجاح البيزنطيين في الصمود، المعلومات الاستخباراتية التي

---

١ - القلقشندى: صبح الأعشى, ج١٠/ صـ ٢١٥

٢ - النويري :نهاية الإرب ج٦/ صـ ١٥٢

٣ - القلقشندى: صبح الأعشى, ج١٠/ صـ ٢١٤- ٢١٥

٤ - هندي(إحسان):أحكام الحرب والسلام في دولة الإسلام، دار النمير، دمشق ط١ ١٩٩٣م صـ ١٨٩

حصل عليها البيزنطيين عن طريق عيونهم وخاصة الوفد الدبلوماسي الذي أرسله الإمبراطور البيزنطي إلى دمشق بحجة التفاوض مع المسلمين، والذي نقل إلى الإمبراطور حجم الاستعدادات الإسلامية، وعزمهم الأكيد على فتح القسطنطينية، مما دفع الإمبراطور لأخذ كافة الاحتياطات من ترميم الأسوار وتحصينها وتموين المدينة بأقوات تكفي على الأقل لثلاث سنوات.[١] وقد كان للأمويين- كما مر سالفاً- جهاز استخباراتي قوي ومتمرس يجيد الحصول على المعلومات واستقرائها، ومن الأعمال الناجحة العديدة التي قامت بها الاستخبارات الأموية على الجبهة البيزنطية، ملاحظتهم الخاطفة والثاقبة لضعف ولاء الجنود السلاف للإمبراطور جستنيان الثاني والإمبراطورية البيزنطية بشكل عام، ونقل هذه المعلومة الهامة إلى القيادة الإسلامية في دمشق على جناح السرعة، والتي أوعزت بضرورة استغلال هذه الفرصة، فعملوا جاهدين، لتنفيذ أوامر قيادتهم, فتكللت جهودهم بالنجاح، فعندما بدأ القتال في معركة سيواس (سباستبول)، تفاجأ الإمبراطور جستنيان الثاني بانقلاب العناصر السلافية ضده، فكانت كارثة حقيقية بالنسبة للبيزنطيين[٢] وكان نصراً عسكرياً واستخباراتياً للمسلمين الذين برعوا في هذا المجال، فأمنوا باستمرار المعلومات القيمة للقيادة العسكرية، التي كانت توظفها أفضل توظيف على أرض المعركة، لتحصد النجاح تلو الأخر.

٣ ـ العلاقات الدبلوماسية :

عرف المسلمون العلاقات الدبلوماسية منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، إلا أنها حكماً لم تكن بالشكل المتعارف عليه حالياً في العلاقات الدبلوماسية بين الدول، إذ لم يكن هناك سفارات بالمعنى الحالي ولا سفراء مقيمين، إنما كان السفراء أشبه بما يعرف اليوم بالسفراء فوق العادة،[٣] فالسفير كان عادة يكلف للقيام بمهمة معينة، وتنتهي صفته غالباً بانتهاء المهمة، فكانوا أحياناً يكلفون بمهام بسيطة كنقل الرسائل الشفوية أو الكتابية، وأحياناً أخرى توكل إليهم مهام أكبر وأهم، كالتفاوض من أجل اتفاق معين (السلام بين المسلمين وجيرانهم، فداء الأسرى، التبادل التجاري،....الخ) وكان هؤلاء السفراء يتمتعون بحصانة كاملة وأعلى مستويات الاحترام[٤] ولم يكن للأمويين علاقات دبلوماسية واسعة، لأن الحروب الطويلة التي خاضوها أخذت معظم وقتهم، لذلك فإن معظم علاقاتهم الدبلوماسية رغم ضيقها تمحورت حول مسائل الحرب والهدنة وما يتعلق بها من مسائل.[٥]

وكانت كل دولة حريصة على انتقاء سفرائها بعناية فائقة وفق شروط دقيقة من الصدق والأمانة ورجاحة العقل وحسن الحديث، وقد اشتهر من كلا الطرفين بعض

---

١ - طهبوب :موسوعة التاريخ الإسلامي ص١٣٥

- علي:تاريخ بلاد الشام صـ ٤٠٠

٢ - رستم :الروم ج١/ صـ٢٦٧

٣ - العدوي(إبراهيم): السفارات الإسلامية إلى أوربا في العصور الوسطى, دار المعارف بمصر, القاهرة ١٩٥٧م صـ ٢٣

٤ - الوكيل: الأمويين بين الشرق والغرب ص١٦١-١٦٢

٥ - عنان (محمد): مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، مطبعة مصر، القاهرة ط٣ ١٩٥٢ صـ٣

السفراء، لعل أشهرهم من الطرف الأموي كان عامر بن شراحيل الشعبي الذي كان بارعاً لدرجة أثارت غيرة الإمبراطور البيزنطي الذي غاظه أن يكون للأمويين مثل هذا السفير، فحاول أن يوغر صدر عبد الملك بن مروان ضد سفيره، لكن حيلته لم تنطلِ على الخليفة الأموي وأدرك هدف الإمبراطور البيزنطي،[١] كما اشتهر من الجانب البيزنطي السفير يوحنا الذي عرف بذكائه ولباقته، والذي كان رئيس الوفد البيزنطي إلى دمشق للتفاوض حول إنهاء حرب السبع سنوات، فنجح في عقد صلح مع الأمويين لمدة ثلاثين عاماً.[٢] والملاحظ أنه كثيراً ما سَّخرت العلاقات أو البعثات الدبلوماسية للحصول على المعلومات، فأغلب الوفود الدبلوماسية كانت تضم بين أفرادها عيوناً متخصصة بالحصول على المعلومة أو استنتاجها، هذا إن لم يكن الوفد عيوناً مقنعة بقناع دبلوماسي،[٣] ومن ذلك كان الوفد الذي أرسله الإمبراطور البيزنطي أنستاسيوس الثاني إلى دمشق في حوالي سنة ٩٥هـ/٧١٤م بحجة التفاوض لعقد هدنة بين الطرفين، لكن الحقيقة كانت لوقوف الوفد على أخبار الحملة التي ينوي الأمويون إرسالها لمهاجمة القسطنطينية، فعاد الوفد يحمل إلى الإمبراطور استعدادات العرب وحجمها، فكان أنْ اتخذ الإمبراطور كل الاحتياطات التي كانت سبباً من أسباب اخفاق الهجوم العربي على القسطنطينية.[٤] وقد بالغت الدولة الأموية في الاحتفال بالسفراء وذلك لتحقق هدفين في آنٍ واحدٍ:

الأول: إظهار كل الاحترام والتبجيل لملك البلاد المرسل للوفد من خلال تكريم سفيره. والثاني إظهار عظمة الدولة وقوتها إيقاع الرهبة في نفوس الوافدين.[٥]

لذا فإنَّ كل طرف كان حريصاً على أن لا يرى السفير أو الوفد ككل، إلا ما يدل على قوة الدولة وعظمتها وتطورها العلمي وتقدمها الحضاري، لذلك كان الطرف المضيف يعد برنامجاً خاصاً لزيارة ضيوفه وذلك برفقة وفد من الجانب المضيف مدرب على التعامل مع هكذا وفود وعلى الرد على الأسئلة التي قد يطرحونها،[٦] "احتراس من رسلهم ولا تتركن أحداً بقربهم ولا يكلمهم إلا العقلاء والثقات وأحذر أن يظفر أحد منهم منكم بشيء حتى يعود إلى موضعه."[٧] كما كان كل طرف حريص على استمالة سفير الطرف الآخر، للحصول على ما عنده من أخبار بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وكسب وده ما أمكن في شروطه إن كان قادماً للتفاوض حول اتفاق ما، فقد حدث ذات مرة أنْ أرسل معاوية سفيراً إلى البيزنطيين ليعقد معهم صلحاً

---

١ - المبرد(أبي العباس محمد بن يزيد ت ٢٨٦هـ/٨٩٩م): الكامل في اللغة والأدب, عارضه بأصوله وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم, المكتبة العصرية, صيدا, بيروت ط١ ١٩٩٩م, ج٢/صـ ٣٧٣

- ابن العماد: شذرات الذهب م٢/ صـ ٢٦

- العدوي: السفارات الإسلامية صـ ٦١- ٦٦

- المخلف(محمد بن مخلف بن صالح): الحرب النفسية, دار عالم الكتب, الرياض ط٢ ١٩٩٣م صـ ٢٥٦

٢ - بركات:فن الحرب البحرية ص ٦١

٣ - عنان: مواقف حاسمة ص١٨٢

- المخلف: المرجع نفسه ص٢٦٧.

٤ - طهبوب:موسوعة ص١٣٤

٥ - العدوي: السفارات الإسلامية صـ ٥١- ٥٢

٦ - الوكيل:الأمويون ١٦٦

٧ - الهرثمي:مختصر سياسة الحروب صـ ٥٨

وشدد معاوية في شروط الصلح، وأمر سفيره بعدم التهاون أو التنازل عن أي شرط من هذه الشروط، لكن البيزنطيين نجحوا في استمالة السفير وأقنعوه بتخفيف الشروط، فاستجاب لطلبهم، مما دعا معاوية إلى عزل السفير ومن ثم حرمانه من المناصب الحكومية.[١]

د – المعسكر:

ويقصد بالمعسكر هنا، المكان الذي يرتاح فيه الجند من عناء المسير الطويل، وهم في طريقهم إلى المعركة. وفي وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ما يوضح مسألة المسير والتعسكر حيث يقول:(أقم بمن معك في كل جمعة يوماً وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون فيها أنفسهم ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم.)[٢] مما يعني أنَّ الجيش كان ينفذ استراحة قصيرة كل يوم، لكنه كان يرتاح يوماً وليلة في نهاية كل أسبوع.

والاستراحة لم تكن تعني التخلي عن إجراءات الأمان، لأنها غالباً ما كانت تنفذ في أراض قريبة من العدو وفي أمكنة محفوفة بالمخاطر، لذا كانت تنفذ مع الاحتفاظ بالجاهزية القتالية للجنود. وكان يسبق التعسكر، اختيار المكان المناسب، من خلال موظفٍ يدعى (الرائد) والذي كان يسبق الجيش عادة ويختار المكان،[٣] المناسب للتعسكر من حيث الأمان وتوفر المرافق فيه وخاصة المياه إن كانت للشرب أو الغسيل بعد مسير عدة أيام.[٤] وبعد اختيار المكان ، تباشر الطليعة بحفر خندق حول المكان حتى وصول الجيش، فيباشر الجيش فور وصوله بالمشاركة في حفر ما تبقى من الخندق وإحاطته بالمحطومات والأغصان الغليظة والنباتات الشائكة[٥] والتي كانت تلعب دور الأسلاك الشائكة في عصرنا الحالي، بعدها ينصرف الجميع إلى نصب الخيام في نظام بديع، بشوارع وأسواق وميادين، كما لو كانت مدينة عامرة، ثم توزع الأرزاق فتوقد النيران وتنصب عليها القدور.[٦] وفي كافة مراحل القتال كانت الحرب النفسية دائماً محل اهتمام القادة المسلمين وخاصة في التعسكر، لأنَّ الفراغ قد يؤجّج مشاعر الحنين إلى الأهل والديار وما لهذه المشاعر من آثار سلبية على حماس المقاتلين، أو قد ينشغل المقاتلون بأحاديث يكون بعضها من صنع العدو نفسه "وينبغي للملك أن ينصب لأهل الحرب قصاصاً وخطباء يذكرونهم بالحرب والوقائع الماضية، والغزوات السالفة، ومواقع الشجعان ومصارع الفرسان، وما وعد الله للشهداء والمجاهدين من الثواب في دار النعيم."[٧] تتم كل هذه الأعمال وسط الوتيرة نفسها

---

١ - الوكيل:الأمويون صـ ١٦٤

٢ - العسلي :فن الحرب ج١/صـ ٥٧

٣ - الدقدوقي :الجندية صـ٢٠٥

٤ - النويري: نهاية الأرب ج ٦/صـ١٥٧

- القلقشندى: صبح الأعشى ج١٠/ صـ ٢٢٦

٥ - القلقشندى: صبح الأعشى ج١٠/ صـ ٢٢٧

٦ - العسلي :فن الحرب, ج١/ صـ ٣٩

- هندي :الحياة العسكرية ص ٢٣٢

٧ - العباسي: آثار الأول صـ ٣٣٠

من إجراءات السلامة، لأن العدو قد يستغل أي خلل أمني لتوجيه ضربه قاضية للجيش المنهمك بالأعمال الإدارية، لذلك فإن القادة كانوا يتخذون مجموعة من الإجراءات لتجنب الوقوع في هذه المواقف، ومن هذه الإجراءات إقامة مفارز الرصد ومن حولهم الدوريات المتحركة، وتقسيم الجند إلى عدة نوبات بحيث يظل قسم منهم جاهزاً دوماً، لمشاغلة العدو، إذا ما حدث هجوم مفاجئ ريثما يستعد الباقون للمشاركة في القتال، بالإضافة إلى الحرس الداخلي الذي يتناوب الحراسة بشكل مستمر.[١] ونظراً لارتفاع احتمال تعرض المعسكر للهجوم ليلاً، وقت انصراف الجنود إلى النوم، فإن إجراءات الأمن والحراسة كانت مستمرة طوال الليل والنهار، إضافة إلى القوة الاحتياطية المناوبة عند كل مدخل.[٢] وقد استخدم الأمويون للمحافظة على الأمن في المعسكر، فنوناً حربية غاية في الذكاء، ومنها استخدام الخيل لتنبيه الحراس إلى وجود خطر محدق، فكما هو معروف إن الخيل والحيوانات بشكل عام حساسة جداً تجاه الحركات الغريبة ويصدرون الأصوات كرد فعل عليها، فينتبه الحراس إلى وجود خلل ما "فإذا أردت نزولاً، أمرت صاحب الخيل التي وكلت بالناس فوقفت خيله متنحية عن معسكرك، عدة لأمر إن غالك، ومفزعاً لبديهة أن راعتك، فقد أمنت بحمد الله وقوته فجأة عدوك."[٣] وإذا حدث وتعرض المعسكر لهجوم مباغت فإنَّ أهم وأول إجراء لمواجهة هذا الهجوم هو المحافظة على رباطة الجأش لدى الجنود وتجنب كل ما من شأنه إضعاف الروح المعنوية لديهم مثل التصايح وإثارة الجلبة والتراكض بدون هدف، بل يسارع كل جندي لاتخاذ موقعه شارعاً رمحه في وجه الأعداء فيما يمطرونهم النبالة بوابل من السهام، بعد أنْ يكبروا ثلاثة تكبيرات متوالية ليرشدوا الجند إلى موضع هجوم العدو.[٤] أمَّا القائد فيجب أنْ تبقى ناره مشتعلة واقدة ليكون نبراساً يهتدي به الجنود، وتهدأ به نفوسهم، بدل أنْ تتقاذفهم الظنون ويتملكهم الخوف وعندها تكون الهزيمة لا محالة.[٥]

وبانتهاء مدة التعسكر، يستعد الجميع للرحيل، وبينما يكون معظم الجيش منهمك بحزم الأمتعة والانتقال إلى وضعية المسير، يبقى الحرس في مكامنهم وتبقى الفرقة المناوبة مستعدة لمواجهة أي طارئ.[٦]

هـ - المعركة:

وبعد انتهاء ترتيبات الرحيل تعود القوات مرة أخرى إلى وضعية المسير، آخذين في الاعتبار بالدرجة الأولى سلامة الجنود من أي هجوم مباغت. وبينما يسير الجيش باتجاه أرض المعركة، يبقى سيل المعلومات متدفقاً على قائد الجيش، من القيادة

---

١ - النويري : نهاية الأرب ج٦/ صـ ١٥٧

- هندي: الحياة العسكرية صـ ٢٣٢, ٢٣٥

٢ - العسلي: فن الحرب ج١/ صـ٤٠

٣ - القلقشندى: صبح الأعشى ج١٠ / صـ ٢٢٦

٤ - القلقشندى: صبح الأعشى, ج١٠ / صـ ٢٢٧- ٢٢٨

٥ - القلقشندى: المصدر نفسه ج١٠ / صـ ٢٢٨

٦ - العسلي : فن الحرب ج١/ صـ ٤٠

العامة(الخليفة)من جهة ومن الطلائع والعيون مباشرة من جهة أخرى، فلا يصل الجيش إلى أرض المعركة إلا وأصبح لدى قيادته تصور شبه كامل عن أرض العدو وقواته وتسليحها وعن خطتها القتالية أحياناً وبذلك يمتلك عامل إضافي للنصر،[١] ويحاول قائد الجيش في كل لحظة منذ مسيره وحتى نهاية المعركة استخدام أفضل وأحدث الخطط والفنون الحربية في لقائه مع عدوه ومنها :

١ـ فرض ميدان المعركة:

أثبتت التجارب أن فرض ميدان المعركة على العدو أنجى وأفضل بكثير من العراك في الميدان الذي يختاره العدو ويخبر بكل تفاصيله ومكامنه ودروبه, وكما يعمل الرائد لاختيار المكان الأفضل للتعسكر, فإنه يتوجب عليه إن أمكن اختيار المكان الأفضل لمواجهة الأعداء أيضاً, بعد دراسته بشكل جيد, وإذا كان بالمكان المختار منهل ماء, كان عليهم النزول بالمكان الذي يؤمن لهم السيطرة على هذا المنهل وحرمان العدو منه[٢] ومن هذه التجارب، الغزوة التي خرجت سنة ٨٨هـ/٧٠٧م بقيادة مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك، والتي حاصرت حصن طوانة، وأحكمت الحصار وعندما علم الأمويون بأنباء حملة بيزنطية قادمة لإنقاذ المدينة ، خالف العباس خطة عمه مسلمة التي كانت تقضي بترك القوات البيزنطية تتقدم إلى أقرب ما يمكن ثم الانقضاض عليها مرة واحدة، بينما رأى العباس المكلف بالتصدي للقوات المهاجمة، التقدم بمن معه ومهاجمة مقدمتهم فارضين عليهم أرض المعركة بدلا من خطة مسلمة التي قد توقعهم بين لحيي الأسد كما قال العباس.[٣]

٢ـ التأني:

أحياناً يتمركز العدو في ميدان يأبى الخروج منه، محاولاً فرضه على المسلمين، عندها يكون التأني أفضل سلاح يتسلح به قائد الجيش، فإنْ صبر، يفقد العدو صبره فيخرج من مكمنه الذي تحصن به وبذلك يفقد عاملاً مهماً من عوامل النصر.[٤] وأحياناً أخرى يقوم القائد باختراق أراضٍ للعدو دون تأمين خط سيره أو إمداداته، متعجلا لبلوغ هدفه، تاركاً العدو من خلفه يهاجم مؤخرة جيشه وينهب إمداداته، مثلما حدث مع مسلمة بن عبد الملك حين توجه سنة ٩٨هـ/٧١٧م لفتح القسطنطينية مخترقاً آسيا الصغرى سائراً مباشرة باتجاه القسطنطينية.[٥] فكان تعجله أحد أسباب إخفاقه، حين نفذت المؤن وأصبح طريق إمداداته عرضة لغارات اللصوص والعصابات.

٣ـ الحذر:

إنْ الحذر والتأني والحرب النفسية وغيرها، من الأسلحة غير المحسوسة التي استخدمها العرب في حروبهم الطويلة ضد البيزنطيين وفي كافة مراحل حروبهم منذ

---

١ - هندي : الحياة العسكرية صـ ٢٣٨

٢ - العباسي: أثار الأول صـ ٣٣١

٣ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٦/صـ ٤٣٤

٤ - الهرثمي: مختصر سياسة الحروب صـ ٢٠

٥ - طقوش : تاريخ الدولة الأموية صـ ١٣٠

اللحظة الأولى للتخطيط للمعركة وحتى اللحظة الأخيرة التي يعود فيها الجند إلى معسكراتهم التي انطلقوا منها، وكان الهدف من ذلك دائماً، تحقيق النصر بأقل الخسائر، والحذر يتطلب الوقوف المستمر على أخبار العدو وخططه والعمل بحزم على أنْ لا يتمكن العدو من الاطلاع على أخبار المسلمين، إضافة إلى تقوية كل ضعف يمكن أنْ يستغله العدو، وإعطاء العدو أكبر من قدره، بإعداد قوة أكبر ممَّا يستحق لمواجهته، لتفادي أي طارئ قد يحدث[١] وزيادة في الحذر كان الأمويون يضعون خطتين للمعركة واحدة رئيسية وأخرى احتياطية تحل محل الأولى في حال تبين إمكانية أخفاق الأولى أو تسرب بعض أخبارها للعدو.[٢] وكان من عادة الأمويين على الجبهة البيزنطية والمعروفة بمسالكها الوعرة ودروبها الضيقة والتي تعد المكان الأمثل لنصب الكمائن، إذا تجاوزوا مضيقاً تركوا عليه مجموعة من الرجال لحفظه من عودة الأعداء، مُزودين بأعلام سوداء يحركونها بحركات متفق عليها، إذا ما حدث طارئ،[٣] كما عانى الأمويون في بداية فتوحاتهم من الكمائن البيزنطية في مدن الثغور التي هجرها البيزنطيون على اثر تقدم المسلمين فكان البيزنطيون يستخدمونها للانقضاض على مؤخرة الجيوش الغازية أو المتخلفين عنها, ولتحاشي هذه الكمائن كان القادة الأمويون يتركون عدداً من الرجال لمنع العدو من نصب أفخاخه فيها.[٤] كما يحذر الحسن العباسي من المياه وخاصة إذا كانت في أرض العدو فعلى القائد أنْ يتأكد من سلامتها من السموم وما إلى هنالك قبل السماح لجنوده بالشرب منها، وإذا تأكد من سلامتها سبق عدوه إليها، فأنَّ العطش يغلب الجيوش، وإذا سار لملاقاة العدو، ترك خلفه من يحفظ الماء من عبث الأعداء والمخربين، فينهل منها في طريق عودته.[٥] وبذلك لازم الحذر كل عمل أقدم عليه المسلمون في حروبهم مع البيزنطيين.

٤ـ المفاجأة:

والمفاجأة تعني الظهور أمام العدو في وقت لا يقدّره وبصورة لا يتوقعها وبأسلوب يجهله مما يؤدي إلى إرباكه وزرع الرعب والفوضى في صفوفه فتختل موازينه ويفقد القدرة على المجابهة والمقاومة، لذلك كان القادة يجاهدون لتحقيق عنصر المفاجأة في معاركهم فيضمنون بذلك النتيجة إلى حد بعيد.[٦]

والمفاجأة تكون بأشكال متعددة، منها:

٢ـ المفاجأة العددية؛ وذلك بمواجهة العدو بعدد لم يتوقعه أو يحسب حسابه، ومن ذلك ما قام العرب بحشده من قوات برية وبحرية شاركت في حصار القسطنطينية الأخير،

١ـ الهرثمي : مختصر سياسة الحروب صـ ١٩

٢ـ هندي: الحياة العسكرية صـ ٢٤١

٣ـ العباسي: أثار الأول صـ ٣٣١ـ ٣٣٢

ـ هندي: المرجع نفسه صـ ٢٤١

٤ـ ابن العديم: بغية الطلب، ج ١/صـ ٣٧

ـ ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١/ق٢/ صـ ١٩٩ـ ٢٠٠

٥ـ العباسي: المصدر نفسه صـ ٣٣٢, ٣٤٠

٦ـ فرج(محمد): فن إدارة المعركة في الحروب الإسلامية,مجمع البحوث الإسلامية, ١٩٧٢م الكتاب(٤٥), صـ ١٦٥

ـ هندي: الحياة العسكرية صـ ٢٣٩

أذهلت الساسة البيزنطيين ودفعتهم إلى الإسراع إلى المفاوضات وعرض الجزية على المسلمين.

٢- المفاجأة الزمنية؛ وتعني الظهور أمام العدو في وقت لا يتوقعه فيكون غير مستعد للمواجهة وبالتاي تكون الهزيمة من نصيبه.

٣- المفاجأة المكانية وهي الظهور في مكان لا يتوقع العدو وصول المسلمين إليه.[١] كتلك القوة البحرية الإسلامية التي ظهرت فجأة أمام أسوار القسطنطينية سنة ٤٩هـ/٦٦٩م.[٢]

٤- المفاجأة التكتيكية وذلك باستخدام أسلحة لم يعرفها العدو ولم يخبر بوسائل الوقاية منها كتلك المجانيق الكبيرة الأشبه بالمدافع، وقاذفات النفط التي استخدمها الأمويون لأول مرة في حصار العرب للقسطنطينية[٣] أو ما استخدمه البيزنطيون من نار عرفت بالنار اليونانية ضد العرب في الحصار نفسه.[٤]

٥-الخديعة:

الخديعة:هي الحيلة أو مجموعة الحيل التي يستخدمها قائد الجيش في سبيل إيهام قائد الجيش المعادي و دفعه إلى الخطأ في تقديراته مما يقود إلى خسارته للمعركة كلياً أو جزئياً.[٥]

وقد عرف العرب الحيل في حروبهم منذ زمن بعيد حتى قالوا رب حيلة أنفع من قبيلة.[٦] وقد شجع الرسول صلى الله عليه وسلم على التحايل في الحرب فقال: الحرب خدعة،[٧] ويقال: سُئل بعض أهل التمرس بالحرب أي المكايد فيها احزم؟ قال: إذكاء العيون وإفشاء الغلبة واستطلاع الأخبار وإظهار السرور وإماتة الفرق والاحتراس من البطانة، من غير إقصاء لمن يستنصح ولا استنصاح لمن يستغش واشتغال الناس عما هم فيه من الحرب بغيره.[٨]

وقد عرف الأمويون في حروبهم مع البيزنطيين أنواعاً كثيرة من فنون الحيلة والخداع ومنها:

إيهام العدو بأن قواته متجهة إلى جهة ما ، ثم يفاجئ العدو بالهجوم على جهة أخرى بعيدة عن الأولى، مثل ما قام به معاوية سنة٤٩هـ/ ٦٦٩م عندما غزا صقلية ليوهم البيزنطيين بأنه لا نية لديه لهجوم القسطنطينية وسرعان ما تفاجأ البيزنطيون بقوات إسلامية تلقي الحصار على القسطنطينية بقيادة فضالة بن عبيد.[٩]

١- فرج: فن إدارة المعركة صـ ١٦٥- ١٦٦

٢- رستم :الروم ج١/ صـ ٢٦١

٣- الوكيل: الأمويون صـ ١٦١

٤- جلوب: إمبراطورية العرب صـ٣٢١

٥- هندي: أحكام الحرب والسلام صـ ١٩٠

٦-العسلي: فن الحرب ج١/ صـ ٦٢

٧- البخاري: صحيح البخاري ج١/ صـ ٨٢٤

٨- ابن عبد ربه: العقد الفريد ج١/ صـ ١٢٢

٩ - رستم : الروم ج١/ صـ ٢٦١

رمي الكتب في أرض العدو وكأنها وقعت من حملة البريد, على أنها إلى أعيان بلد ما وكأنها أجوبة على كتب سابقة زارعين بذلك الشك والريبة.[١] ومن ذلك ما قام به معاوية بن أبي سفيان مع بطريق بيزنطي، كان يسيء إلى رسل المسلمين فكاد له معاوية، فسأل الرسل عن أفضل شيء لديه من بضائع بلاد الإسلام؟ فقيل له: الخفاف الحمر، ودهن البان. فأرسلها له مراراً، حتى عرف الجميع بذلك، ثم كتب كتاباً إليه، كأنه جواب كتاب منه، يعلمه فيه أنه وثق بما وعده به من نصره وخذلان ملك الروم. وأمر الرسول بان يوقع الكتاب حيث يمكن أن يعثر عليه أحد،[٢] وما هي إلا أيام حتى وصله نبأ مقتل ذلك البطريق.[٣]

وكما كانت الحرب سجالاً بين العرب والبيزنطيين، كذلك كانت الحيل، فقد عمل البيزنطيون على خداع العرب مراراً، وقد نجحوا أحياناً وانقلب السحر على الساحر في أغلب الأحيان، ومن ذلك ما كان من أمر البيزنطيين عندما حاصرهم العرب في حصن طوانة سنة ٨٨هـ/٧٠٧م بقيادة مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك، اللذان نزلا بمن معهما من المسلمين على حصن طوانة، وكانت طوانة حصناً منيعاً على طريق الصوائف فأدرك الشتاء مسلمة ومن معه من المسلمين وكان شتاءً قاسياً فهلكت دوابهم، ونفذت أقواتهم، وتهتكت خيامهم من الجليد والثلج، لكن ذلك كله لم يؤثر في حماسهم وعزيمتهم، وتصميمهم الذي دفعهم إلى التأقلم مع كافة الأوضاع، فحفر المسلمون لأنفسهم الأسراب[٤]يبيتون فيها ليلاً، ويظهرون نهاراً، حتى دعا ذلك أهل طوانة إلى الكتابة إلى الإمبراطور يخبرونه بحالهم بعد أنْ طال الحصار؛ "فإن كانت لك بنا حاجة فالآن قبل أنْ يأتيهم المدد والميرة"، ولجأوا إلى الحيلة والخداع لإيصال أخبارهم إلى الإمبراطور، فأخرجوا كلابهم ليلاً وأكثروا من ذلك، ثم دسوا بين الكلاب رجلين البسوهما جلود الكلاب وحملوهما بنسختين من ذاك الكتاب، فإذا قبض المسلمون على أحدهما يصل الثاني إلى بغيتهم، ونجحت خطتهم ولم يقبض المسلمون على أي من الرجلين، ولكنهم عثروا على نسخة من الكتاب وقع من أحد الرجلين فاطلعوا على ما جاء فيه[٥] فاحتاط مسلمة وابن أخيه للهجوم المحتمل واستبدل خططه العسكرية بخطط جديدة وأعاد تنظيم الرجال وتوزيعهم، فقسمهم إلى قسمين، القسم الأول بقيادته وتضم المشاة والخيالة الذين فقدوا أحصنتهم ويناط بهم مواصلة حصار المدينة، أما القسم الثاني فبقيادة ابن أخيه العباس بن الوليد وتضم كل فارس بقي فرسه، وعلى عاتقهم تقع مهمة التصدي للقوات البيزنطية المهاجمة، أما البيزنطيون الذين وصلهم الكتاب، فقد عجلوا في تجهيز حملة ضخمة لمباغتة المسلمين قبل أن تصلهم الإمدادات. وقد خالف العباس خطة عمه مسلمة التي كانت تقضي بترك القوات البيزنطية تتقدم إلى أقرب ما يمكن ثم الانقضاض عليهم مرة واحدة، بينما رأى العباس المكلف بالتصدي

---

١ - العباسي: أثار الأول صـ ٣٦٤

٢ - البطريق: رتبة عسكرية معناها قائد فرقة والفرق لديهم تتكون عشرة آلاف مقاتل. [خطاب: مسلمة بن عبد الملك بن مروان صـ ٣٧]

٣ - المبرد: الكامل في الأدب ج٢/ صـ ٣٧٣- ٣٧٤

٤- الأسراب: مفردها سرب وتعني المغارة الصغيرة

٥ - ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ج٢٦ / ٤٤٣-٤٤٤

للقوات المهاجمة، التقدم بمن معه ومهاجمة مقدمتهم فارضين عليهم أرض المعركة بدلا من خطة عمه التي قد توقعهم بين لحيي الأسد كما قال. وأصر العباس على رأيه فاستسلم مسلمة لإصراره قائلاً: اللهم إنه عصاني وأطاعك فانصره. وقد نصره الله فعلاً وتغلب على أعدائه البيزنطيين.

ومن الخدع الإسلامية ، ما قام به القائد الأموي سحيم بن المهاجر الذي أرسله عبد الملك بن مروان بعد انتهائه من ثورة مصعب بن الزبير وتمرد عمرو بن سعيد بن العاص، أرسله على رأس حملة إلى زعيم الجراجمة ، فوزع سحيم قواته ثم تقدم لوحده إلى زعيم الجراجمة متظاهراً بعدائه لعبد الملك واستثارة زعيم الجراجمة ضده واعداً إياه بتقديم الدعم وكشف نقاط الضعف إذا ما زحف إلى دمشق، حتى تأكد سحيم من وثوق القوم به، فنظم قواته وقام بهجوم مباغت قتل فيه زعيم الجراجمة وقادة البيزنطيين الذين كانوا معه فتمزقت قوات الجراجمة وشتت شملهم فتناثروا بين قرى حمص ودمشق وعاد أكثرهم إلى جبل اللكام.[١]

أمَّا سليمان بن عبد الملك وأثناء انشغاله بتجهيز الحملة الكبرى لحصار القسطنطينية كان مستمراً بإرسال الغزوات إلى وجهات مختلفة من الأراضي البيزنطية بهدف إشغال البيزنطيين من جهة والتمويه على الهدف الرئيسي للحملة الكبرى من جهة أخرى.[٢]

ولكن من أكبر الخدع التي انطلت على المسلمين، كانت خدعه ليو الأيسوري لمسلمة بن عبد الملك أثناء قيادته الحملة الكبرى لحصار العاصمة البيزنطية,[٣] والتي سترد تفاصيلها لاحقاً.

٦ـ الحرب النفسية:

والحرب النفسية هي استخدام مخطط من جانب دولة أو مجموعة من الدول في وقت الحرب أو السلم، لإجراءات إعلامية بقصد التأثير في آراء وعواطف ومواقف وسلوك جماعات أجنبية معادية أو محايدة أو صديقة، بطريقة تساعد على تحقيق سياسة وأهداف الدولة أو الدول المستخدمة.[٤] والحرب النفسية جزء هام من أجزاء الحرب الشاملة إلى جانب الحرب العسكرية والاقتصادية والسياسية، وهي تعد حرباً دفاعية وهجومية في الوقت ذاته، وقد وعى العرب لأهمية الحرب النفسية منذ زمن بعيد، وقد مارسها الأمويون من أجل تحقيق أهدافهم والحفاظ على خلافتهم فتميزوا في هذا الميدان.[٥] فاستخدموا لذلك وسائل عديدة.

والحرب النفسية كأكثر الفنون الحربية الأخرى، ليست خاصة بمرحلة معينة من الحرب أو السلم بل هي مستمرة في كل وقت وحين وإنْ كانت في أوقات الحرب أكثر منها في أوقات السلم، فبداية كان القادة يعملون على تهيئة الجنود للقتال وذلك

---

١ - ابن العديم: بغية الطلب ج١/صـ ٥٦

٢ - طقوس : تاريخ الدولة الأموية ص ١٣٠

٣ - طهبوب : موسوعة التاريخ الإسلامي صـ ١٦٠-١٦١

٤ - المخلف: الحرب النفسية صـ ٢٨

٥ - المخلف: المرجع نفسه صـ ١٤٤، ١٤٥، ١٤٩

بتذكيرهم بواجبهم في حماية دينهم، وثواب المجاهدين عند ربهم ، إضافة إلى تذكيرهم بماضيهم المجيد وشجاعة أجدادهم,[١] وتذكيرهم بفضل القتال، فإن بقوا من أهل الدنيا فلهم الغنائم الجزيلة أو يصبحوا من أهل الجنة، أحياء عند ربهم يرزقون، [٢]

وكان من بين الخطط الأموية مراعاة الحالة المعنوية للجنود إلى أبعد الحدود، إذ كان يسبق انطلاق الجيش إلى وجهته، استعراض للجنود وتصفح للوجوه، فَيُستبعد كل من يشك في إخلاصه ونواياه، فبينهم من قد يكون جاسوساً للعدو، الذي لا يعمل على نقل الأخبار فقط، بل وبث الدعايات الكاذبة التي لها أكبر الأثر في زعزعة اندفاع المقاتلين، كما قد يعمل على بث الفرقة وإثارة النعرات في صفوف الجند.[٣]

ونظراً لإدراك القادة الأمويين العميق لأهمية الروح المعنوية القتالية في تحقيق النصر كانوا- وما إنَّ يبدأ الجيش بالمسير- يخصصون بعض الجند للتكبير وتلاوة الآيات القرآنية أحياناً ودق الطبول وقرع الصنوج أحياناً أخرى،[٤] لرفع الروح المعنوية ودب الحماس في النفوس.

وأدركوا أيضاً أنَّ الشجاعة والإقدام وقوة الإيمان أنجع بكثير من العدد الكبير والعتاد الكثير، فكثرة العدد لن تجدي نفعاً إذا لم تقترن بالعزيمة وقوة القلب، لذلك فقد دعا الإسلام إلى جهاد النفس أولاً وإصلاحها وتسليحها بفضائل الأخلاق لتكون أساساً متيناً للجهاد بالسلاح وضماناً أكيداً للنصر.[٥]

وكان شغل القادة الشاغل، استغلال كل مناسبة وفرصة تسنح لرفع روح جنودهم المعنوية وقطع الطريق أمام جواسيس الأعداء ومحاولاتهم الحثيثة لهدم عزيمة جنود المسلمين. ففي التعسكر، كان الجنود حالما ينتهون من نصب الخيام وغيرها من أعمال التعسكر الإدارية، حتى يجتمعوا في حلقات حول قصاص يقص الحكايات البطولية التي تشعل في النفس روح الإقدام والبطولة، أو شاعر يتغنى بأفضل ما قاله العرب من شعر الحماس، أو مرتل للقرآن، يقرأ من تنزيل العزيز الحكيم، ما تطمئن إليه القلوب ويبث الهدوء والسكينة في النفوس القلقة،[٦] كما اتبع الأمويون أسلوباً جديداً لرفع الروح المعنوية وذلك بضم الصحابة الكرام أو أبنائهم إلى صفوف الجيش, كما حدث في حصار القسطنطينية الأول سنة ٤٩ هـ/ ٦٦٩م فقد كان من بين المشاركين فيه الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري الذي استقبل الرسول صلى الله عليه وسلم في بيته بعد هجرته إلى المدينة إضافة إلى ابن عباس وابن عمر وابن الزبير.[٧]

---

١ - النويري: نهاية الأرب ج ٦/صـ ١٥٨

٢ - النويري: المصدر نفسه ج ٦/ صـ ١٥٨

٣ - النويري: المصدر السابق ج ٦ / صـ ١٥٣

٤ - طهبوب: موسوعة التاريخ الإسلامي صـ ١٨٢

٥ - فرج: فن إدارة المعركة صـ ١٠٥

٦ - هندي: الحياة العسكري صـ ٢٣٢

٧ - أبن الأثير: الكامل ج٣/ صـ٥٦-٥٧

- عبد القادر(محمد فريد):معارك فاصلة في تاريخ الإسلام, دار المستقبل العربي, القاهرة ١٩٩٨م. صـ ٢٨٥

وكما مرّ سالفاً فإن قواد الجيوش الأموية كانوا يفعلون كل ما من شأنه رفع الروح المعنوية لجنودهم والحفاظ على رباطة جأشهم، لذلك وفي أثناء التعسكر كان القائد يبقي نار خيمته واقدة طول الليل، وإذا حدث هجوم مفاجئ قام بزيادة النار حطباً، ليؤكد وجوده، فتستكين قلوبهم بوجوده في موقعة.[١] لذلك كان الجنود حين يصلون أرض المعركة يقاتلون بكل شجاعة وإقدام مندفعين إلى الموت دون خوف أو تردد، وتلك نتيجة طبيعية لما قام به القادة طوال الوقت المنصرم، وكان من عادة الأمويين إبادة قادة العدو منذ اللحظات الأولى للقتال، لإدراكهم مدى تأثير هذا العمل على معنويات جند العدو، إضافة إلى ما ينتج عن ذلك من فوضى اضطراب في صفوف الأعداء بعد فقدانهم القيادة الموجهة لهم في القتال، وإذا حقق الأمويون النصر فإنهم كانوا لا يتركون الفرصة لهروب أعداد كبيرة من جنود العدو، الذين إذا تركوا، قد يعيدون تنظيم الصفوف وقتال المسلمين من جديد.[٢]

ومن صور حسن توظيف فن الحرب النفسية ما قام به القائد الأموي العباس بن الوليد في إحدى معاركه مع البيزنطيين بالقرب من حصن طوانة سنة ٨٨هـ/٧٠٧م، فيقال إنْ العباس قاتل البيزنطيون أول الأمر وهزمهم, فولوا ثم عادوا من جديد وحملوا على المسلمين فانهزم المسلمون ولم يبق أحد منهم في موقفه إلا العباس بن الوليد ومعه ابن محيريز الجمحي، فقال العباس لابن محيريز لما استأ خر عنه النصر ورأى من ثبات الروم ما رأى: أين أهل القرآن، فقال نادهم يأتوك، فنادى: يا أهل القران، فتراجع الناس وحملوا على البيزنطيين فكسروهم وهزموهم.[٣] ولما رأى أهل طوانة صنع الله وفتحه للمسلمين بعث بطريقها إلى مسلمة يطلب الصلح والأمان له ولبعض أصحابه فصالحهم مسلمة ودخل المدينة صلحاً.[٤] وهنا يظهر دور القائد الماهر في قيادة الجيش من هزيمة محققة إلى نصر مؤزر، ليس بدعم خارجي أو إقحام قوات احتياطية، وإنما بدراية بسيطة بأصول الحرب النفسية. فالعباس يدرك وقع كلمة(أهل القرآن) لدى رجاله والمعاني العظمية التي تعنيها لهم، لذا فقد استثمرها أفضل استثمار.

ويعترف المؤرخ هِل نفسه بدور العامل النفسي في نصر المسلمين المتوالي على البيزنطيين إذ يقول: (ولا يمكن كذلك التجاوز عن العوامل الاجتماعية والمعنوية العميقة التي شدت من أزر العرب.) رغم رفضه جعل هذا العامل، السبب الأساسي في نصر الجيش العربي الناشئ على الجيوش الفارسية والبيزنطية ذوات التاريخ العسكري العريق والعدد الغفير.[٥]

٧- الأسرى:

---

١ - العسلي : فن الحرب ج ١/ صـ ٤٠

٢ - العسلي : المرجع نفسه ج١ / صـ٣٥ – ٣٦

٣ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٦/صـ ٤٣٤

- ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج٤/ صـ ١٣

- ابن كثير: البداية والنهاية, ج٩/ صـ ٦٢-٦٣

٤ - ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ج ٢٦/ صـ ٤٤٣- ٤٤٥.

٥- هِل(ي): الحضارة العربية,ترجمة إبراهيم العدوي وحسين مؤنس,وزارة التربية والتعليم,مكتبة الانجلو المصرية, القاهرة ١٩٥٦م. صـ ٤٩

نتيجة للمعارك الكثيرة التي خاضها الأمويون بشكل عام وعلى الجبهة البيزنطية بشكل خاص، فقد كثر أسرى المسلمين من الأقوام المختلفة التي حاربوها، فلاقى هؤلاء الأسرى كل العطف والرعاية لدى آسريهم الأمويين، سيراً على سنة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الذي قال: "واستوصوا بالأسرى خيراً " فقد درج المسلمون على إطعام الأسرى وعدم تجويعهم ومعاملتهم بالحسنى ورفض أهانتهم أو إذلالهم أو تعذيبهم حتى إن كان بقصد الحصول على معلومات عسكرية عن جيش العدو.[١]

- سبل إنهاء الأسر في الإسلام :

كان إنهاء الأسر ممكناً في الإسلام وبطرق متعددة منها :

١- المن: وهو إخلاء سبيل الأسير وإطلاق سراحه للعودة إلى بلاده دون أخذ أي مقابل منه أو من غيره.

٢- الفداء: وهو الإفراج عن الأسير مقابل إفراج الأعداء عن أسير مسلم أو مقابل مبلغ من المال أو أداء خدمة معينة للمسلمين.

وأجاز الإسلام بإجماع الفقهاء استرقاق الأسرى دون وجود نص قرآني أو حديث مسند. وإنما نتيجة لاعتبارات عملية فرضها مبدأ (المعاملة بالمثل) لأن جميع الأمم المجاورة للعرب كانت تجيز رق الأسرى من المسلمين، فلم يكن بوسع المسلمين الاكتفاء بالمن والفداء وخصومهم يسترقون أسراهم ، كما حرم الإسلام بإجماع الفقهاء قتل لأسرى مهما كان وضعهم.[٢]

أوضاع أسرى المسلمين :

أجاز الإسلام الاستئسار، أي أن يسلم المسلم نفسه عند ما تكون النجاة مستحيلة، وإذا وقع المسلم في الأسر، كان من واجبه أيضاً محاولة الهرب ما أمكن، أو أن يمكث محافظاً على أسرار المسلمين حتى يتم فداءه وفك أسره.[٣]

وقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى أسرى المسلمين في القسطنطينية قائلاً:" أما بعد فإنكم تعدون أنفسكم أسارى ولستم أسارى، معاذ الله أنتم الحبساء في سبيل الله، واعلموا أنني لست أقسم شيئاً بين رعيتي إلا خصصت أهلكم بأوفر ذلك .... وقد بعثت إليكم فلان بن فلان يفادى صغيركم وكبيركم، ذكركم وأنثاكم، حركم ومملوككم، بما يسأل، فابشروا ثم أبشروا."[٤]

١- هندي: أحكام الحرب والسلام صـ ٢٠٥

٢- هندي: المرجع نفسه ص ٢٠٧ - ٢١٠

٣- هندي: أحكام الحرب والسلام صـ ٢١٣ ــ ٢١٥

٤- الأصفهاني: كتاب الأغاني: ج٩/صـ ١٩٦

- صفوت(أحمد زكي): جمهرة رسائل العرب، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر ط١ ١٩٣٧م صـ ٣٦٢

الفصل الرابع
الفتوحات في العصر الأموي على الجبهة البيزنطية

أولاً- موقف الأمويين من الفتوحات وأهدافها

ثانياً- التكتيك والتطبيق في المعارك البرية

١- النشاط العسكري في عهد معاوية بن ابي سفيان:

٢- النشاط العسكري في عهد خلفاء معاوية:

٣- النشاط العسكري في عهد عبد الملك وأبنائه(الوليد وسليمان):

٤- النشاط العسكري في عهد عمر بن عبد العزيز:

٥- النشاط العسكري في عهد يزيد بن عبد الملك:

- حرب القراطيس

٦- النشاط العسكري في عهد هشام بن عبد الملك وباقي الخلفاء :

- معركة أكروينون Acroinon

ثالثاً- دور المردة في الصراع الأموي البيزنطي

رابعاً- دور الأرمن والخزر في الصراع الأموي البيزنطي

خامساً- الثغور ودورها في الصراع الأموي البيزنطي

سادساً - حصار القسطنطينية

الفصل الرابع- الفتوحات في العصر الأموي على الجبهة البيزنطية:

أولا- موقف الأمويين من الفتوحات وأهدافها:

لم يترك الإسلام العرب وميلهم إلى القتال كما كان قبل الإسلام بل تناوله بالتهذيب والتنظيم، شأنه في ذلك شأنه في العادات الأخرى التي ألفها العرب قبل الإسلام.

فقد وضع الإسلام للقتال قواعد ثابتة لا يجوز لمسلم مهما كان أن يتعداها، فحرّم الحرب من أجل السلب والنهب، وعدّها اعتداءً لا يليق بقوم ذوي عقيدة صحيحة، ومبادئ سامية، قال تعالى:{ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين.}[١] كما منع الحرب من أجل العداوات الشخصية، والعصبية القبلية، وعدها قرينة للكفر، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض.)[٢]

لكنه أجاز الحرب من أجل دفع الظلم وصد العدوان، قال تعالى:{أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا، وأن الله على نصرهم لقدير.}[٣] وكذلك قوله تعالى:{وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة، واعلموا أن الله مع المتقين.}[٤]

بهذه المبادئ خرج المسلمون من ديارهم إلى ديار الحرب في المرحلة الأولى من الفتوحات الإسلامية، منادين بحرية الاعتقاد وحرية العبادة. وحرص المسلمون على تطبيق هذا المبدأ، في عصر كان فيه الإسلام فتياً فكانت هذه السياسة الحكيمة، من أهم عوامل نجاح الفتوحات الإسلامية واكتساب ولاء الشعوب المغلوبة،[٥] وفي المرحلة الثانية التي أعقبت انتهاء الاضطرابات الداخلية وانتهاء الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان، اندفعت مئات الحملات الإسلامية بالاتجاهات كافة، ورغم أن هذه الفتوحات كانت تكملة للفتوحات الإسلامية الراشدية، فمن المؤكد أن بعض أهدافها إن لم تكن كلّها، كانت مختلفة، وخاصة تلك التي اتجهت إلى الجبهة البيزنطية والتي تختلف عن باقي الجبهات بكونها في مواجهة عدو يعد من أقوى أعداء الأمة الإسلامية وأكثرهم خطورة وشراسة.

وقد اختلف المؤرخون في تحديد أهداف الفتوحات الأموية، وذهبوا في ذلك مذاهب متعددة، فمنهم من قال إن الأمويين لم يخوضوا هذه المعارك الطويلة والعنيفة والتي استغرقت كل العصر الأموي تقريباً، إلا طمعاً في الغنائم والثروة، إذ يقول (هِل) في كتابه الحضارة العربية: (غير أن الجنود وجدوا تعويضاً سخياً عن ملكية الأراضي

١- سورة البقرة, الآية ١٩٠

٢- البخاري: صحيح البخاري ج١/صـ ٣٩

- الوكيل(محمد السيد): القيادة والجندية في الإسلام, دار الوفاء,مصر ط١ ١٩٨٨م,ج١/ صـ ١٣٦

٣- سورة الحج, الآية ٣٩

٤- سورة التوبة, الآية ٣٦

٥ - عنان: مواقف حاسمة صـ ١٢

في الثروات الهائلة التي تدفقت عليهم في مظاهر شتى من الفتوحات.)[١] ولكن إذا كانت الغنائم هي الغاية، فلماذا كان الأمويون يعرضون على سكان البلاد المغلوبة خيارات سلمية مثل الإسلام، أو الجزية.[٢] ألم يكن من الأجدى لهم استباحة تلك البلدان ونهب خيراتها؟

وذهب قسم من المؤرخين إلى أن الفتوحات ما كانت إلا لنشر الدين الإسلامي، تلميحاً إلى أن الإسلام ما انتشر إلا بحد السيف؟!

الحقيقة إنَّ أي إنسان يؤمن بدينه، إيمانا كاملا، يحاول دائماً نشره بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وهذا ما كان يفعله الكثير من جنود المسلمين حيال سكان البلاد المغلوبة، وما من أحد يستطيع إنكار حقيقة أن الفتوحات كان لها أكبر الأثر في نشر الإسلام في الكثير من أنحاء المعمورة. إلا أن مجموع ما قام به المسلمون في العصر الأموي في هذا الميدان- باستثناء بعض الحالات الفردية- لا يصل إلى حد إجبار الناس على اعتناق الإسلام، فكيف لمؤمن أن يدعو إلى دينٍ وهو في الوقت ذاته يخالف أهم تعاليمه؟ فالله تعالى يخاطب المؤمنين قائلاً:{لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغيّ.}[٣]

إلى جانب هذا اتخذ قسم آخر من المؤرخين من الآية الكريمة: {وقاتلوا المشركين كافة.}[٤] بأنها دليل على أن الإسلام يحرض المسلمين على قتال كل من رفض دخول الإسلام. لكن يبدو أن هؤلاء نسيوا أو تناسوا تكملة الآية الكريمة والتي فيها الرد على تهمهم الباطلة حيث يقول الله تعالى{وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة.}[٥] أي أن الله تعالى يجيز للمسلمين قتال من بادئهم القتال، لرد الظلم والعدوان عن أنفسهم لا لظلم الآخرين والاعتداء عليهم وإجبارهم على ترك دينهم.[٦]

ويقول محمد فتحي بكوش: (أدرك المسلمون مما علّمهم القرآن، أنهم ليسوا مسؤولين عن ضلال الضالين فقد استبان الحق ووضح الطريق، وأنه إذا كانت عقود المكره باطلة فكيف يجوز إكراهه على عقيدة بعينها.)[٧] كما أدرك المسلمون مما علمهم القرآن، أنَّ العقائد لا تستقر في النفوس بالقهر والترهيب، وإنما بالإقناع والاقتناع،[٨] قال تعالى:{ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن.}[٩] وإن ما يؤكد زيف الادعاء بأنَّ الإسلام اتخذ من السيف وسيلة للانتشار، شهادات المؤرخين الأوربيين أنفسهم، مثل (هِل) الذي يقول:(وسُمح لأهل الذمة واليهود والمسيحيين- اقتداء بما فعله النبي (صلى الله عليه وسلم)- أن يتمتعوا

---

١ - هِل:الحضارة العربية صـ ٥٢.

٢ - العسلي:فن الحرب ج١/ صـ ١٩

٣ - سورة البقرة, الآية ٢٥٦

٤ - سورة التوبة, الآية ٣٦

٥ - سورة التوبة, الآية ٣٦

٦ - الشرقاوي(عثمان السعيد):شريعة القتال في الإسلام، تقريظ الإمام محمد الفحام, تقديم عبد الحليم محمود، مكتبة الزهراء،القاهرة ط١ ١٩٧٢م صـ١٢٥- ١٢٦

٧ - بكوش (محمد فتحي):معارك الإسلام الكبرى, رسالة الجهاد, طرابلس، ليبيا ط١ ١٩٨٥م صـ ٦- ٧.

٨ - عون(عبد الرؤوف): الفن الحربي في صدر الإسلام, مكتبة الدراسات التاريخية, دار المعارف بمصر, القاهرة ١٩٦١م صـ ٦٧

٩ - سورة النحل: الآية ١٢٥

بالحرية التامة في العبادة في ظل الإمبراطورية الإسلامية مقابل دفع ضريبة مناسبة.)[١] والمقصود بالضريبة الجزية السنوية التي كانت الدولة الإسلامية تتقاضاها عن كل بالغ من رعاياها من سكان البلاد المغلوبة والتي لم تكن بقصد الإذلال، بل كانت ضريبة شخصية، يدفعها أهل الكتاب مقابل إعفائهم من أعمال الجهاد لأن اشتراكهم في الجهاد قد يقودهم إلى محاربة أبناء دينهم.[٢] وفي ذلك مشقة عليهم، وبما أنَّ الإسلام دين يسر وليس بدين عسر فقد تم إعفاءهم من هذه المشقة.

ويؤكد نورمان بينز هذه الفكرة بقوله: (إنَّ تذمر أهل سوريا ومصر من الأسباب الرئيسية للانتصارات العربية، وكان هذا التذمر ذا طابع ديني، لأن الإمبراطورية البيزنطية، عدت المذهب المونوفيزي،[٣] الذي كان منتشراً في هذه الولايات خروجاً على القانون.)[٤] في حين سمح لهم العرب بممارسة شعائرهم بكل حرية.

وإذا كان المسلمون قد خاضوا هذه الحروب الطويلة والعنيفة وقطعوا المسافات البعيدة لإجبار الناس على دخول الإسلام، فقد كان من الأجدى لهم إجبار المسيحيين الذين يعيشون بين ظهرانيهم على دخول الإسلام، فكيف لهم أن يجبروا سكان البلاد البعيدة بينما يعيش آلاف المسيحيين داخل عاصمتهم وفي قصر خليفتهم.[٥] في حالة فريدة من المساواة بينهم وبين المسلمين حتى كان يوكل بالكثير منهم تنفيذ مهام حساسة دلت بوضوح على ثقة الأمويين بهم واندماجهم بالمجتمع الأموي، فقد كُلف منصور بن سرجون جدّ القديس يوحنا الدمشقي، من قبل البلاط الأموي ببناء الأسطول الإسلامي في ميناء طرابلس.[٦] والذي عمل ابنه سرجون بن منصور مستشاراً لعبد الملك بن مروان في حين لازم اثناس بن جومايا الرهاوي أخاه عبد العزيز بن مروان لما يقارب الثلاثين عاماً.[٧] وعلى الصعيد الشعبي اختلط عرب الشام بالمسيحيين اختلاطاً بعيداً، حتى يقال أنهم كانوا أحياناً يؤدون فرائضهم الدينية، في مواطن كثيرة تحت سقف واحد.[٨] أما غوستاف لوبون فيقول: (وكان العدل بين الرعية دستور الإسلام السياسي، وترك الإسلام الناس أحراراً في أمور دينهم، وأظل المسلمون أساقفة الروم ومطارنة اللاتين بحمايتهم، فنال هؤلاء ما لم يعرفوه سابقاً من الدعة والطمأنينة.)[٩]

---

١ - هِل:الحضارة العربية صـ٥٣

٢ - هندي: أحكام الحرب والسلام صـ ٢٠٢.

٣ - المذهب المونوفيزي: يطلق على المسيحيين الذين يعتقدون بوجود طبيعة واحدة للسيد المسيح، وأغلبهم من العرب والسريان والأرمن والأقباط الذين احتفظوا بإيمانهم الأرثوذكسي الذي اعتمده مجمع أفسس الثاني.[خلف(تيسير): الرواية السريانية للفتوحات الإسلامية، مؤسسة فلسطين للطباعة، دمشق ط١ ٢٠١٠م صـ٧٧]

٤ - بينز(نورمان): الإمبراطورية البيزنطية, تعريب د.حسين مؤنس ومحمد يوسف زايد مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر, القاهرة ط١ ١٩٥٠م. صـ ٣٥٧

٥ - عاقل: دراسات في تاريخ العصر الأموي صـ ٣٢

٦ - الملا أبو بكر: دور المسيحية في الحضارة العربية- الإسلامية, جريدة الاتحاد,الاربعاء٢١ كانون الثاني,www.alitthad. com تاريخ الدخول إلى الانترنت ٢٠١٠/٣/١م صـ ١

٧ - ميخائيل: تاريخ ميخائيل الكبير، ج٢/صـ ٢٧٠- ٢٧٢

٨ - بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية, صـ ١٢٤

٩ - لوبون(غوستاف): موجز تاريخ الإسلام,اختيار آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي, مركز الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم للتحقيق والنشر,بيروت ط١ ١٩٩٨م صـ٦٥.

ولعل كلام المؤرخ الصيني (صن تزو) أفضل تعبير عن الهدف أو الأهداف الحقيقة للفتوحات الأموية، إذ يقول: (الحرب مسألة في غاية الأهمية بالنسبة للدولة، قضية حياة أو موت، الطريق إلى البقاء أو الدمار، ومن المفروض أن تدرس بعمق.)[١] ولعل مسألة البقاء أو الزوال كانت من أهم الأهداف التي حارب الأمويون من أجلها على الجبهة البيزنطية، فالأمويون كانوا على علم تام، بقوة الإمبراطورية البيزنطية ومكانتها على الخريطة العالمية، وكانوا على علم أيضا بأنه ليس من السهل على البيزنطيين أن ينسوا المساحات الشاسعة التي فقدوها على يد المسلمين[٢]والتي شملت سوريا وفلسطين ومصر وشمال افريقية.[٣] لذلك كان الشغل الشاغل للأمويين وخلفائهم أضعاف الإمبراطورية البيزنطية أو إزالتها من الخريطة العالمية قبل ان تزيلهم، كما يقول عثمان الشرقاوي: (كان الفتح من ضرورات الملك.)[٤]

وعلى هذا فإنَّ الفتوحات الأموية على الجبهة البيزنطية لم تكن إلا لرد الظلم ودفع العدوان عن بلادهم وحفظها من الزوال.

كما يمكن إضافة بعض الأهداف الثانوية للفتح الأموي، مثل: رغبة بعض الخلفاء في تفريغ شحنات العرب القتالية خارج حدود البلاد، عن طريق إشراكهم بالغزوات السنوية, خاصة وإنَّ البلاد خارجة من حرب أهلية عنيفة وفتنة كبيرة والناس بحاجة إلى ما يشغلهم عن التفكير فيها.[٥] إضافة إلى أشغال الطامعين في الحكم، فقد شهد العصر الأموي مجموعة من حركات التمرد التي كانت تسعى إلى إزالة سلطانهم وتقويض حكمهم مثل: ثورة الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير والمختار الثقفي وسعيد الأشدق والخوارج والتوابين، وغيرهم. فيقول عنان: (وكان استئناف الغزو والفتح إحدى وسائل الزعيم الظافر لتحويل الأنظار عن ظفره، واشتغال القادة والزعماء الذين يخشى بأسهم عن منافسته ومناوأته.)[٦] إضافة إلى رغبة البعض الآخر في تحقيق أعمال تخلد اسمهم وتحفظ ذكرهم.

---

١ - تزو(صن): فن الحرب, تقديم ليدل هارت, تعريب محمود حداد, دار القدس, بيروت ط١ ١٩٧٥م صـ٥٧

٢ - طقوش: تاريخ الدولة الأموية صـ ٣٠

٣ - HUSSEY :The Byzantine world p 26

٤ - الشرقاوي:شريعة القتال في الإسلام صـ ١١٩

٥ - علي:تاريخ بلاد الشام صـ ١٧٤

٦ - عنان: مواقف حاسمة صـ ٣٠

ثانياً-التكتيك والتطبيق في المعارك البرية:

شهدت الجبهة البيزنطية في العصر الأموي سلسلة طويلة من المعارك البرية والتي لم تتوقف إلا في مناسبات قليلة والتي لم تحقق أغلبها نتائج حاسمة لكلا الطرفين.

وكانت معظم هذه المعارك من قبيل ما يسمى بالدفاع المتحرك وذلك بإشغال العدو في عقر داره بتوغل أكثر عمقاً وحيوية،[١] أو ما يسمى بالحرب الوقائية بقصد حماية الحدود من جهة، وكمناورات تدريبية موسمية للجيش في أراضي العدو بمسالكه الخطرة، وتضاريسه الوعرة، ومناخه القاسي من جهة أخرى، فهي تدريبية تكتيكية في الوقت نفسه، يتم فيها تدريب الجنود على القتال باشتباك حقيقي مع العدو نفسه وفي أرضه التي يطمح الجنود التوغل في عمقها، إذ يقول فلهوزن: (وهذه الغزوات، وإن لم تكن لها نتائج، فإنها كانت مدرسة مفيدة لعرب الشام والجزيرة، لأنهم بفضلها لم ينقطع تدربهم على الحرب.)[٢] ويلاحظ أنَّه حتى تلك الغزوات التي حقق فيها العرب نتائج جيدة لم يحتفظوا بنتائجها، بدليل تكرر الغزوات إلى ذات المنطقة في السنوات التالية. ولعل مرد ذلك يعود إلى خصوصية الجبهة البيزنطية واختلافها عن باقي الجبهات من الناحية التضاريسية والمناخية، فالجبهة البيزنطية تتمتع بتضاريس جبلية وعرة جداً ومناخ بارد لم يعتده العرب أبناء البادية السهلة والصحراء اللاهبة، الأمر الذي منع من العرب من الهجرة إلى البلدان المفتوحة والإقامة فيها كما فعلوا على باقي الجبهات واكتفوا بالهجوم شبه الدائم على أرض العدو, وذلك لتحقيق هدفين:

الأول- المحافظ على تدريب القوات العسكرية في الظروف الطبيعية.

والثاني- تدمير المنطقة الحدودية بصورة تمنع العدو من العودة إليها أو الاستفادة منها. وقد أدى هذا إلى توضيح الخطوط لحدود شبه ثابتة بين بيزنطة والدولة الأموية.[٣]

وبالإضافة إلى ما ذكر سالفاً من كون هذه المعارك تفريغ لشحنات قتالية، وإشغال للجنود بحروب خارجية، فإنها كانت استنزاف لقوة العدو وسحب زمام المبادرة منه وجعله في حالة دفاع مستمرة[٤] وذلك بالاستيلاء على المعاقل الهامة على طريق

---

١ - عثمان: الحدود الإسلامية,ج٢ صـ ٤٠

٢ - فلهوزن: تاريخ الدولة العربية صـ ٢٠٩

٣ - زكار: تاريخ العرب والإسلام صـ ١٨٩

٤ - الغيث:مَرويات خلافة معاوية صـ ٢٩٤

القسطنطينية، وإقامة حصون جديدة تكون مرتكزاً للعرب في عملياتهم القادمة والانطلاق منها إلى أهداف أعمق داخل الأرض البيزنطية.[١] مثلما فعلوا في عهد الوليد بن عبد الملك وفي سنة ٨٨هـ/٧٠٦م حين استولوا على سلوقية، ومرعش، وعمورية، وهرقلة وزودوها بالحاميات لتحمي مؤخرة جيشهم ولتكون قاعدة للهجوم على معاقل البيزنطيين البعيدة.[٢] وكانت هذه المعارك على نوعين:

١- **الصوائف**: وكانت تبدأ في أوائل شهر تموز وتستمر حتى قدوم الشتاء من كل عام. ٢- **الشواتي**: كانت تبدأ في أواخر شهر شباط وتستمر حوالي الشهر من كل عام.

ويلاحظ أنَّ مدة الصوائف كانت أطول من الشواتي، لأن العرب لم يكن لهم صبر على برد بلاد الروم القارس، لذلك كانوا أحياناً يغزون صائفتين في السنة فتسمى إحداها بالصائفة اليمنى والأخرى باليسرى.[٣]

وباعتبار أنه لم يكن للصوائف والشواتي نتائج حاسمة، لذا فقد اختصرت المصادر في الحديث عن معظمها، على ذكر تاريخ و مكان وقوعها إضافة إلى اسم قائدها.

فبرزت هنا أسماء مجموعة من القادة المسلمين الذين كان لهم دور بارز في قيادة الصوائف والشواتي على الجبهة البيزنطية مثل: بسر بن أبي أرطاة، وفضالة بن عبيد الأنصاري، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وعبد الرحمن ابن أم الحكم، وسفيان بن عوف الأزدي، ويزيد بن شجرة الرهاوي، ومالك بن هبيرة الفزاري، ومحمد بن مالك، ومعن بن يزيد السلمي، وجنادة بن أبى أمية، ومالك بن عبد الله الخثعمي، وعبد الله بن قيس الفزاري، ومسلمة بن عبد الملك، والعباس وعبد العزيز ابنا الوليد ومعاوية بن هشام وغيرهم.[٤]

١- النشاط العسكري في عهد معاوية بن أبي سفيان:

تجمع المصادر على أنَّ الصوائف والشواتي بدأت مع بداية عهد معاوية بن أبي سفيان، وتتفق معظمها على أنَّ أولها كان سنة ٤٢هـ/٦٦٢م وفيها دخل العرب بلاد البيزنطيين وقتلوا جماعة من البطارقة.[٥] جاءت هذه الغزوة بعد أنْ استقام الأمر لمعاوية وتخلص من كل خصومه في الداخل ليقتص ممن بقي في الخارج وعلى رأسهم البيزنطيون الذين استغلوا نزاعه مع خصومه ليشنّوا هجوماً كبيراً على حدود دولته، اجبره على شراء صلح باهظ الثمن بلغ مئة ألف دينار، فكان معاوية أول من

---

١ - خماش(نجدة): خلافة بني أمية في الميزان,دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر, دمشق ط١ ٢٠٠١م. صـ ١٠٦.

٢ - زكار: تاريخ العرب والإسلام صـ ١٩٢

٣ - هندي: الحياة العسكرية عند العرب صـ ٢٢٥

٤ - ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١/ق٢/ صـ٢٠٢- ٢١٩

٥ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٥/صـ ١٧٢

- ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١/ق٢/ صـ ٢٠١

- ابن خلدون(عبد الرحمن بن خلدون): تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان كتاب العبر والمبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، قدم هذه الطبعة أ.د عبادة كحيلة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٧م, ج٣ / صـ ٩

صالح البيزنطيين،[١] وكان هذا الصلح ضرورة تكتيكية فرضتها الأوضاع الخطيرة التي كانت تمر بها الدولة من نزاعات داخلية، وحين شرع معاوية في إرسال غزواته السنوية من جديد، طلب الإمبراطور البيزنطي تجديد الصلح على أنْ يضاعف له المبلغ الذي كان يدفعه معاوية، فرفض مستغلاً الأوضاع المضطربة التي كانت تعيشها الإمبراطورية البيزنطية.[٢] وفي السنة التالية ٤٣هـ/٦٦٣م شتى بسر بن أبي أرطاة بأرض الروم حتى بلغ القسطنطينية.[٣] وبسبب تعدد الصوائف والشواتي فقد اختصر البحث حديثه على تلك التي حققت بعض النتائج أو التي ذكرت المصادر عنها بعض التفاصيل ومنها:

شاتية سنة ٤٦هـ/٦٦٦م والتي كانت بقيادة مالك بن عبد الله،[٤] أو عبد الرحمن بن خالد بن الوليد،[٥] والتي أمضت شتاءها الأول في كلوديوبولس ثم انتقلت بعد ذلك إلى إقليم أنقرة ودارت المعركة الأولى عند بحيرة تدعى سكدارين، وكان في البحيرة بعض الجزر الصغيرة لجأ إليها السكان هرباً من جيش المسلمين، فصنع عبد الرحمن المراكب للحاق بهم، وتمكن بعض الأهالي من قطع حبال المراكب العربية خفية، فصار العرب محصورين بين الماء والوحل، فتجمع الأهلون وهاجموا العرب بالسيوف والحجارة والسهام، فأجبروا العرب على التراجع، وفي العام نفسه حاصر عبد الرحمن قلعة سلوس قرب عمورية لكنه لم يتمكن منها فواصل مسيره واستولى على قلعة بسينوس شمالي عمورية، ثم استولى على مدينة خيوس ثم سميرنا (أزمير) على الشواطئ الغربية لأسيا الصغرى، ليعود أدراجه بعدها إلى مدينة حمص.[٦]

ويتحدث تيوفانس عن غزوة بيزنطية حققت بعض الانتصار على العرب وذلك سنة ٤٧هـ/ ٦٦٧م بقيادة رجل يدعى أندريو، استطاع محاصرة العمورية في ليلة شديدة الثلج، واقتحام المدينة عن طريق السلالم وقتل حاميتها من العرب والبالغ عددهم خمسة آلاف رجل دون أنْ يفلت أحد منهم.[٧] هذا الخبر لا تؤكده المصادر العربية مما يدفع إلى الاعتقاد بأن المؤرخ وإن كان صائباً في خبر النصر فإنه لا بد وأنْ يكون مخطئاً في عدد القتلى. إذ من غير المعقول أنْ تهمل المصادر العربية مقتل هذا العدد الضخم من المسلمين, دون أي ذكر أو اشارة حتى.

ومن الغزوات العربية الهامة أيضاً الحملة الضخمة التي أرسلها معاوية لفتح القسطنطينية والتي سترد تفاصيلها لاحقاً وذلك سنة ٤٩هـ/٦٦٩م باتفاق معظم

---

١ - اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي, صـ ٢٩٨

- كرد علي: خطط الشام ج١/ صـ ١١٠- ١١١

٢ - اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي, صـ ٢٩٨

٣ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٥/صـ ١٨١.

- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة, ج١/صـ ١٦٣

٤ - الطبري: المصدر نفسه ، ج٥/صـ ٢٢٧

- ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١/ق٢/ صـ ٢٠٢

٥ - ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١/ق٢/ صـ ٢٠٢- ٢٠٣

- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ج٣/ صـ٩

- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة,ج١/ صـ ١٧٢- ١٧٣

٦ - عثمان: الحدود الإسلامية,ج٢ صـ ٤٢

٧ - Theophanes: Chronicle of Theophanes p 50

المصادر،[١] والتي توردها بعض المصادر ضمن أحداث سنة ٥٠هـ/٦٧٠م،[٢] في الوقت الذي تجعل فيه باقي المصادر والمراجع غزوة سنة ٥٠هـ/٦٧٠م غزوة مختلفة و إنْ كانت بقيادة سفيان بن عوف أيضاً ومعه بسر بن أبي أرطاة وفضالة بن عبيد بالبحر، و إنَّ هذه الغزوة كانت بأرض الروم ولم تصل إلى عاصمتهم.[٣]

وبعد هذه الحملة استمرت الصوائف والشواتي بالخروج كل عام إلى أرض الروم وتكللت بحملة معاوية الثانية لفتح القسطنطينية سنة ٥٤- ٦٠هـ/٦٧٤- ٦٨٠م والتي سترد تفاصيلها هي الأخرى لاحقاً.

ويتحدث تيوفانس عن معركة حدثت بين العرب بقيادة سفيان بن عوف وبين البيزنطيين سنة٥٤هـ/٦٧٤م انتهت بهزيمة العرب ومقتل ما يقارب الثلاثين ألفاً،[٤] ولا يعرف اذا كانت هذه المعركة التي يتحدث عنها تيوفانس هي إحدى المعارك التي خاضتها القوات الأموية في طريقها إلى القسطنطينية أو أنَّها سابقة لها فإذا كانت موافقة للاحتمال الأول، فمن غير المعقول أن يتابع الجيش طريقه بعد أنْ خسر ثلاثين ألف رجل ليفرض حصاره الذي دام سبع سنوات على القسطنطينية، وإذا كانت المعركة سابقة للحملة فمن غير المعقول أن يرسل الأمويون حملة ضخمة كتلك بعد أن فقدوا ذلك العدد الضخم من الرجال، وأغلب الظن أن هذه المعركة إنْ كان لها وجود فإنَّ خسارة العرب لن تكون بهذه الضخامة التي يرسمها تيوفانس.

ويلاحظ تفوق عدد الشواتي على عدد الصوائف، ولا يمكن القول بضعف الصوائف إذ أنَّ توقيتها أنسب للعرب وطبيعتهم[٥] ولكن يمكن القول إنَّه نتيجة لتفوق الأمويين العسكري وسيطرتهم على الموقف في تلك المرحلة إبان خلافة معاوية فقد كان يتم إطالة أمد الشواتي لتدوم الصيف أيضاً.

ويمكن للمطلع على تاريخ العصر العباسي ملاحظة التشابه الكبير بين عهد معاوية والخليفة العباسي المأمون, وخاصة من حيث النشاط العسكري على الجبهة البيزنطية، فكلا هما أبدى اهتماماً خاصاً بهذه الجبهة, وكلا هما سير الجيوش إلى هذه الجبهة وكلا هما حاول فتح القسطنطينية.[٦]

---

١ - الطبري: المصدر نفسه، ج٥/صـ ٢٤٢

- ابن الأثير: الكامل ج٣/ صـ ٥٦- ٥٧

- ابن كثير:البداية والنهاية,ج ٨ / صـ ٢٨

- كنعان:تاريخ الدولة الأموية صـ٤٠

٢ - الذهبي:تاريخ الإسلام, حوادث ووفيات (٤١-٦٠هـ) صـ ١٢١

- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ج٣/ صـ٩- ١٠

- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج١/صـ ١٨٢

٣ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٥/صـ ٢٣٤

- ابن الأثير: الكامل ج٣/ صـ ٥٩

- ابن كثير:البداية والنهاية ج ٨ / صـ ٤٠

٤ - Theophanes: Chronicle of Theophanes p 53

٥ - عثمان: الحدود الإسلامية, ج٢ صـ ٥٠

٦ - - اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي صـ ٣١٢, ٤٥١- ٤٥٤

٢ـ النشاط العسكري في عهد خلفاء معاوية:

وفي سنة ٦٠هـ/٦٧٩م توفي معاوية بن أبي سفيان وانتقلت الخلافة إلى ابنه يزيد الذي يقول عنه كرد علي بأنه سار على خطة أبيه في جهاد الروم ولم تمنعه فتن ابن الزبير وشيعة العراق عن قتالهم،[١] لكن في الحقيقة إنَّ الفتن والاضطرابات شغلت الأمويين طوال عهد يزيد وعهد ابنه معاوية الثاني وحتى عهد مروان بن الحكم،إذ لم تسمح لهم بإرسال ولو صائفة واحدة. وقد أثر انشغال الأمويين بالفتن الداخلية من خروج الحسين بن علي ثم استقلال عبد الله بن الزبير بمعظم الولايات و تمرد عمرو بن سعيد بن العاص إضافة إلى فتن الشيعة والخوارج على موقف الدولة الأموية تجاه جيرانها وخاصة تجاه الدولة البيزنطية التي استغلت هذه الأوضاع المضطربة ونقضت الصلح الذي أبرمته مع معاوية وهاجمت منطقة الثغور في مرعش وملطية طريق الصوائف الإسلامية التي طالما قضت مضاجع البيزنطيين.[٢] كما قام البيزنطيون باستخدام ورقة لعب جديدة من خلال التحالف مع الخزر الذين تعددت هجماتهم على المسلمين بين سنتي ٦٤هـ/٦٨٣م،و٦٧هـ/٦٨٦م.[٣] إلا أن الظروف الخطيرة التي عصفت بالإمبراطورية البيزنطية، عندما كان السلاف يحاصرون مدينة سالونيك، والبلغار يتقدمون مقتطعين أجزاء هامة من الأراضي البيزنطية على ضفاف الدانوب.[٤] منعتها من الاستمرار في هذا الاستغلال.

٣ـ النشاط العسكري في عهد عبد الملك وأبنائه(الوليد وسليمان):

وعندما انتقلت الخلافة إلى عبد الملك بن مروان لاحظ الخليفة الشاب خطورة الموقف، منافسين ثائرين في الداخل، وأعداء متربصين في الخارج، فكان الموقف يتطلب تصرفاً سريعاً وحكيماً، وإلا وقع بين فكي كماشة قد تودي به وبدولته، فكان لابد من مهادنة أحد الفكين ولو إلى حين ليتسنى له تحطيم الفك الآخر ثم الآخر، فرأى أنَّ مهادنة المعارضين والتفرغ لقتال البيزنطيين فيه الكثير من المجازفة، لأن المعارضين و إنْ هدءوا الآن لا بد لهم أنْ يثوروا إنْ عاجلاً أم آجلا، وربما ثاروا في أحرج لحظات الحرب مع البيزنطيين، هذا إلى جانب أنَّ حروبه مع البيزنطيين غير مضمونة النتائج وقد تستمر هذه الحروب طويلا ومعارضوه باقون شوكة مؤلمة في جنبه، وحين عكس الموقف وجد أنَّ النتائج تبدو إيجابية أكثر، يهادن البيزنطيين في الخارج ويحارب المنافسين في الداخل، لان تصفية هؤلاء تبدو أسهل بكثير من فكرة القضاء على البيزنطيين. وهذا ما يسميه بسام العسلي بـ الأفضلية في الحرب وفقاً لدرجة الخطر،[٥] لذلك عقد صلحاً سريعاً مع البيزنطيين تعهد عبد الملك بموجبه بدفع ألف دينار للبيزنطيين في كل جمعة،[٦] فأظهر الصلح الأمويين بمظهر الخاضعين

---

١ - كرد علي: خطط الشام ج١/ صـ ١١١- ١١٢

٢ - أبو زيد: الدولة الأموية٠٠دولة الفتوحات صـ ٢٥, ٢٦

٣ - عثمان: الحدود الإسلامية, ج٢ صـ ٧٣

٤ - عمران:معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية, صـ ٨٢

٥ - العسلي(بسام): عبد الملك القائد, دار النفائس, بيروت ط١ ١٩٨٦م صـ ١٣١

٦ - ابن الأثير: الكامل ج٣/ صـ ٣٦١

الخانعين، لكنه في واقع الحال كان تكتيكاً أثبتت الأحداث التالية جدواه، فقد أفسح هذا الصلح المجال أمام عبد الملك ولو لحين لحل مشاكله الداخلية. وفي سنة ٧٠هـ/٦٨٩م نقض الإمبراطور البيزنطي جستنيان الثاني الصلح بنفسه وهاجم الحدود الإسلامية وعبد الملك لم يفرغ من مشاكله بعد، فاضطر إلى شراء الهدنة بثمن أغلى من ذي قبل بكثير،[١] فأظهر بذلك براعته القيادية في كل خطوة خطاها على هذه الجبهة ، وتمكن بفضل براعته تلك من القضاء على منافسيه في الداخل.

- حرب القراطيس[٢]:

وما ان انتهى عبد الملك من خصومه في الداخل، حتى كان عليه أنْ يواجه أشرس أعدائه على الجبهة الشمالية بقيادة جستنيان الثاني الذي نقض الصلح مجدداً، بحجة القراطيس التي كانت تأتي إلى البيزنطيين من أرض مصر. إذ كان هناك تفاهم شبيه بالاتفاق بين الطرفين على أنْ تقوم الدولة الإسلامية بتحضير وتصدير نوع من الصحائف(القراطيس) يرسم في أعلاها عبارات ورسوم بيزنطية، ويقوم البيزنطيون بتصدير النقود والمزينة أيضاً برسوم الأباطرة والكتابات البيزنطية، والتي كانت تتداول بشكل رسمي في الدولة الأموية وخاصة في قسمها الغربي في ظل غياب العملة الإسلامية. وحين تولى عبد الملك الخلافة أمر بكتابة الآية الكريمة{قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ}[٣]غيرها من ذكر الله تعالى في رؤوس الطوامير،[٤] فكتب جستنيان الثاني إلى عبد الملك: أنكم أحدثتم في قراطيسكم كتاباً نكرهه فإن تركتموه وإلا أتاكم في الدنانير من ذكر نبيكم ما تكرهونه.[٥] فكبر ذلك في صدر عبد الملك وكره أنْ يدع سنة حسنة سنها، فاستشار خالد بن يزيد بن معاوية، فأشار عليه بضرب دنانير عربية، وتحريم الدنانير البيزنطية ومنع التعامل بها.[٦]

فبادر عبد الملك على الفور للعمل بمشورة خالد بن يزيد، حين وجد في رأيه تماشياً مع سياسته القاضية بتثبيت أركان الدولة وتحريرها من أية هيمنة بيزنطية، ورأى في تعريب النقود استقلالاً اقتصادياً وضرورة مرحلية لتأخذ الدولة الشكل الذي يتفق وكونها دولة عربية إسلامية.[٧] فصك النقود العربية الذهبية لأول مرة في التاريخ،

---

١ - البلاذري: فتوح البلدان, , صـ ١٠٠

- ابن الأثير: الكامل ج٣/ صـ ٣٦٣

- الذهبي: تاريخ الإسلام , حوادث ووفيات (٦١-٨٠هـ), صـ ٦٩

- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة,ج١/ صـ ٢٣٩

- رستم :الروم ج١/ صـ٢٦٤- ٢٦٥

٢ - القراطيس: مفردها قرطاس أي الصحيفة.[الفيروزآبادي(الشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب): القاموس المحيط, مؤسسة النوري للطباعة والنشر والتوزيع, دمشق ط١ ١٩٨٧م, ج٢/ صـ٢٤٠.]

٣ - سورة الإخلاص: الآية ١

٤ - الطوامير: ومفردها طامور أي الصحيفة. [الفيروزآبادي: القاموس المحيط, ج٢/ صـ٧٩]

٥ - البلاذري: فتوح البلدان صـ ١٤٦.

- المقريزي(تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٥٤هـ/١٤٥٠م): النقود الإسلامية المسمى " بشذور العقود في ذكر النقود", تحقيق وإضافات السيد محمد بحر العلوم, دار الزهراء, بيروت ط٦ ١٩٨٨م/ ١٤٠٨هـ صـ ٦٣

- الشيخ:تاريخ الإمبراطورية البيزنطية صـ ١٠٥

٦- البلاذري: فتوح البلدان صـ ١٤٦.

- المقريزي: النقود الإسلامية صـ ٦٣

٧- فرج ويوسف: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية صـ ١٠٠

بعد ان زينها بعبارة {أُرْسَلَ رَسُولهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِينِ كُلِهِ.}[١]كتحد للغطرسة العسكرية والهيمنة الاقتصادية البيزنطية، وأرسل الجزية التي كان يدفعها للبيزنطيين من الدنانير العربية التي قام بصكها،[٢] الأمر الذي أثار جنون جستنيان فسارع إلى إعلان الحرب سنة ٧٤هـ/٦٩٣م بعد أنْ كوَّن فرقة كبيرة من السلاف بلغ تعدادها ثلاثون ألف مقاتل، أسماها الجيش الخاص،[٣] وجعل مقرها الرئيسي بند الأوبسيكون المطل على الدردنيل، محاولاً ملء الفراغ الذي خلفه نقل المردة بالعناصر السلافية، فالتقى مع المسلمين عند مدينة سيواس (سباستبولس) وفي معركة ربما كانت الأعنف والأضخم من بين المعارك التي دارت بين الطرفين حتى ذلك التاريخ, لكن جستنيان الذي اغتر باستعداداته وأعداده الهائلة, هُزم هزيمة ساحقة كاد معها أنْ يخسر آسيا الصغرى بكاملها بعد أنْ انحاز حوالي عشرون ألف من السلاف إلى المسلمين،[٤] كما لحقت به الهزيمة أيضاً في المعركتين التاليتين واكتسح جنود المسلمين إقليم كبادوكيا طولاً وعرضاً.[٥] وأظهرت المعركة صواب عمل عبد الملك عندما وافق على دفع جزية باهظة للبيزنطيين مقابل نقل المردة(الجراجمة) إلى داخل الأراضي البيزنطية، العمل الذي وصفه ارشيبالد لويس بالصلح الغير مشرف لعبد الملك والذي نقض نفسه في الصفحة ذاتها من كتابه(القوى البحرية والتجارية في حوض المتوسط) حين تحدث عن قرار جستنيان بشن الحرب فيقول: لكن يظهر أنه تسرع في قراره لأنه لم يصادف نجاحاً يذكر، ولم يكن في الوقت ذاته قادراً على الإفادة من (مردته) المقيمين حينذاك في آسيا الصغرى، فعجز عن القيام بضغط يذكر على دمشق، وانتهى أمره بهزيمة منكرة على حدود آسيا الصغرى.)[٦] كما أظهرت المعركة تفوق عبد الملك التكتيكي عندما بث جواسيسه في صفوف الجيش البيزنطي، حيث تمكن من استمالة ما يقارب العشرين ألفاً من العناصر السلافية التي عبأها جستنيان في صفوف جيشه، وكان هذا العمل من أهم أسباب انتصار الأمويين في هذه المعركة، وفي كل مرة أكد فيها عبد الملك على تفوقه، أكد جستنيان على حماقته وفشله، فرغم أنَّه مَنْ بادر إلى القتال وفرض توقيته، فقد هُزم هزيمة ساحقة، ملقياً باللوم على السلاف الذين غدروا به وانضموا إلى عبد الملك، فارتكب مذبحة رهيبة فيمن بقي منهم في جيشه بدل المحافظة عليهم ومحاولة استرجاع رفاقهم.[٧] ونتيجة لمعاملة جستنيان القاسية لجأ

١- سورة الفتح: الآية ٢٨

٢- فلهوزن: تاريخ الدولة العربية صـ ٢١٠

- عبد الله (وديع فتحي): العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٩٠م صـ ٧٤.

٣- Theophanes: Chronicle of Theophanes p 64

٤- OSTROGORSKY:A History of the Byzantine states, P 118

- خماش:خلافة بني أمية في الميزان صـ ١٠٥- ١٠٦

- عثمان: الحدود الإسلامية, ج٢ صـ ٧١

- خماش: الشام في صدر الإسلام صـ ٣٤٥

٥- أومان: الإمبراطورية البيزنطية صـ ١٣٧

٦ - لويس(ارشيبالد.ر): القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط(٥٠٠- ١١٠٠م) ترجمة أحمد محمد عيسى, مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال, مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر, نيويورك. صـ ٩٩

٧ - خماش: خلافة بني أمية في الميزان صـ ١٠٦

من تبقى من السلاف إلى الأمويين، فاستقبلهم عبد الملك أحسن استقبال وأمَّن لهم أطيب المقام في ثغور الشام وقبرص، فتحول السلاف إلى أقوى سلاح في يد الأمويين، بخبراتهم العسكرية ومعارفهم بالأراضي البيزنطية، فكان لانضمامهم إلى صف الأمويين أكبر الأثر في المعارك التالية.(١)

بعد هذه المعركة عاد الأمويون إلى الغزو مرة أخرى فقد غزا محمد بن مروان الصائفة سنة ٧٥هـ/٦٩٤م عند خروج الروم من ناحية مرعش.(٢) كما خرج عبد الملك إلى الغزو بنفسه سنة ٧٧هـ/ ٦٩٦م فافتتح مدينة هرقلة.(٣) وقد انشغل الأمويون عن الغزو مرة أخرى بسبب حروب عبد الملك مع الخوارج وثورة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث.

ويتحدث تيوفانس مجدداً عن هجوم بيزنطي على سورية سنة٨١هـ/٧٠٠م قام البيزنطيون خلاله بقتل ما يقارب المائتي ألف عربي إضافة إلى الكثير من الأسرى، ويبدو أنَّ المؤرخ ذاته غير مقتنع بالرقم لذلك زوده بعبارة (كما يدعون).(٤) كما يقول إن أزيد (٥) هاجم كيليكيا سنة ٨٥هـ/٧٠٤م فتصدى له أخ الإمبراطور ويدعى هرقل حيث قتل من العرب اثنا عشر ألف مقاتل.(٦) والحقيقة وإنْ بالغ تيوفانس في أعداد قتلى المسلمين، فإنَّ البيزنطيين صادفوا بعض النجاح في عهد الإمبراطور تيبيروس الثالث(٧٩- ٨٦هـ/٦٩٨- ٧٠٥م) والذي كان مهتماً بالجبهة الإسلامية أشد الاهتمام، إلا أنَّ هذا التوفيق في العمليات العسكرية ضد المسلمين لم يدم طويلاً، إذ عصفت بها رياح الفوضى التي عصفت بالقسطنطينية على اثر عودة جستنيان إلى الحكم بعد الإطاحة بتيبيروس الثالث سنة(٨٦هـ/٧٠٥م) إضافة إلى تركيز الدولة العربية جهودها نحو الشمال بعد أن أزالت أسباب الاضطراب في المشرق بالقضاء على ثورة ابن الأشعث(٧) في عهد عبد الملك بن مروان.

ومما يذكر ابن أعثم الكوفي عن غزوات المسلمين: (إن الروم تحركوا بأرض القسطنطينية، وغيرها من بلاد الروم، فاجتمعوا في خلق عظيم، وعزموا على مفاجأة المسلمين في دارهم، وأخذ الشام من أيديهم، وبلغ ذلك عبد الملك بن مروان، فاستنهض الناس وكتب إلى عماله في الحجاز واليمن و العراق ومصر يطلب منهم الرجال، واحضر ابنه مسلمة وأخاه محمد بن مروان من أرمينية وأذربيجان مع أجنادهما.

- الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية صـ ١٠٧

١ - رستم: الروم ج ١ /صـ ٢٦٧

٢ - ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١/ق٢/ صـ ٢١٣

٣ - ابن العماد: شذرات الذهب م١/صـ ٣١٧

٤ - Theophanes: Chronicle of Theophanes p 67

٥ - أزيد: هو يزيد بن حنين أرسله عبد الله بن عبد الملك لقتال الروم [ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة,ج١/ صـ٢٦٨]

٦ - Theophanes: Chronicle of Theophanes p 70

٧ - فرج ويوسف: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية صـ ١٠٦- ١٠٧

فلما اجتمع الناس من جميع الأمصار، قام فيهم خطيباً، ثم قال:... وإني قد عزمت أن أغزو بكم غزوة شريفة إلى إليون[١] صاحب الروم.... وقد بلغني أنه قد جمع للمسلمين جموعاً كثيرة، وعزم على غزوكم، ومفاجأتكم في دياركم.)[٢] وسار مسلمة بعد ذلك حتى فتح طوانة. التي غزاها مسلمة مرة أخرى على مايبدو سنة ٨٨هـ/٧٠٧م ومعه ابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك، والجدير بالذكر إنَّه كان لفتح طوانة أهمية كبيرة جداً نابعة من أهمية موقع هذه المدينة، إذ كانت مفتاح للطريق الهام الذي يربط بين الشام والبوسفور، والذي تسلكه معظم الجيوش الإسلامية المهاجمة، وكان إصرار العرب على إسقاط المدينة نابع من حرصهم على تأمين خطوط مواصلاتهم المتوغلة في آسيا الصغرى وليس مجرد الإغارة السريعة والعودة مثل الإغارات السالفة.[٣] وبعد طوانة سار مسلمة حسب رواية أبن الأعثم إلى عمورية التي دخلها عنوة بعد قتال عنيف ومنها إلى حصن آخر يسميه الكوفي النقفورية، فتحه أيضاً بعد قتال أعنف من ذي قبل، كاد أنْ يزيل مسلمة ومن معه، ثم سار إلى السماوة وحاصرها أربعين يوماً، ولم يتمكن منها إلا بعد أنْ حصل على مساعدة من أحد بطارقة الروم، فهرب بطريقها ويقال له أفريطون إلى مدينة يقال لها المسيحية، فتوجه إليها مسلمة بعد أنْ انتهى من أمر السماوة، وتقاتل المسلمون والبيزنطيون, فاستبسل المسلمون في القتال، واستشهد محمد بن عبد العزيز بن مروان على يد أفريطون فثأر له البطال واحتز رأس أفريطون، الذي انكسر أصحابه بعد مقتله فدخل المسلمون المدينة عنوة، وأقاموا بها لحلول فصل الشتاء، الذي أرغمهم على البقاء حتى نهايته, حيث ساروا منها إلى مدينة تسمى بدروق وعليها بطريق يدعى ليوس، فقتله البطال وقتل المسلمون من أصحابه الكثير, واقتحموا مدينته ومنها اتجهوا يريدون القسطنطينية.[٤] ويلاحظ في رواية ابن الأعثم تفرده بذكر أحداث لا تذكرها المصادر الأخرى، وذكر مدن لا ذكر لها هي الأخرى في باقي المصادر مثل: النقفورية والسماوة والمسيحية وبدروق وغيرها. كما إن المصادر لا تذكر أي جيش وصل القسطنطينية في عهد عبد الملك, وانما كان غزوها في عهد ابنه سليمان.

واستمرت الغزوات بعد ذلك بشكل شبه دوري طوال عهد الوليد وسليمان الذي كلل عهده بحصار القسطنطينية.

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال هام ألا وهو ما سر اهتمام كلا من الوليد وسليمان بالأعمال العسكرية؟ وخاصة محاولة فتح القسطنطينية, على الرغم من أن عبد الملك ترك لهما دولة مهابة الجانب, فهل كان الطموح في بناء دولة متوسطية هو الدافع؟

---

١ - كانت هذه الغزوة سنة ٨٦هـ حسب ابن خياط(خليفة بن خياط العصفري ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م): تاريخ خليفة بن خياط, رواية بقي بن مخلد, حققه د. سهيل زكار, مطابع وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي, دمشق ١٩٦٨م ق١/صـ ٣٨١ , وتاريخ ابن خلدون ج٣/ صـ ٨٩, وبذلك يكون الإمبراطور آنذاك جستنيان الثاني بحسب الباز العريني:الدولة البيزنطية صـ ١٧١+ ١٧٢ لأن إليون أو ليون لم يتولى العرش إلا سنة ٩٩هـ بحسب نعيم فرح: تاريخ بيزنطة السياسي صـ١٦٦

٢ - ابن أعثم: الفتوح ج٣/ صـ ٦٢- ٦٣

٣ - فرج ويوسف: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية صـ ١١٥

٤ - ابن أعثم: الفتوح ج٣/ صـ ٧٦- ٨٤

تشمل قارات العالم الثلاث المعروفة انذاك, خاصة بعد نجاحهم في اسيا وافريقية وجنوب اوربة, ام كان سباق خلافي لتسجيل مجد شخصي؟

٤ـ النشاط العسكري في عهد عمر بن عبد العزيز:

وبانتقال الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز طرأ تغيير جذري على سياسة الدولة الأموية وخاصة العسكرية، فعمر بن عبد العزيز كان مختلفاً عن كل من سبقه من الخلفاء الأمويين، لذلك فقد شبهه المؤرخون بالخلفاء الراشدين فعد خامسهم، إذ كان كارهاً للحرب محبا للسلام، وكان يرى أنَّه من الأجدى أنْ تصرف جهود المسلمين وأموالهم في إصلاح الدولة ورفعتها،[١] بدلا من صرفها في سفك الدماء وزرع الأحقاد فتعامل مع خصوم الدولة بطريقة جديدة قائمة على نشر العدل بين الرعية والسلام مع الجيران، وقد نجح في كسب مودة الشيعة بعد منع سب الإمام علي بن أبي طالب على المنابر، وجادل الخوارج بالحسنى والإقناع فاستكانوا طوال عهده، وأسقط الجزية عن الموالي وفرض لمقاتلتهم العطاء، كما هدَّأ من العصبية القبلية بين القيسية واليمنية، فاختار الولاة لكفايتهم لا لانتمائهم،[٢] فعاشت الساحة الداخلية للدولة أزهى أيامها وعمَّ العدل والسلام كافة أرجائها.وخارجياً أقفل جميع الجيوش الغازية وعلى رأسها جيش مسلمة بن عبد الملك، المرابط حول أسوار القسطنطينية، وبدل السرايا أرسل الرسائل، الداعية إلى السلام والإسلام، فكاتب الإمبراطور البيزنطي وكاتب ملوك الترك والسند وزعماء البربر، فلاقت دعواته آذاناً صاغية لدى بعض ملوك الترك والسند وطائفة كبيرة من البربر.[٣] ولم يسجل في عهده على الجبهة البيزنطية نشاطاً عسكرياً يذكر، سوى غزوة الوليد بن هشام المعيطي وصائفة عمر بن قيس الكندي سنة ١٠٠هـ/٧١٨م.[٤] إذ تعطلت حركة الصوائف والشواتي حتى نهاية عهده، وانتقال الخلافة إلى ابن عمه يزيد بن عبد الملك.

٥ـ النشاط العسكري في عهد يزيد بن عبد الملك:

أحيا يزيد حركة الجهاد من جديد، لكن دون نتائج واضحة أو ثابتة، متناسبة مع حجم الجهود المبذولة. وذلك بسبب تغير الوضع على الجانب البيزنطي, اذ كانت بيزنطة تعيش حالة من الاستقرار السياسي في ظل الإمبراطور ليو الأيسوري, الذي أعاد تنظيم الجيش البيزنطي وتوزعه وخاصة في الأقاليم الحدودية, في الوقت الذي تحالف فيه مع الخزر الذين شاركوا البيزنطيين في الإغارة على الحدود الإسلامية.[٥] مما أجبر الأمويين على تغيير سياستهم العسكرية, فقد استبدلت سياسة الزحف باتجاه القسطنطينية إلى سياسة تحصين الحدود والاهتمام بالثغور لمواجهة الهجمات

---

١ - بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية, صـ ١٤٨- ١٤٩

٢ - العبادي: صور وبحوث من التاريخ الإسلامي صـ ١٧٠ - ١٧١

٣ - العبادي: صور وبحوث من التاريخ الإسلامي صـ ١٧١

٤ - ابن الأثير: الكامل ج٤/ صـ١٠٩

٥ - فرج ويوسف: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية صـ ٢٠٨.

البيزنطية التي زاد ضغطها على الحدود, كما وجّه الأمويون جل اهتمامهم إلى الجبهة الأرمينية بعد تزايد غارات الخزر هناك.[١]

على الرغم من ذلك شهد عهد يزيد خروج عدة غزوات ومنها ما كان سنة١٠٢هـ/٧٢٠م بقيادة العباس بن الوليد الذي غزا أرض الروم وافتتح مدينة دلسة.[٢]

٦ـ النشاط العسكري في عهد هشام بن عبد الملك وباقي الخلفاء :

استمرت الغزوات في عهد هشام بن عبد الملك، وبدون انقطاع تقريباً، وبحماس أكبر من ذي قبل، حتى إنَّ كل قطاع من قطاعات الحدود، كان يقوم بحملة مستقلة كما لو كان نشاطه الخاص، وكثرت الغزوات حتى إنَّ بعض الأعوام شهد خروج أكثر من صائفة فسميت إحداها باليسرى والأخرى باليمنى.[٣] كما أحيا هشام فكرة الاتجاه إلى القسطنطينية من جديد، ولكن ظروف البيزنطيين لم تكن تسمح بذلك، فقد انتعشت الدولة بفضل إمبراطورها القوي ليو الثالث وابنه قسطنطين، اللذين نقلا الصراع إلى الحدود الإسلامية ذاتها، إضافة إلى ضغط الخزر على الجبهة الأرمينية والذي كان من الخطورة بحيث نال القسط الأكبر من جهود واهتمام الخلفاء.[٤]

ويورد ابن خياط في أحداث سنة١١٤هـ/٧٣٢م، واليعقوبي في أحداث سنة١١٥ هـ/٧٣٣م رواية غريبة إذ يقولان: (إن معاوية بن هشام غزا أرض الروم ومعه عبد الله البطال فالتقوا بـ قسطنطين في جمع فهزم الله العدو وأسر قسطنطين!)[٥] أما في العيون والحدائق فهي ترد في أحداث سنة ١٢٢هـ/٧٤٠م.[٦] دون أي تعقيب على الخبر ودون تحديد لهوية قسطنطين هذا، ودون أي خبر عن مصيره، وقسطنطين بدون تعريف يقود إلى الاعتقاد أن المقصود لا بد أنْ يكون شخصاً مهماً أو معروفاً في الأوساط الإسلامية، وبناءً عليه فليس هناك من هو أكثر شهرة من قسطنطين ابن الإمبراطور ليو الأيسوري الذي كان يحكم القسطنطينية آنذاك، ولكن هل من المعقول أن يؤسر ابن إمبراطور بيزنطة دون أن تقف عنده باقي المصادر؟، وما هو مصيره وكيف خرج من الأسر؟ إذ أصبح قسطنطين إمبراطوراً بعد أبيه، أو يكون المقصود هو شخص أخر، ربما بطريق من البطارقة أو أحد القادة البيزنطيين. أما غزوة سنة ١١٥هـ/٧٣٣م فهي مذكورة في العيون والحدائق لكن دون أي ذكر لقسطنطين هذا، بل يذكر غلام رومي يدعى الغلام البريدي مولى أم البنين من بني أمية وتحديه فرسان المسلمين بالمبارزة وانتصاره على خمسة من فرسان المسلمين، حتى خروج

---

١ - عثمان: الحدود الإسلامية,ج٢ صـ ٩٨ - ٩٩

٢ - ابن خياط(خليفة بن خياط العصفري ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م): تاريخ خليفة بن خياط, رواية بقي بن مخلد, حققه د. سهيل زكار, مطابع وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي, دمشق ١٩٦٨م ق٢/ صـ ٤٧٣

- ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ج /٢٦ صـ ٤٤٢- ٤٤٣

- ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون ج٣ صـ ١٣٣

٣ - عبد الله: العلاقات السياسية صـ ١٠٩- ١١٠

٤ - عثمان: الحدود الإسلامية, ج٢ صـ ١٠٢

٥ - ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط ق٢/ صـ ٥٠٧

- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٣٦٨

٦ - مجهول: العيون والحدائق صـ ٦٢

البطال وهو أمير ذلك الجيش ومبارزته له وقتله، وعندها وجه البطال رجاله ليحملوا على الأعداء حملة رجل واحد وعندما فعلوا كان النصر من نصيبهم.[١] وهذا يناقض ما يذكره المصدر نفسه من أنَّ البطال قُتل ومعه عبد الوهاب بن بخت في غزوة سنة ١١٣هـ/٧٣١م.[٢]

إلا أنَّ هشام لم يستطع أنْ يركز كل جهوده على الجبهة البيزنطية، لأن المشاكل الداخلية فرضت نفسها عليه فرضاً وامتصت من طاقاته الإدارية والعسكرية الكثير إذ أن الأرض كانت تميد تحت أقدام الأمويين، وكان هشام هو آخر أموي مقتدر استطاع أنَّ يؤخر النهاية المحتومة قدر المستطاع.[٣]

وقد استغل البيزنطيون الظروف الصعبة التي كانت تعيشها الخلافة الأموية، فشنوا عليها عدة هجمات، ففي عام١١٨هـ/٧٣٦م وصل الأسطول البيزنطي إلى مصر وأسر عدداً من السفن المصرية، ثم هاجم ميناء بيروت سنة١٢٠هـ/٧٣٨م وإنْ لم يحقق نجاحاً يذكر، وفي السنة التالية هاجم البيزنطيون مدينة دمياط المصرية أيضاً وقتلوا وأسروا الكثير من أهلها. وأمام هذا كان رد الخليفة محاولةً للتخفيف من حدة هذا النشاط، فاكتفى بإرسال حملة إلى ملطية بقيادة مسلمة بن عبد الملك،[٤] ولكنها لم تحقق نتائج تذكر، تلتها حملة أخرى إلى صقلية وكانت أكثر نجاحاً من سابقتها، ثم حملة مشتركة نفذها الأسطولان المصري والسوري وهاجما كريت وعادا بأعداد من الأسرى[٥].

- معركة أكروينون Acroinon ١٢٢ هـ/٧٤٠م :

في هذه السنة بعث المسلمون حملة ضخمة مؤلفة من تسعين ألف مقاتل، بقيادة سليمان بن هشام، وما إنْ شارف سليمان على الأراضي البيزنطية حتى قسم قواته إلى ثلاثة أقسام، فأرسل قوة مؤلفة من عشرة آلاف مقاتل إلى الجزء الغربي من جبال طوروس، واحتفظ بستين ألف مقاتل تحت قيادته وسار بهم إلى إقليم كبدوكية، في الوقت الذي سار فيه عبد الله البطال ومالك بن شبيب كل على رأس عشرة آلاف مقاتل إلى الشمال الغربي خلال البند الأناضولي، فألقوا الحصار على أكروينون أو قره حصار أو ربض أقرن كما تسميها المصادر العربية بالقرب من عمورية،[٦] ويذكر ابن العماد هذه الحملة ضمن حوادث سنة ١١٣هـ/٧٣١م فيقول: (وفيها غزا المسلمون وهم ثمانية آلاف، وعليهم مالك بن شبيب الباهلي، فتوغل بهم في أرض الروم... فانكسر المسلمون وقتل أميرهم مالك بن شبيب.... وكان معه في القتلى أبو يحي عبد الله الأنطاكي.) والذي يذكره في موضع آخر باسم أبو محمد البطال ويجعل

---

١ - مجهول: العيون والحدائق صـ ٥٢- ٥٣

٢ - مجهول: المصدر نفسه صـ ٥٢

٣ - فرج ويوسف: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية صـ ٢٣٣

٤ - ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط ق٢/ صـ ٥٠٧

٥ - عبد الله: العلاقات السياسية صـ ١١٣- ١١٤

- عثمان: الحدود الإسلامية, ج٢ صـ ١٠٦

٦ - ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية صـ ١٠٦

وفاته سنة ١٢١هـ/٧٣٨م،[١] ويذكر ابن كثير في معرض حديثه عن قصة استشهاد عبد الله البطال، إن الإمبراطور البيزنطي آنذاك ليو الثالث عندما وصلته أنباء حصار المسلمين لأكروينون سارع في تجهيز حملة ضخمة ضمت مئة ألف فارس، وقادها بنفسه، وحين علم المسلمون بخبر حملة ليو وضخامة عددها، اقترح البطال التراجع حتى حران والتحصن هناك حتى يدركهم سليمان بالمدد، بدل خوض غمار معركة غير متكافئة، احتمالات الخسارة فيها تفوق احتمالات النصر آلاف المرات، لكن زميله، الأمير مالك بن شبيب رفض الفكرة وأصرَّ على مواصلة الحصار ومواجهة الجيش البيزنطي مهما كانت النتائج، فكان قراره بمثابة الانتحار، حين قرر مواجهة جيش جرار بعدد قليل من الرجال وهو في حالة حصار وفي عمق أرض العدو، وهذا ما حدث فعلاً، فعلى الرغم من استبسال المسلمين في القتال وعلى رأسهم عبد الله البطال، فإن شجاعتهم لم تجد نفعاً أمام كثرة عدد أعدائهم. وأثناء القتال كان جنود المسلمين حريصين جداً على عدم التلفظ باسم البطال أو مناداته مباشرة، كي لا ينتبه الأعداء إلى وجوده، وهو الذي أذاقهم كؤوس المرار في غزواته المتكررة إلى بلادهم، لكن شدة القتال أنست بعض الجنود حرصهم فنادوه باسمه، ولما سمع الأعداء اسمه حملوا عليه حملة واحدة فاقتلعوه برماحهم من سرجه وألقوه أرضاً،[٢] كأسد تكاثر عليه الضباع، فسقط عبد الله أبو الحسن الأنطاكي المعروف بـ عبد الله البطال شهيداً في أرض المعركة.[٣] ويقال إنَّ ليو وقف في أرض المعركة فإذا البطال بآخر رمق فقال له ليو: ما هذا يا أبا يحيى؟ فقال هكذا تقتل الأبطال)، فاستدعى ليو الأطباء ليداووه فإذا جراحه قد وصلت إلى مقاتله، فقال له ليو: (هل من حاجة يا أبا يحيى؟) قال: (نعم، فأمر من معك من المسلمين أن يلوا غسلي والصلاة علي ودفني، ففعل الملك ذلك وأطلق لأجل ذلك أولئك الأسرى.)[٤] ويلاحظ أنَّ هذا الحوار الذي دار بين ليو والبطال يفتقد إلى الكثير من الموضوعية، فإمبراطور البيزنطيين يتعرف على البطال بين الجرحى ويحاول مداواة جراحه وينفذ وصيته ويطلق من أجله أسرى المسلمين، وهل يعقل أن يبقَ البطال حياً بعد أن عرفه أعداؤه وتكاثروا عليه، إن كان حقداً أو خوفاً من قيامه من جديد بعد أن بلغ ما بلغه من صيت أسطوري لديهم، الأمر الآخر، إذا كان الحوار صحيحاً فلمَ يطلب البطال غسله وهو العالم بفضل الشهادة يوم القيامة. وأغلب الظن إن هذا الحوار ليس إلا من نسج خيال الرواة العرب الذين برعوا في نسج القصص التي وصل بعضها إلى حد الخيال. والأكثر من ذلك ان قصة موت البطال أصبحت محرضا لصنع الملاحم البطولية, كملحمة ذات الهمة , وملحمة دايجينوس وغيرها من أمثال قصة صاحب النقب التي يسردها ابن منظور قائلاً:(حاصر مسلمة حصناً فأصابهم فيه جهد عظيم، فندب الناس إلى نقبٍ منه، فما دخله أحد فجاء رجل من الجند فدخله، ففتح الله عليهم، فنادى مسلمة: أين صاحب النقب؟ فما جاء أحد، حتى نادى مرتين و ثلاثاً وأربعاً، فجاء في الرابعة

---

١ - ابن العماد: شذرات الذهب م٢/صـ ٦٦, ٩٣

٢ - ابن كثير:البداية والنهاية, ج٩/ صـ ٢٧٠

٣ - ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج٤/ صـ ٢٧٠

٤ - ابن كثير:البداية والنهاية, ج٩/ صـ ٢٧٠

رجل فقال: أنا أيها الأمير صاحب النقب، وأخذ عهوداً ومواثيقاً ثلاثاً؛ "لاتسودوا اسمي في صفيحة، ولا تأمروا لي بشيء، ولا تشغلوني عن أمري. فقال مسلمة: قد فعلنا ذلك بك. قال: فغاب بعد ذلك فلم يُرَ، فكان مسلمة بعد ذلك يقول في دبر صلاته: اللهم اجعلني مع صاحب النقب."[١] ويجعل نورمان بينز تلك القصص المبالغ في بعضها نتيجة طبيعية للحروب المستمرة بين العرب والبيزنطيين وتأثيراتها على الأدب[٢] وعلى الأغلب إن هذه القصص التي صنعها الرواة العرب عفواً أو قصداً لم تكن إلا لرفع الروح المعنوية لدى الجنود المسلمين فيزدادون إقبالاً على البطولة والإقدام على الموت دون خوف تمثلاً بسيرة البطال وأمثاله من الأبطال، ولإثارة رغبة البعض في الشهرة فيحققوا البطولات حتى يسجل التاريخ أسماءهم في أزهى صفحاته.

وبعد استشهاد البطال كثر القتلى في صفوف المسلمين، وعلى رأسهم الأمير مالك بن شبيب، أمام ذلك تراجع ما تبقى من جيش المسلمين إلى بعض الخرائب وتحصنوا بها، فلحقهم ليو إلى هناك وحاصرهم، ولم ينقذ المحاصرين إلا قدوم سليمان بن هشام بقواته، ففر ليو هارباً إلى بلاده.[٣] وباستشهاد البطال خسر المسلمون بطلاً آخراً من أبطال الجبهة البيزنطية بعد موت مسلمة بن عبد الملك سنة ١٢٠او ١٢١هـ/٧٣٨-٧٣٩م الذي قاد معظم الجيوش الإسلامية الغازية إلى بلاد الروم منذ عهد عبد الملك وحتى عهد آخر أبنائه من الخلفاء هشام بن عبد الملك.[٤]

والملاحظ من دراسة المصادر العربية المختلفة، تجاهلها لهذه المعركة والتي تعد آخر المعارك الكبرى بين الأمويين والبيزنطيين، والاكتفاء بمجرد الإشارة إليها، ومرد ذلك على الأرجح إلى أنها أكبر الهزائم الأموية على هذه الجبهة فتعمد المؤرخون تجاهلها، أو إن هذه المعركة كانت معركة كغيرها من معارك الصوائف والشواتي ولم يكبرها سوى مخيلة المؤرخين البيزنطيين الذين عنهم نقل الكثير من المؤرخين العرب، ولكن هذا الافتراض يبدو غير مقبول عند قراءة ما ترتب على هذه المعركة من نتائج خطيرة، من أبرزها تراجع حدة الحملات المندفعة باتجاه آسيا الصغرى، وتراجع الأمويين نحو الشرق ثم الجنوب،[٥] إذ لا تذكر المصادر الإسلامية بعد هذه المعركة وحتى نهاية الدولة الأموية سوى ثلاث غزوات، أولها صائفة سليمان بن هشام سنة ١٢٤هـ/٧٤٢م،[٦] ثم تلتها صائفة النعمان بن يزيد بن عبد الملك سنة ١٢٥هـ/٧٤٣م في عهد أخيه الوليد، وكان آخرها صائفة الوليد بن هشام سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م في عهد مروان بن محمد. [٧] والنتيجة الأكثر خطورة للنشاط العسكري على هذه الجبهة, كانت انتقال زمام المبادرة من الأمويين إلى

---

١ - ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق ج٢٤/ صـ ٢٦٥

٢ - بينز :الإمبراطورية البيزنطية, صـ ٣٨١

٣ - ابن كثير :البداية والنهاية, ج٩/ صـ ٢٧٠

٤ - عثمان: الحدود الإسلامية,ج٢ صـ ١٠٤

٥ - طقوش: تاريخ الدولة الأموية صـ ١٦٠

- رستم: الروم ج١/ صـ ٢٩٣

٦ - ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١/ق٢/ صـ ٢٢٣

٧ - ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ج ٣/ صـ ١٣٤

البيزنطيين، فنشأت حركة عكسية تكونت من سلسلة من الهجمات البيزنطية على الأهداف الإسلامية، وخاصة في عهد قسطنطين الخامس ابن ليو الثالث،[١] ففي سنة ١٢٣هـ/٧٤١م شن البيزنطيون هجوماً خطيراً ومباشراً على ملطية أهم الثغور الجزرية، فأغلق السكان أبوابها وشرعوا في الدفاع عن مدينتهم رجالاً ونساءً، وخرج رسول لأهل ملطية مستغيثاً وسار حتى لحق بـ هشام في الرصافة، فندب هشام الناس إلى ملطية. ثم أتاه الخبر بأن الروم قد رحلت عنها فدعا الرسول فأخبره، وبعث معه خيلاً ليرابط بها، وغزا هشام نفسه ثم نزل ملطية وعسكر عليها حتى بنيت.[٢] وتتالت الهجمات البيزنطية بعد ذلك، خاصة ما بين أعوام ١٢٦هـ/٧٤٣م- ١٢٩هـ/٧٤٦م،[٣] حتى غامر قسطنطين الخامس بشن هجوم على الشام نفسها في عام ١٢٨هـ/ ٧٤٥م منتهزاً فرصة الضعف الذي أمست فيه الخلافة الأموية في أواخر أيامها. وفي العام التالي أحرز البيزنطيون نصراً بحرياً على المسلمين واستردوا منهم جزيرة قبرص.[٤]

وهكذا توقف كل نشاط عسكري للأمويين على الجبهة البيزنطية رغم جهود آخر خلفائهم مروان بن محمد إذ أن الأحداث التي تتالت سريعاً من انتفاض أهل حمص وخروج الضحاك بن قيس وغيره من الخوارج وظهور الدعوة العباسية في خراسان أشغلته عن الغزو والفتوح، بل سارعت في نهايته ونهاية دولته على يد العباسيين سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م.[٥]

---

١ - فرج ويوسف: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية صـ ٢٤٢

٢ - عثمان: الحدود الإسلامية, ج٢ صـ ١٠٤

٣ - فرج ويوسف: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية صـ ٢٤٢

٤ - عاشور: أوربا في العصور الوسطى, ج٢/ صـ ١٤٨

٥ - ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١/ق٢/ صـ ٢٢٤- ٢٢٥

ثالثاً ـ دور المردة في الصراع الأموي البيزنطي:

المردة, وقد سميوا كذلك بسبب تمردهم المتكرر على الدولة الإسلامية وإثارة القلاقل ضدها،[١] كما سميوا بالجراجمة نسبة إلى مدينتهم (الجرجومة).[٢] والتي تقع على جبل اللكام بالثغر الشامي فيما بين بياس وبوقا قرب أنطاكية.[٣]

فبعد الفتح العربي لبلاد الشام نقل البيزنطيون سكان المناطق الحدودية من الرومان إلى داخل البلاد، فأصبحت هذه المنطقة خالية السكان إلا من جماعات من الجراجمة النصارى، وعندما طال الفتح الإسلامي مدينة أنطاكية، خاف الجراجمة ولزموا مدينتهم فلم يتعرض لهم المسلمون، وحين تمردت أنطاكية بتحريض من البيزنطيين، وجه إليها أبو عبيدة بن الجراح قوة بقيادة حبيب بن مسلمة الفهري الذي أعاد فتح أنطاكية، ووجه قوة إلى الجرجومة التي سارع أهلها إلى طلب الصلح، وتعهدوا أن يكونوا أعوانا للمسلمين شريطة أن يسقطوا عنهم الجزية.[٤] ودخل من كان في مدينتهم من تاجر وأجير وتابع من الأنباط وأهل القرى وغيرهم في هذا الصلح، فسموا الروداديف لأنهم تلوهم وليسوا منهم.[٥]

وقد تنبه البيزنطيون إلى الدور الخطير الذي يمكن أن يقوم به هؤلاء المردة في صراعهم مع العرب إذا ما أحسن استغلالهم وتجنيدهم، خاصة و إنَّ هؤلاء المردة كان معظمهم من المغامرين الذين شكلوا فرقاً عسكرية جاهزة حين الطلب، وقد استخدمهم البيزنطيون ضد المسلمين في كل فرصة سانحة، فقد اغتنم قسطنطين الثالث فرصة انشغال معاوية بمشاكله الداخلية، فدس إلى جبال الساحل السوري بضعة آلاف من المردة يغيرون منها على الحواضر والأرياف، فيهددون سيادة العرب في الشام ويعيثون في البلاد فساداً، رغم أنَّ معاوية كان قد صالح قسطنطين

---

١ - خفاجي وشرف: معارك فاصلة في التاريخ الإسلامي صـ ٥٤

- ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية صـ ٩٦

٢ - ابن العديم: بغية الطلب ج١/صـ ٥٥

- ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية صـ ٩٦

٣ - الحموي: معجم البلدان, م٢/ صـ ١٢٣

- ابن العديم: بغية الطلب ج١/صـ ٥٥

٤ - البلاذري: فتوح البلدان صـ ١٠٠

- ابن العديم: بغية الطلب ج١/صـ ٥٥

- حتي و آخرون:تاريخ العرب صـ ٢٦٥

- طهبوب: موسوعة التاريخ الإسلامي صـ ١٦

٥ - ابن العديم: بغية الطلب ج١/صـ ٥٥

هذا على مال يؤديه له كل سنة شرط أن يقطع الإعانة عن المردة. وحين ترامت إلى أسماع البيزنطيين أنباء استعدادات معاوية للهجوم على القسطنطينية براً وبحراً، اندفع المردة مع قوات من الروم عبر جبال لبنان محتلين المنطقة الممتدة من جبل الجليل وحتى الجبل الاسود[١]لإحداث اضطراب في صفوف الحملة المنتظرة، وفصل قواتها البرية عن البحرية ومنع التعاون بينهما وشل حركتهما.[٢] ولكن المردة لم يلبثوا أن عادوا إلى قواعدهم حين عبأ معاوية قواته للقضاء عليهم، كما انسحب الروم إلى آسيا الصغرى وترتب غلى إغارة المردة تعديل سياسة العرب البحرية، إذ أدركوا ضرورة تأمين أسباب التعاون بين قواتهم البرية والبحرية حتى يتجنبوا عنصر المفاجأة لاسيما وأنهم على أهبة توسع بحري عظيم.[٣]

وكما يقال؛ وعلى الباغي تدور الدوائر، فـ قسطنطين الثالث الذي نكث العهد وأراد نشر الفوضى في بلاد المسلمين اغتيل سنة٤٨ هـ/٦٦٨م، وغرقت بلاده في بحر من الفوضى والصراع على الحكم، فكانت الفرصة السانحة، لتوجيه الضربة القاضية للبيزنطيين، كما قدرها معاوية، لكنه لم يسارع إلى الهجوم بل وضع خطة عسكرية بارعة تقوم على عدة مرتكزات ومنها:

أولاً- قام بتأمين مؤخرة جيشه من هجمات المردة. وذلك باستقدام أعداد كبيرة من الفرس وأهل العراق وإسكانهم المدن اللبنانية في مواجهة المردة، ثم قام بترميم حصون الشام الساحلية وسور مدينة الإسكندرية.

ثانياً- قام معاوية بعدة مناورات عسكرية لتضليل عدوه وتمويه هدفه الحقيقي، فقام بغزو جزيرة صقلية سنة ٤٩هـ/٦٦٩م وفي الوقت نفسه قام بتوجيه مجموعة من الضربات إلى العمق البيزنطي ومنها مشتى مالك بن هبيرة بأرض الروم، وغزوة فضالة بن عبيد، وصائفة عبد الله بن كرز البجلي وغزوة يزيد بن شجرة الرهاوي في البحر.

ثالثاً-الضربة الرئيسية(غزو القسطنطينية). حيث قام بعد الانتهاء من الخطوات التمهيدية بتوجيه الحملة الرئيسية بقيادة سفيان بن عوف.[٤]

ويذكر تيوفانس إنَّ المردة وفي عام ٥٨هـ/٦٧٧م هاجموا المناطق اللبنانية بقواتهم المؤلفة من العبيد والمرتزقة والسجناء الفارين. وأمام ذلك راسل معاوية الإمبراطور طالباً السلام.[٥] وهذا يعني أنه بينما كان العرب يضغطون بكل ثقلهم على أسوار القسطنطينية في حرب السبع سنوات، حرك البيزنطيون المردة في الشام لزعزعة

---

١ - ميخائيل: تاريخ ميخائيل الكبير، ج٢/صـ ٣٥١

٢ - العدوي(إبراهيم): الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية،مكتبة نهضة مصر،القاهرة ١٩٥١م. صـ٥٧

- العدوي(إبراهيم أحمد): قوات البحرية العربية في مياه البحر المتوسط, مكتبة نهضة مصر الفجالة ,القاهرة ١٩٦٣م صـ ٥٥

٣ - بركات (وفيق): الإستراتيجية البحرية للدول العربية الإسلامية, مركز الدراسات الإستراتيجية, دمشق ٢٠٠٧م صـ ٨٢

- خفاجي وشرف:معارك فاصلة في التاريخ الإسلامي صـ ٥٥

٤ - ابن الأثير: الكامل ج٣/ صـ ٥٦

- رستم: الروم ج١/ صـ ٢٦٠- ٢٦١

٥ - Theophanes: Chronicle of Theophanes p 53-54

الأمن والاستقرار في بلاد المسلمين في محاولة لفك الحصار. كما استغل البيزنطيون وكما هو مذكور سالفاً الاضطرابات التي رافقت فتنة عبد الله بن الزبير وانتقال الخلافة إلى عبد الملك بن مروان، فانطلقت قواتهم إلى جبال اللكام موطن الجراجمة، الذين انضموا إلى البيزنطيين دون تردد وتوجهوا جميعاً جنوباً، ليهددوا دمشق نفسها.[١] فصالحهم عبد الملك على ألف دينار في كل جمعة، وصالح طاغية الروم على مال يؤديه إليه ليشغله عن محاربته، وتخوفه أن يخرج إلى الشام فيغلب عليها،[٢] وبقي أهل الجرجومة يغيرون على قرى أنطاكية والعمق، وإذا غزت الصوائف كانوا يقطعوا الطريق على المتخلف واللاحق ومن قدروا عليه ممن في أواخر العسكر وغالوا في المسلمين.[٣] مما اجبر عبد الملك على تجديد الصلح, وأثناء المفاوضات التي دخلها عبد الملك مع جستنيان لإحلال السلام بين الطرفين، لاحظ عبد الملك في خصمه قصر النظر وضعف البصيرة وقلة الخبرة، فأراد الاستفادة من صفاته تلك، ليعقد صلحاً لا كما وصفه ارشيبالد لويس بأنه(صلح غير مشرف) لعبد الملك،[٤] بل على العكس كان نصراً دبلوماسياً وتاريخياً لعبد الملك، عندما اتفق مع خصمه على:

١- أن يدفع عبد الملك ثلاثمئة وخمس وستين ألف قطعة ذهبية، و ثلاثمئة وخمسة وستين عبداً، و ثلاثمئة وخمسة وستين جواداً أصيلاً.
٢- توقف بيزنطة غاراتها على بلاد المسلمين.
٣- تقتسم الدولتان خراج أرمينيا وأيبيريا[٥]وقبرص.
٤- تقوم الإمبراطورية البيزنطية بنقل المردة من شمالي بلاد الشام إلى داخل بلادها.[٦]
٥- مدة المعاهدة عشرة أعوام.[٧]

---

١ - ابن الأثير: الكامل ج٣/ صـ ٣٦١
- ابن العديم: بغية الطلب ج١/صـ ٥٦
- عبد الملك(عبد المجيد):ساحل بلاد الشام والصراعات الدولية، دار بيسان للنشر والتوزع والاعلام، بيروت ط٢ ٢٠٠٢م صـ ٨٠
- عثمان: الحدود الإسلامية, ج١صـ ٣٦٢
٢ - ابن العديم: بغية الطلب ج١/صـ ٥٦
٣ - عثمان: المرجع نفسه, ج١صـ ٣٦٣
٤ - لويس: القوى البحرية صـ٩٩.
٥- ويذكر: انه تم الاتفاق على اقتسام السيادة على قبرص فيما تنتقل أرمينيا وأذربيجان إلى السيادة البيزنطية.[ميخائيل: تاريخ ميخائيل الكبير، ج٢/صـ ٣٦٦]
٦- Theophanes: Chronicle of Theophanes p 61
- رستم: الروم ج ١/ صـ ٢٦٤- ٢٦٥
- طقوش: تاريخ الدولة الأموية صـ ٩٢
- عثمان:الحدود الإسلامية,ج٢ صـ ٦٩
- كرد علي: خطط الشام ج١/ صـ ١١٧- ١١٨
٧- ميخائيل: تاريخ ميخائيل الكبير، ج٢/صـ ٣٦٦
- رستم: الروم ج ١/ صـ ٢٦٤- ٢٦٥
- طقوش: تاريخ الدولة الأموية صـ ٩٢

وقد قام جستنيان فعلاً بنقل ما يقارب اثنا عشرألفاً من المردة إلى داخل الإمبراطورية[١] الذين كانوا شوكة في جنب المسلمين، اقتلعها جستنيان بيديه، وبيديه حطم السور النحاسي الذي كان يحمي بلاده، وقد أدرك جستنيان مغبة عمله حين تجددت الاشتباكات بينه وبين المسلمين ولاحظ الفراغ الذي تركه غياب الجراجمة.[٢]

ويبدو من روايات المؤرخين أنَّ الجراجمة أعادوا تجميع فلولهم من جديد، فلما كانت سنة ٨٩هـ/٧٠٨م اجتمع الجراجمة إلى مدينتهم وأتاهم قوم من الروم من جهات مرسين والإسكندرونة، فوجه الوليد بن عبد الملك إليهم أخيه مسلمة الذي افتتح مدينتهم من جديد،[٣] ورغم انتصار المسلمين على الجراجمة، ورغم كل ما قاسوه من غدرهم وخيانتهم فلم يسيئوا معاملتهم بل بذلوا لهم الشروط السخية حتى بدا وكأن الجراجمة هم المنتصرون، ومن هذه الشروط: أن ينزلوا بحيث أحبوا من الشام، ويجري على كل امرئ منهم ثمانية دنانير وعلى عيالاتهم القوت من القمح والزيت، وعلى أن لا يكرهوا على ترك النصرانية، ولا يؤخذ منهم ولا من أولادهم ونسائهم جزية، وعلى أن يغزوا مع المسلمين فينفلوا أسلاب من يقتلونه مبارزة، وعلى أنْ يؤخذ من تجارتهم وأموال موسريهم ما يؤخذ من أموال المسلمين، فأخرب مدينتهم وأنزلهم فأسكنهم جبل الحوار وسنح اللولون وعمق تيزين وصار بعضهم إلى حمص ونزل بطريق الجرجومة في جماعة معه أنطاكية ثم هرب إلى الروم.[٤]

على هذه الشروط التي تساوي الجراجمة مع المسلمين تم الاتفاق مع أعداء الأمس حلفاء اليوم كما يؤكد كُرد علي الذي يضيف نقلاً عن الحموي (إنَّ المسلمين استعانوا بالجراجمة في مواطن كثيرة في أيام بني أمية وبني العباس وأجروا عليهم الجرايات وعرفوا منهم المناصحة.)[٥]

١- Theophanes: Chronicle of Theophanes p 61
- ميخائيل: تاريخ ميخائيل الكبير، ج٢/صـ ٣٦٦
- عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية صـ ٨٣
٢ - الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية صـ ١٠٤
٣ - ابن العديم: بغية الطلب ج١/صـ ٥٦
- عبد الملك: ساحل بلاد الشام صـ ٨١
- عثمان: الحدود الإسلامية, ج١صـ ٣٦٢
- كرد علي: خطط الشام ج١/ صـ ١٢٠
٤ - ابن العديم: بغية الطلب ج١/صـ ٥٦
- عثمان: المرجع نفسه, ج١صـ ٣٦٢- ٣٦٣ ج٢ صـ ٧٩
- كرد علي: خطط الشام ج١/ صـ ١٢٠
٥ - كرد علي: خطط الشام ج١/ صـ ١٢٠

رابعاً- دور الأرمن والخزر في الصراع الأموي البيزنطي:

١)- الأرمن:

لقد شكلت بلاد الأرمن بموقعها الجغرافي شرقي آسيا الصغرى وشمال بلاد العرب منطقة تماس وصراع بين الأمويين والبيزنطيين،[١] ومما لا شك فيه أن الدولة التي تنجح في وضع أرمينيا تحِت سيطرتها تستطيع أن تهدد مناطق عدوها المتاخمة، فلو أن بيزنطة استطاعت أن تفرض سيطرتها على أرمينيا سيجد العرب أنفسهم مطرين إلى سحب قواتهم إلى العمق ليتمكنوا من الدفاع عن الجزيرة وأذربيجان والري وغيرها من المناطق القريبة، وإذا تمكن العرب من فرض نفوذهم على أرمينيا فانهم لن يدفعوا الخطر عن المناطق المذكورة وحسب, بل إن قواتهم ستصبح قادرة على توجيه الضربات المباشرة للأملاك البيزنطية.[٢] لذا فقد حاول كلا الطرفين السيطرة على هذه المنطقة والاستفادة من موقعها الجغرافي سواء بشكل مباشر أو بتعيين من يواليها من الحكام. حاول العرب فتح أرمينيا في موجة الفتوح الأولى أثناء خلافة عثمان بن عفان وبعد سلسلة من الأعمال العسكرية فتح حبيب بن مسلمة قائد الجيش العربي المندب من قبل معاوية بن أبي سفيان والي دمشق, أرمينيا صلحاً.[٣] وخلال فتنة عثمان بادر معاوية إلى سحب جيش حبيب بن مسلمة والقوات التي في الثغور لإقحامها في النزاع بينه وبين علي بن أبي طالب.[٤] وما إن تولى معاوية الخلافة رسمياً سنة ٤١هـ/٦٦٠م حتى أعاد حبيب بن مسلمة مع جيشه إلى أرمينيا, والذي تولى إدارة البلاد بالتعاون مع حكامها المحليين, وفي العام التالي توفي حبيب فأسند معاوية القيادة إلى عبد الله بن النعمان بن عمرو الباهلي، الذي توفي هو الآخر بعد أمد قصير فكلف معاوية عبد العزيز بن حاتم, وبعد برهة توفي حليف الأمويين تيودور رشدوني، فأعاد الطرفان تجديد الاتفاقية التي كان رشدوني قد وقعها مع العرب، وبعد مرور عام تم الاتفاق[٥] على تنصيب حليفهم الأرمني الجديد كريكور ماميكونيان حاكماً على أرمينية. فأدى استقرار الأمر في أرمينية إلى صرف الاهتمام

---

١ - فرج ويوسف: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية صـ ١٩٩

٢ - السيد(أديب): أرمينيا في التاريخ العربي، www.al-mostafa.com تاريخ الدخول إلى الانترنت /٢٠١٠/٣/١م. صـ ٨

٣ - ابن الأثير: الكامل ج٢/ صـ ٤٥٩

٤ - السيد: أرمينيا في التاريخ العربي، صـ ٦٥، ٦٧، ٧٢

٥ - السيد: أرمينيا في التاريخ العربي، صـ ٧٥- ٧٧

بغزوات آسيا الصغرى،[١] كما عمل ماميكونيان بإخلاص في مواجهة الغزوات الخزرية التي كانت تدفعها بيزنطة للضغط على الحدود العربية وإشغالهم عن الجبهة البيزنطية، حتى لقي حتفه في إحدى تلك الغزوات سنة٦٦هـ/٦٨٥م، وقد حاول خليفته القيام بالدور نفسه إلا أنَّ تدخل البيزنطيين واحتلاهم أرمينية حال دون ذلك،[٢] خاصة وإنَّ خليفة المسلمين الجديد عبد الملك بن مروان كان لديه ما يكفيه من المشاكل في الداخل والخارج فوجد نفسه مضطراً إلى طلب تجديد الصلح مع البيزنطيين، ولم يتمكن المسلمون من العودة إلى أرمينيا حتى سنة٧٤هـ/٦٩٣م.[٣] وكانت أرمينيا بشكل عام موزعة الولاء بين العرب والبيزنطيين، فكانت حليفة المنتصر دائماً، لذلك ما إن انتصر محمد بن مروان على جستنيان الثاني في معركة سيواس (سباستبول) سنة ٧٤ هـ/٦٩٣م حتى ثار الزعيم الأرمني سيمباذ على البيزنطيين، وانضم إلى جانب العرب، كذلك حين حقق القائد البيزنطي هرقل بعض الانتصارات على العرب(٨١- ٨٤هـ/٧٠٠- ٧٠٣م) ثارت أرمينيه مرة أخرى على العرب، وأرسلوا إلى الإمبراطور البيزنطي طالبين منه سرعة الوصول لحماية أرمينية، لكن القائد الأموي محمد بن مروان كان أسرع في الوصول وأعاد سيطرة العرب على أرمينية. لذلك فقد تعرضت أرمينية للغزو والتدمير من كلا الطرفين.[٤] بشكل شبه مستمر وكانت في كثير من الأحيان ميداناً لتصفية الحسابات بين الطرفين، أو ورقة استخدمها أحد الطرفين للضغط على الطرف الآخر، لتحقيق هدف معين أو صرف نظره عن هدف آخر.

٢)- الخزر:

الخزر شعب تركي، قامت دولتهم في المنطقة الممتدة بين الحوض الأدنى لنهر الفولغا وشمال جبال القوقاز وبحر أزوف. وصداقتهم مع البيزنطيين قديمة تعود إلى عهد الإمبراطور هرقل، إلا أن تحالفهم تعرض لبعض التوتر في بعض الأوقات وخاصة في عهد جستنيان الثاني، ثم عاد تحالفهم أقوى من ذي قبل ابتدأً من النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي، وقد استغل البيزنطيون ميلهم إلى الحرب والقتال أفضل استغلال، فدفعوا بهم تجاه أراضي الأرمن حلفاء العرب آنذاك، وآزروا هجماتهم على الأطراف الإسلامية، في الشام وأرمينيا، وقد تعددت هجمات الخزر على المسلمين بين سنتي ٦٤هـ/٦٨٣م، و٦٧هـ/٦٨٦م.[٥] ووصل تحالفهم إلى الذروة في عهد ليو الثالث الذي قام بتزويج ولي عهده قسطنطين الخامس من ابنة خان الخزر، كما أحسن الاستفادة من التحالف معهم فاستطاع دفع الخزر باتجاه العرب

---

١ - عثمان: الحدود الإسلامية, ج٢ صـ ٤٨

٢ - عثمان: المرجع نفسه, ج٢ صـ ٧٣

٣ - ميخائيل: تاريخ ميخائيل الكبير ,ج٢/ صـ ٣٦٦

٤ - Theophanes: Chronicle of Theophanes p 64, 70

- فرج ويوسف: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية صـ ١٩٩- ٢٠٠

٥ - عثمان: الحدود الإسلامية, ج٢ صـ ٧٣

ليستنزفوا كل طاقة إسلامية قابلة للانطلاق باتجاه آسيا الصغرى.[١] وقد أدى التهديد المستمر من جانب الخزر إلى أن تصبح أرمينية مرغوبة لدى العرب كحاجز بينهم وبين الخزر، لذلك كانوا لا ينقطعون عن الإنفاق عليها سنوياً للمشاركة في حماية الإقليم ضد الخزر أو البيزنطيين.[٢]

وأول لقاء بين المسلمين والخزر تذكره المصادر العربية يعود إلى سنة ٣٢هـ/٦٥٢م وكان بقيادة عبد الرحمن بن ربيعة الذي غزا نواحي مدين بلنجر في بلاد الخزر, فالتقوا مع الخزر في قتال عنيف كان من نتيجته مقتل عبد الرحمن وهزيمة المسلمين.[٣] وفي سنة ١٠٣هـ/٧٢١م دخل جيش للمسلمين بلاد الخزر من أرمينية وعليهم ثبت النهراني، فلقيهم الخزر في جمع كبير يعاونهم القفجاق وغيرهم من الأقوام التركية، فاقتتلوا قتالاً عنيفاً، وقتل من المسلمين بشر كثير.[٤] وانتقاماً لقتلى المسلمين جهز الأمويون حملة بقيادة الجراح بن عبد الله الحكمي لقتالهم سنة ١٠٥هـ/ ٧٢٣م فانتصر عليهم بعد عدة معارك عنيفة.[٥] وفي سنة ١٠٧هـ/٧٢٥م وجه مسلمة بن عبد الملك وهو والٍ على أرمينيا و أذربيجان, وجه سعيد بن عمر الحرشي على مقدمته فلقي عسكر للخزر فحاربهم وهزمهم, وقتل عامتهم, واستنقذ أسرى المسلمين, وفعل ذلك مرة بعد مرة.[٦] واستمرت العلاقة على هكذا بين مد وجزر حتى نهاية عصر الدولة الأموية.

---

١ - فرج ويوسف: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية صـ ٢٠٣- ٢٠٧

٢ - فرج ويوسف: المرجع نفسه صـ ٢٠٦

٣ - ابن الأثير: الكامل ج٢/ صـ ٥٠٣

٤ - ابن الأثير: المصدر نفسه ج٤/ صـ ١٥٤

٥ - ابن الأثير: المصدر نفسه ج٤/ صـ١٥٥- ١٥٦

٦ - اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي صـ٣٦١

خامساً ـ الثغور[١]ودورها في الصراع الأموي البيزنطي:

إنَّ تراجع البيزنطيين تحت ضربات المسلمين إلى ما وراء جبال طوروس، لم تجبرهم على التخلي عن فكرة استعادة ما فقدوه من أملاك دونها، خاصة وإنَّ تلك المناطق تشكل أهمية إستراتيجية وحيوية لها كدولة كبرى، فقد كانت أهم مورد تستمد منه الإمبراطورية الجند القادرين على القتال، والأموال اللازمة للنهوض بالبلاد والدفاع عنها،[٢] وقد أدرك معاوية هذه الأهمية جيداً، فقرر مذ كان والياً على الشام, إقامة نظام ثابت لحماية المناطق الحدودية والشواطئ الإسلامية من هجمات البيزنطيين وحلفائهم المردة. [٣]

وقد شرع معاوية في تنفيذ خطته على سفوح جبال طوروس التي أبت إلا أن تكون حداً فاصلاً بين الدولتين, اللتين سعيتا بكل ما تملكانه من قوة إلى إقصاء الأخرى عنها، بتحويل البقعة الفاصلة بين سلسلتي جبال طوروس إلى أرض مهجورة،[٤] فتشكلت منطقة محفوفة بالمخاطرة بين الدولتين بسبب تعرضها الدائم للإغارة، واحتوائها على الدروب والمنافذ التي تسلكها الجيوش المحاربة من الطرفين.[٥] فقام معاوية بإقامة نطاق من التحصينات، على شكل حاميات عسكرية دائمة في المعاقل الأمامية والممرات الجبلية على تخوم الدولة البيزنطية والتي عرفت باسم الثغور.[٦]

وكانت هذه المواقع تشحن بقوات تكون على أهبة الاستعداد، واجبها حماية الحدود والوقوف بوجه العدو وتعطيل تقدمه حتى تصبح القوات الرئيسية جاهزة لمواجهة العدو بكل ثقلها. وقد زادت أهمية هذه القوات بعد أن سيطر العرب على البحر المتوسط، فمنعوا- بهذه السيطرة- البيزنطيين من تهديد بلاد الشام براً وبحراً.[٧]

ولأهمية الثغور الخاصة، ولدورها الكبير في حماية الحدود، فقد أولاها معاوية كل الاهتمام، من حيث بنائها وتحصينها. وكانت أنطاكية أول المدن التي نالت اهتمامه ورعايته، إذ كانت أكثر المدن عرضة للغارات، فأغرى الناس للإقامة فيها بمنحهم

١- الثغور مفردها ثغر, وهو كل موقع قريب من ارض العدو[الحموي: معجم البلدان م٢/ صـ ٧٩], او الموضع الذي يخاف هجوم العدو منه[الجنزوري(علية عبد السلام): الثغور البرية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية, القاهرة ١٩٧٩م, صـ ٧], او هي كل قلعة او موقع حصين على حدود الدولة الإسلامية, إما لدفع العدو وصد غاراته, او لاتخاذها قاعدة تنطلق منها الهجمات على ارض العدو[هندي: الحياة العسكرية صـ ٢٢٠].

٢- علي:تاريخ بلاد الشام صـ ٣٦٢

٣- طقوش: تاريخ الدولة الأموية صـ ٣٠

٤- حجل:سورية صـ ٢٦٨

٥- العلي(صالح أحمد):امتداد العرب في صدر الإسلام,مؤسسة الرسالة, بيروت ط٢ ١٩٨٣م صـ ١٠٩

٦- طقوش: تاريخ الدولة الأموية صـ ٣٠

- حجل: سورية صـ ٢٦٨

٧ - العلي: امتداد العرب صـ ١٠٩- ١١٠

الأراضي وجزيل العطاء، فنقل إليها جماعات من الفرس، ومن أهل بعلبك وحمص ومن المصرين،[١] وذلك في أوائل سني حكمه، كما أعاد استيطان المدن التي أخلاها البيزنطيون بعد الفتح الإسلامي.[٢] وقد سار خلفاؤه ولاسيما المروانيين الأوائل على ذات الطريق وخاصة بعد المتاعب التي عانوها بعد الفتنة الثانية، فأولوا التحصينات البرية كل اهتمام و بنوا حصوناً جديدة متقدمة على أطراف الحدود لتكون أكثر اقتراباً من العدو وأكثر تنظيماً وحماية، فتخلت ملطية ومرعش وأنطاكية عن مكانتها لقواعد أكثر تقدماً واقتراباً من أراضي الروم مثل المصيصة.[٣] كما عمل عبد الملك على الاستفادة من المنطقة التي خلفها تقدم القواعد الإسلامية المحصنة فمنح حيار بني القعقاع بين أنطاكية والفرات إقطاعات لاستصلاحها، كما منحت الإقطاعات في إقليم سلوقية الساحلي لتعميره، ومنحت الأرض للمزارعين في بغراس والإسكندرونة وعين السلور وبحيرتها، وأقيم الأرمن الذين طردتهم بيزنطة من أجل مذهبهم الديني في ملطية حيث لقوا كل الرعاية والترحيب من العرب.[٤]

واستمر هذا الاهتمام حتى عهد عمر بن عبد العزيز الذي لم يكن مهتماً بتهديد حدود العدو قدر اهتمامه بتحصين حدود المسلمين، لذا فقد أخلى طرندة،[٥] القريبة من تخوم الروم ونقل سكانها إلى ملطية خشية عليهم من هجمات البيزنطيين.[٦]

وبعد عمر بن عبد العزيز عادت سياسة تحصين الحدود وخاصة في عهد المروانيين المتأخرين حتى سادت الحدود ظاهرة جديدة خاصة بفضل جهود هشام والوليد الثاني. وكانت القاعدة هي إقامة التحصينات على طول الطرق الحربية، فحُصّن الطريق بين أنطاكية والمصيصة في عهد هشام والوليد الثاني. أمّا الطريق بين أنطاكية وسميساط ماراً بمرعش وزبطرة فقد حصنه مروان الثاني وغدت أنطاكية قاعدة خلفية، ومركزاً للطرق الحربية المؤدية إلى الجهات المختلفة في الجبهتين الشامية والجزرية.[٧]

وأقيمت الثغور في مواقع دلت بوضوح على قدرة العرب الفائقة في اختيار الأماكن حسب أهميتها الإستراتيجية، حيث أقاموا الثغور على أبواب الطرق متحكمة في أماكن اقتراب العدو، و أن تكون محصنة بثنيات الأنهار ومنعطفات الجبال أو بالخنادق وغير ذلك من الموانع الطبيعية أو الاصطناعية التي تضمن لمواقعهم ميزة إستراتيجية ملحوظة.[٨] وقد امتدت هذه الثغور من طرسوس على مقربة من شواطئ المتوسط وحتى ملطية على ضفاف الفرات.[٩] وقد قسمها المؤرخون إلى عدة أقسام

---

١ - البلاذري: فتوح البلدان, صـ ٩٣

- طقوش:تاريخ الدولة الأموية صـ ٣٠- ٣١

٢ - ابن الأثير: الكامل ج٢/صـ ٤٥٩

٣ - عثمان: الحدود الإسلامية, ج١صـ ٣٧١

٤ - عثمان: المرجع نفسه, ج١صـ ٣٧١

٥ - طرندة: وهي على بعد ثلاث مراحل من ملطية.[الحموي:معجم البلدان. م٤/صـ ٣٢]

٦ - ابن العديم: بغية الطلب ج١/صـ ٦٢.

٧ - عثمان: الحدود الإسلامية, ج١صـ ٣٧١- ٣٧٢

٨ - الجنزوري(علية عبد السلام): الثغور البرية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية, القاهرة ١٩٧٩م:الثغور صـ ٢٦

٩ - ابن العديم: بغية الطلب ج١/صـ ١٢٤

كل حسب رؤيته الخاصة، ففي حين جعلها البعض شامية فقط، قسمها البعض الآخر إلى شامية وجزرية ، في حين قسمها البعض الآخر إلى شامية وجزرية وبكرية.[١] وفي هذا الميدان يقول الأصطخري:(قد جمعت الثغور إلى الشام، وبعض الثغور تعرف بثغور الشام، وبعضها تعرف بثغور الجزيرة، وكلأهم ا من الشام، وذلك أن كل ما وراء الفرات من الشام، وإنما سمي من ملطية إلى مرعش ثغور الجزيرة، لأن أهل الجزيرة بها يرابطون وبها يغزون، لا لأنها من الجزيرة.... وبين ثغور الشام وثغور الجزيرة جبل اللكام، وهو الفاصل بين الثغرين.) [٢] وسيقتصر البحث هنا على الثغور التي بنيت أو كان لها شأن في العصر الأموي:

١)- الثغور الشامية:

آ- طرسوس:

مدينة قديمة بناها الروم وكانت تسمى أيارسين ثم عُرِّبتْ إلى طرسوس،[٣] تقع بين أنطاكية وحلب والأراضي البيزنطية،[٤] تفصلها عنها جبال متشعبة من اللكام.[٥] وتشرف على المدخل الجنوبي للدرب المعروف بأبواب الكيليكية.[٦] وهي مدينة كبيرة يحيط بها سوران من الحجارة،[٧] وخندق واسع ولها ستة أبواب،[٨] ويقسمها نهر بردان إلى قسمين قبل ان يصب في البحر المتوسط بأميال,[٩] فتحها الأمويون في عهد معاوية بن أبي سفيان سنة ٥٣هـ/٦٧٢م على يد جنادة بن أمية الأزدي وأعادوا تحصينها، تأتي أهميتها من كونها منطلق الغزو، فكانت سوق للجهاد

---

١ - الجنزوري: الثغور صـ ٨

٢ - الأصطخري(أبي اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي ت ٣٤٦هـ/٩٥٦م): المسالك والممالك, تحقيق محمد جابر عبد العال الحينى, مراجعة محمد شفيق غربال, وزارة الثقافة والإرشاد القومي الإدارة العامة للثقافة, القاهرة ١٩٦١م صـ ٤٣

- ابن العديم: بغية الطلب ج١/صـ ٤١، ٥٦، ٩٧

٣ - ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١/ق٢/ صـ ١٥٣

٤ - الحموي: معجم البلدان م٤/صـ ٢٨

- القزويني(زكرياء بن محمد بن محمود القزويني ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م): أثار البلاد وأخبار العباد, دار صادر للطباعة والنشر, دار بيروت للطباعة والنشر, بيروت ١٩٦٠م صـ ٢١٩

٥ - الإدريسي(محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي ت ٥٤٨هـ/١١٥٤م): نزهة المشتاق في اختراق الأفاق, عالم الكتب, بيروت ط١ ١٩٨٩م , م٢/ صـ ٦٤٧

- ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١/ق٢/ صـ ١٥٤

٦ - الأصطخري: المسالك والممالك صـ ٤٣

- خفاجي وشرف:معارك فاصلة في التاريخ الإسلامي صـ ٦٩

٧ - الأصطخري: المسالك والممالك صـ ٤٧

- مجهول(مؤلف مجهول كتبه عام ٣٧٣هـ/ ٩٨٧م): حدود العالم من المشرق إلى المغرب, تحقيق يوسف الهادي, الدار الثقافية للنشر, القاهرة ط١ ١٩٩٩م صـ ١٢٩

- الإدريسي: نزهة المشتاق , م٢/ صـ ٦٤٧

- ابن العديم: بغية الطلب ج١/صـ ٤١

- ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١/ق٢/ صـ ١٥٣

٨ - ابن العديم: بغية الطلب ج١/صـ ٤١

- ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١/ق٢/ صـ ١٥٣

٩ - المسعودي: التنبيه والإشراف، صـ ٣٤

يقصدها كل من حدثته نفسه بالغزو في سبيل الله،[١] واستمرت طرسوس ثغراً من ثغور المسلمين حتى نهاية الدولة الأموية.[٢]

ب- المصيصة:

تقع المصيصة على ساحل نهر جيحان[٣] من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم، على مقربة من طرسوس[٤] وهي المعروفة اليوم باسم ميسيس،[٥] والمصيصة تشتمل على مدينتين احدهما المصيصة و تسمى الأخرى كفربيا, ويفصل بينهما نهر جيحان إذ يتصلان بجسر مقنطر من الحجارة،[٦] فتحها الأمويون سنة ٨٣هـ/٧٠٢م[٧] أو في سنة ٨٤هـ/ ٧٠٣م في عهد عبد الملك بن مروان، وعلى يد ابنه عبد الله بن عبد الملك،[٨] فبنى حصنها على أساسه القديم[٩] ووضع بها حامية من ثلاثمئة مقاتل من ذوي البأس والنجدة المعروفين ولم يكن المسلمون قد سكنوها من قبل،[١٠] وبنى فيها مسجداً فوق تل الحصن، وكانت الطوالع من أنطاكية تطلع عليها في كل عام فتشتوا بها ثم تنصرف. وعدة من كان يطلع إليها ألف وخمسمئة إلى الألفين.[١١] وفي العام التالي ٨٥هـ/ ٧٠٤م بعث عبد الله بن عبد الملك وهو بالمصيصة يزيد بن حنين في الغزو، فاصطدم بجيش بيزنطي، فأصيب الناس بميسوسنة، وأصيب ميمون[١٢] الجرجاني في نحو ألف من أهل أنطاكية عند طوانة.[١٣] وفي عهد الوليد خرج منها مسلمة بن عبد الملك غازياً لأرض الروم سنة

---

١ - ابن العديم: بغية الطلب ج١/صـ ٤١

٢ - الجنزوري: الثغور صـ ٣١

- هندي: الحياة العسكرية صـ ٢٢١

٣ - مجهول: حدود العالم صـ ١٢٨

- القزويني: أثار البلاد صـ ٥٦٤

٤ - الحموي: معجم البلدان م٥/صـ ١٤٥

٥ - هندي: المرجع نفسه صـ ٢٢١

٦ - ابن العديم: بغية الطلب ج١/صـ ٣٨

- ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ، ج١/ق٢/ صـ ١٤٤- ١٤٥

٧- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي صـ ٣٣٩

٨- ابن الأثير: الكامل ج٣/ صـ٥١٧

- ابن العديم: بغية الطلب ج١/صـ ٣٦ .

- ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١/ق٢/ صـ ١٤٥

- اليافعي: مرآة الجنان صـ ١٣٧

٩- ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط ق١/صـ ٣٧٨

- ابن العديم: بغية الطلب ج١/صـ ٣٦

- ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١/ق٢/ صـ ١٤٥

- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج١/صـ ٢٦٦

١٠ - ابن العديم: بغية الطلب ج١/صـ ٣٦

- خماش: الشام في صدر الإسلام صـ ٣٧٤

- الريس: عبد الملك بن مروان صـ ٢٦٤

١١ - البلاذري: فتوح البلدان صـ ١٠٣

- ابن العديم: بغية الطلب ج١/صـ ٣٦

١٢ - يسميه ابن تغري بردى سيمون

١٣ - ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط ق١/صـ ٣٧٩

٨٨هـ/٧٠٦م فقتل منهم خلقاً كثيراً عند ميسُوسَنه من ناحية المصيصة.[١] وحين تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة أراد هدمها، وهدم الحصون التي بينها وبين أنطاكية، وقال: أكره أن يحاصر الروم أهلها فأعلمه الناس أنَّها عمرت ليدفع من بها الروم عن أنطاكية وأنه إنْ خربها لم يكن للعدو ناحية دون أنطاكية فأمسك وبنى لأهلها مسجداً جامعاً.[٢] وبنى هشام بن عبد الملك الربض، ثم بنى مروان بن محمد الخصوص في شرقي جيحان وبنى عليها حائطاً وأقام عليه باباً من خشب وحفر لها خندقاً.[٣] وبنى الوليد بن يزيد جسراً على النهر ليتم ربطها مع أذنه (أضنه).[٤]

ً٢)- الثغور الجزرية:

ويقال إنما سميت الثغور من ملطية إلى مرعش بالثغور الجزرية لأن أهل الجزيرة كانوا يرابطون بها لا لأنها من الجزيرة وأعمالها، وكانت ثغور الجزيرة تعمل غالباً مع ثغور الشام كقاعدة للحملات المشتركة على آسيا الصغرى، [٥] على أنَّ معاوية حفظ لكل جبهة شيئاً من التخصص، ففي الوقت الذي تخصصت فيه الثغور الجزرية بالدفاع، تخصصت الثغور الشامية بالهجوم.[٦] ومن أهم الثغور الجزرية:

أ- مرعش:

مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم لها سوران وخندق وفي وسطها حصن عليه سور يعرف بالمرواني نسبة إلى بانيه مروان بن محمد،[٧] ويقال أنها تأسست في عهد سلوقس،[٨] وكان خالد بن الوليد أول من فتحها من المسلمين وخرب حصنها، فبنى معاوية حصنها من جديد وأسكنها الجنود، ولما كان موت ابنه يزيد كثرت غارات الروم عليهم فانتقلوا عنها،[٩] ولما كانت سنة ٧٥هـ/٦٩٤م نزل البيزنطيون بجيوشهم على مرعش، فندب عبد الملك أخاه محمد بن مروان لقتالهم فهزمهم.[١٠] ثم إنَّ العباس بن الوليد صار إلى مرعش فعمرها وحصنها ونقل الناس إليها وبنا لها مسجداً جامعاً، ولما كانت أيام مروان بن محمد وشغل بمحاربة أهل حمص خرجت الروم وحاصرت مدينة مرعش حتى صالحهم أهلها على الجلاء فخرجوا منها نحو الجزيرة وجند قنسرين فخربها البيزنطيون، وحين فرغ مروان من

---

١ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٦/ صـ ٤٢٩

٢ - البلاذري: فتوح البلدان صـ ١٠٣

- ابن العديم: بغية الطلب ج١/صـ ٣٦

٣ - ابن العديم: بغية الطلب ج١/صـ ٣٧

- عثمان: الحدود الإسلامية, ج١صـ ٣٧٣

٤ - علي:تاريخ بلاد الشام صـ ٢٠٤

٥ - الأصطخري: المسالك والممالك صـ ٤٣

- الجنزوري: الثغور صـ ٨ , ٢٤

٦- الجنزوري: الثغور صـ ٨ , ٢٤

- عثمان:الحدود الإسلامية, ج١صـ ٣٦٦

٧ - الحموي: معجم البلدان م٥/ صـ ١٠٧

٨ - الجنزوري: الثغور صـ ٧٥

٩ - البلاذري: فتوح البلدان صـ ١١٧

- ابن العديم: بغية الطلب ج١/صـ ٥٧

١٠ - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج١/صـ ٢٤٨

أهل حمص بعث جيشاً لبناء مرعش فبنيت من جديد, فاستغل البيزنطيون فتنته فخربوها مرة أخرى حتى بناها صالح بن علي في عهد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور.[١]

ب- الحدث:

كانت تعرف بالحدث الحمراء لحمرة أرضها.[٢] وهي قلعة حصينة بين ملطية وسميساط و مرعش ، أقيمت قلعتها على جبل يقال له الأحدب.[٣] وتعد من أهم المعاقل الإسلامية على الطريق بين ملطية ومرعش عبر جبال طوروس،[٤] فتحها المسلمون أيام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، ، وكان الأمويون يسمونها درب الحدث، لأن المسلمين أصابهم حدث على هذا الدرب، فسمي بدرب الحدث، أو لأن المسلمين لقيوا على هذا الدرب فتىً حدثاً, فقاتلهم مع أصحابه قتالاً أذهل محاربيه، فسمي لذلك بالحدث، ولما كانت فتنة مروان بن محمد استولى البيزنطيون على مدينة الحدث وأجلوا أهلها عنها.[٥]

ج- زبطرة:

زبطرة بلدة بين ملطية والحدث وسميساط في طرف بلاد الروم،[٦] أقيمت في نفس الموقع الذي تقوم عليها مدينة ويران شهر التركية حالياً على نهر سلطان صو، جنوب غربي مدينة ملطية، في سهل محاط بالجبال،[٧] فتحها العرب على يد حبيب بن مسلمة الفهري، وكانت أقرب الثغور الإسلامية إلى بلاد الروم، وظل قائماً حتى خربه البيزنطيون في أيام الوليد بن يزيد، فبني بناء غير محكم ثم هدمه الروم مجدداً أيام فتنة مروان بن محمد.[٨]

د- ملطية:

---

١ - البلاذري: فتوح البلدان صـ ١١٧

- ابن العديم: بغية الطلب ج١/صـ ٥٧

- ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١/ق٢/ صـ ١٦٨- ١٦٩

- عثمان: الحدود الإسلامية, ج١صـ ٣٧٤

٢ - ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١/ق٢/ صـ ١٧٣

٣ - الحموي: معجم البلدان م٢/صـ ٢٢٧

٤ - الجنزوري(علية عبد السلام): الثغور البرية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية, القاهرة ١٩٧٩م:الثغور صـ ٨٩

٥ - الحموي: معجم البلدان م٢ /صـ ٢٢٧- ٢٢٨

- ابن العديم: بغية الطلب ج١/صـ ٥٨

- عثمان: الحدود الإسلامية, ج١صـ ٣٧٥

٦ - الحموي: معجم البلدان م٣ /صـ ١٣٠- ١٣١

- ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١/ق٢/ صـ ١٨٠

٧ - ابن الأثير: الكامل ج٤/ صـ ٢٩٣

- الجنزوري: الثغور صـ ٩٢- ٩٣

٨ - ابن الأثير: الكامل ج٤/ صـ ٢٩٣

- ابن العديم: بغية الطلب ج١/ ٦٠

- ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١/ق٢/ صـ ١٨٠- ١٨١

- الجنزوري: الثغور صـ ٩٢- ٩٣

كان الروم يسمونها ملطيا، وقيل ملابي فعُرّب إلى ملطية، وكان الاسكندر أول من بناها،[١] وكانت فيما سلف مدينة كبيرة ومحصنة غير أنَّ الروم تغلبوا عليها مرات وغيروا من محاسنها،[٢] ويذكرها المقدسي ضمن بلدان الإقليم الخامس،[٣] فكانت ملطية مفتاح الطريق للجيوش الإسلامية القادمة من الشرق متوجهةً لآسيا الصغرى،[٤] وكانت في منطقة مستوية تحيط بها الجبال من كل جانب، فكانت ملتقى شبكة كبيرة من الطرق الهامة ووديان الأنهار.[٥]

ولما ولي معاوية الشام والجزيرة وجه إليها حبيب بن مسلمة، ففتحها عنوة مخلفاً بها عدداً من الجنود المسلمين لحمايتها، ويقال إن معاوية مرّ بها وهو في طريقه إلى الغزو فزودها بمجموعة جديدة من أهل الشام والجزيرة وغيرهما، فأصبحت طريق الصوائف. هجرها أهلها أيام فتنة عبد الله بن الزبير، فخربها الروم وسكنها قوم من الأرمن والنبط.[٦] ويُذكر أنَّ عمر بن عبد العزيز أمر أهل طرندة بالجلاء عنها إلى ملطية، وطرندة داخلة في البلاد الرومية من ملطية بثلاث مراحل، وكان عبد الله بن عبد الملك قد أسكنها المسلمين بعد أنْ غزاها سنة ٨٣هـ/٧٠٢م وملطية يومئذٍ خراب، وكان يأتيها الجنود من الجزيرة يقيمون بها حلول الشتاء فيعودون إلى بلادهم، فلم يزالوا كذلك إلى أنْ ولي عمر بن عبد العزيز فأمرهم بالعودة إلى ملطية وأخلى طرندة وخربها خوفاً وإشفاقاً على المسلمين.[٧] ما يعنى أنَّ المسلمين أعادوا سيطرتهم على ملطية وأعادوا تحصينها، ويقال: إنَّ البيزنطيين تنازلوا عنها لـ عمر بن عبد العزيز مقابل فك عدد من أسراهم[٨] وهاجم الروم ملطية مجدداً بعشرين ألف مقاتل سنة ١٢٣هـ/٧٤٠م فأغلق أهلها أبوابها وقاتلوا رجالاً ونساء دفاعاً عن مدينتهم طالبين النجدة من هشام بن عبد الملك الذي استنفر الناس لنجدة ملطية، ثم أتاه الخبر برحيل الروم فبعث مع الرسول خيلاً ليرابط بها، ثم غزا هشام بنفسه ونزل ملطية وعسكر عليها حتى بنيت من جديد. وبقيت هكذا حتى نهاية عصر الدولة الأموية،

---

١ - ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١/ق٢/ صـ ١٨٤

٢ - مجهول: حدود العالم من المشرق إلى المغرب , صـ ١٢٨

- الإدريسي: نزهة المشتاق م٢/صـ ٦٥٠- ٦٥١

٣ - المقدسي: أحسن التقاسيم صـ ٩١

٤ - الجنزوري: الثغور صـ ١٠٣

٥ - ابن العديم: بغية الطلب ج١/ ٦١

- ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١/ق٢/ صـ ١٨٥

- الجنزوري: الثغور صـ ١٠٣

٦ - البلاذري: فتوح البلدان صـ ١١٥

- ابن العديم: بغية الطلب ج١/ ٦٢

- العلي: امتداد العرب صـ ١١٠

٧ - ابن الأثير: الكامل ج٤/صـ ١٠٨- ١٠٩

- ابن العديم: بغية الطلب ج١/ ٦٢

- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ج٣/صـ ٧٢

- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج١/صـ ٣٠٩

٨- القلقشندى: مآثر الإنافة ج١/ صـ ١٤٣

حيث هاجمها الروم مجدداً سنة ١٣٣هـ/ ٧٥١م فخربوها بعد أنْ أجلوا سكانها عنها.[١]

هـ - سميساط:

يقول ابن العديم:(وقد ذكرنا أنها من ثغور الشام، وإنما تعرف بثغور الجزيرة لأن أهلها يغزون منها وبها يرابطون، وخراجها إلى عامل ديار مضر، وأما حربها وصلاتها فإنه ما زال إلى عامل جند قنسرين.)[٢] وهي مدينة صغيرة على شاطئ الفرات الغربي في طرف بلاد الروم[٣] لها قلعة حصينة وتحف بها جبال كثيرة،[٤] يذكرها المقدسي في مدن الإقليم الرابع.[٥] فتحها المسلمون أول مرة على يد صفوان بن المعطل وحبيب بن مسلمة ويقال بل فتحها أول مرة عياض بن غنم الذي فتح الرقة والرها وحران وسميساط على صلح واحد، ثم ارتد أهل سميساط مرة أخرى عن الإسلام فعاد إليها عياض وحاصرها حتى فتحها مجدداً،[٦] وظلت سميساط تابعة للمسلمين حتى نهاية الدولة الأموية[٧].

والجدير بالذكر إنَّ نظام الثغور الإسلامي كان يقابل نظاماً بيزنطياً مشابهاً سمي بالبنود(البندا) كان قد طبق سابقاً في البند الأرمني (الأرمينياك) لمواجهة الخطر الفارسي، وأثناء انشغال المسلمين بالمشاكل الداخلية والتي بدأت مع خلافة يزيد وحتى معظم عهد عبد الملك، استغل البيزنطيون الفرصة وقاموا بتعديل تقسيماتهم الإدارية لمواجهة احتياجاتهم الدفاعية، فجددوا بعض البنود القديمة, وكونوا بنوداً جديدة، مثل بند الأبسيق وبند كبيرايوت وغيرها، لتعزيز دفاعاتهم في المواضع التي هددها المسلمون.[٨]

١- البلاذري: فتوح البلدان صـ ١١٥- ١١٦

٢- ابن العديم: بغية الطلب ج١/ صـ ٦٣

٣- مجهول: حدود العالم, صـ ١٢٨

- الحموي: معجم البلدان م٣ /صـ ٢٥٨

- ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١/ق٢/ صـ ١٩١

٤- الإدريسي: نزهة المشتاق م٢/صـ ٦٥١

٥- المقدسي: أحسن التقاسيم صـ ٩٠

٦- ابن العديم: بغية الطلب ج١/صـ ٦٣

- الجنزوري: الثغور صـ ١٣٣

٧- الجنزوري: المرجع نفسه صـ ١٣٤

٨- عثمان: الحدود الإسلامية, ج١صـ ٣٦٨- ٣٦٩

سادساً- حصار القسطنطينية:

إنَّ القسطنطينية بموقعها الفريد على تلك التلة العظيمة والذي يشبه تربع الملكة على عرشها، تحيط بها المياه كما تحاط الملكة بالجواري، ففي الجنوب والجنوب الشرقي بحر مرمره، والبوسفور الذي تمتد مياهه داخل الشاطئ الأوربي قبل اندماجه ببحر مرمرة مشكلاً خليجاً عظيماً، يجاور المدينة من الشمال بطول سبعة أميال بشكل منحن جعله يعرف عبر التاريخ بالقرن الذهبي، والذي شكل ميناءً طبيعياً للمدينة على مر العصور،[١] إذ بُني على ضفتيه برجين حصينين مرتبطين بسلسلة حديدية ضخمة ترفع في أوقات الخطر فتمنع سفن الأعداء من الدخول.[٢] وإلى جانب القرن الذهبي كان هناك موانئ صغيرة تطل على البوسفور أدت هذه الموانئ رغم صغرها دوراً هاماً في تسهيل الملاحة في مياه البوسفور، إذ كانت تأوي إليها السفن البيزنطية عند اشتداد التيار البحري المتدفق من البحر الأسود إلى بحر مرمرة والذي كان يزيد من حدته الرياح الشمالية العاصفة والتي كانت تحوله إلى تيار مدمر يحطم كل ما يقع في طريقه، وقد شارك هذا التيار مراراً في الدفاع عن المدينة، وذلك بتحطيم السفن الغازية التي حاولت الطواف حول القسطنطينية للوصول إلى القرن الذهبي ومهاجمة المدينة منه.[٣] وفضلاً عن الحصانة الطبيعية التي تمتعت بها المدينة بموقعها المرتفع والمحاط بالمياه، فقد تمتعت بحصانة إنشائية أيضاً، أنشأها أباطرتها على مر التاريخ فوفّروا لها حصانة قل توفرها لغيرها من مدن العالم فمن جهتها البرية الوحيدة أحيطت بسور هائل مزدوج مسبوق بخندق عميق من شأنه عرقلة تقدم أي قوة برية معادية، ويتشابك سورها البري مع أسوار هائلة مزودة بمجموعة من الأبراج أقيمت لحماية المدينة من الجهات البحرية.[٤] ويصف سبط ابن الجوزي سور القسطنطينية قائلاً: (...وسمك سورها الكبير أحد وعشرون ذراعاً وفيه

١- بركات : فن الحرب البحرية صـ ٥٦

- خفاجي وشرف:معارك فاصلة صـ ٥٦

٢- ميخائيل: تاريخ ميخائيل الكبير، ج٢/صـ ٣٨٢

٣- خفاجي وشرف: المرجع نفسه صـ ٥٧- ٥٨

٤- بركات : المرجع نفسه صـ ٥٨

- خفاجي وشرف: المرجع نفسه صـ ٥٧

- طهبوب : موسوعة التاريخ الإسلامي صـ ١٩

مائة باب وسمك فصيلها الصغير عشرة أذرع وهي على خليج يصب في البحر الرومي.)[١]

وعلى تلك الأسوار الحصينة تحطمت أمال العرب المسلمين في القضاء على الإمبراطورية البيزنطية هدف الفتوحات الأول والأهم ، مثلما اصطدمت آمالهم غرباً بجبال البيرنس الواقعة إلى الجنوب من فرنسا. إذ يمكن القول إنَّ الصوائف والشواتي التي دفعها الخلفاء الأمويون إلى الأراضي البيزنطية وإن لم تكن كلها فمن المؤكَّد أن معظمها، كان تمهيداً لتحقيق الهدف الأكبر– فتح القسطنطينية – الذي لم يكن مجرد حلم يداعب خيال الخلفاء، وإنما كان ضرورة سياسية وعسكرية في ذات الوقت. بمعنى أنَّه لو حدث أن استولى العرب عليها، لضمنوا سلامة دولتهم من جهود بيزنطة الحثيثة في القضاء على الدولة العربية منذ نشأتها الأولى، وهذا أمر طبيعي فامتلاكها كان بمثابة ضمان نهائي لعدم تعرض دولة الروم للعرب الذين اقتطعوا أجزاء هامة من دولتهم.[٢] وكما تقدم فقد جهد الأمويون لفتح القسطنطينية والقضاء على إمبراطوريتها، وكان أول من خطط لهذا الأمر الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان، الذي أدرك أن القسطنطينية هي العصب الحساس بالنسبة للساحل الشرقي للبحر المتوسط وجزره، كما كانت تعتبر القلب النابض للعالم الغربي ومفتاح سيادته وزعامته.[٣] ويقال: إنَّ معاوية حاول فتح القسطنيطينية حتى قبل أن يصبح خليفة، وذلك أثناء ولايته على الشام في خلافة عثمان بن عفان، إذ قاد معاوية جيشاً بنفسه في أواخر سنة٣٢هـ/٦٥٣م مخترقاً به أسيا الصغرى، متقدماً حتى أسوار القسطنطينية،[٤] وقد أغفلت أغلب المصادر والمراجع ذكر هذه المحاولة، ربما لضآلة نتائجها، رغم أنَّ نجاح المسلمين في اختراق كل تلك المسافات في أراضي الإمبراطورية البيزنطية العاجزة عن المقاومة، يعد نصراً حقيقياً لمعاوية وجيشه.

ومن المرجح أنَّه كان هناك محاولات عديدة لفتح القسطنطينية أغفلتها المصادر لإخفاقها في تحقيق هدفها ومنها الغزوة التي قادها بسر بن أبي أرطاة إلى بلاد الروم سنة ٤٣هـ/٦٦٣م ويقال: إنه تقدم في بلادهم حتى بلغ القسطنطينية.[٥] فيما تتفق معظم المصادر والمراجع على ثلاث محاولات أكيدة لفتح القسطنيطينية، لكن الغريب في الموضوع هو عدم اتفاقها على قائد وتاريخ هذه المحاولات الثلاث وخاصة

١- سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان, صـ ٧٨

٢- يوسف (جوزيف نسيم): تاريخ الدولة البيزنطية(٢٨٤- ١٤٥٣) دار المعرفة الجامعية, الإسكندرية ١٩٩٨مصـ ١٢٠

٣ - علي: تاريخ بلاد الشام صـ ٢٦١-٢٦٢

٤- ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط ق١/صـ ١٧٧

- الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٤/ ٣٠٥

- ابن كثير: البداية والنهاية ج٧/ ١٢٩

- خطاب: قادة فتح الشام ومصر صـ ١٨٠

- عنان: مواقف حاسمة صـ ٣٠

٥- الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٥/ صـ ١٨١

- أبن الأثير : الكامل ج٣/ صـ ٢٦

- ابن كثير: البداية والنهاية ج٨ صـ ٢١

الأولى والثانية منها، رغم أهمية هذه الأحداث، والتي لو نجحت لغيرت مجرى التاريخ رأساً على عقب.

الحصار الأول:

تنقسم المصادر والمراجع إلى ثلاثة أقسام حول قائد الحملة وتاريخها، فمعظم المصادر والمراجع متفقة على أنها كانت سنة٤٩هـ/٦٦٩م،[١] فيما يذهب البعض إلى جعلها سنة ٤٨هـ/٦٦٨م،[٢] والبعض الآخر يجعلها سنة ٥٠هـ/٧٧٠م،[٣] وابن منظور يذكرها في العام نفسه إلا أنَّه يجعلها إلى طوانة بدل القسطنطينية.[٤] وعلى الأغلب فإن هذه الغزوة خرجت سنة ٤٩هـ/٦٦٩م ثم لحقهم يزيد بالمدد في العام التالي أي سنة ٥٠هـ/٧٧٠م. وهذا ما جعل الأمر يختلط على المؤرخين.

وأما بالنسبة لقيادتها فالمصادر والمراجع أيضاً تنقسم إلى ثلاث مجموعات؛ مجموعة تجعلها لـ فضالة بن عبيد الأنصاري،[٥] فيما تجعلها المجموعة الثانية لــ سفيان بن عوف الأسدي،[٦] والمجموعة الثالثة لــ يزيد بن معاوية بن أبي سفيان،[١]

١- الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٥/صـ ٢٣٢

- أبن الأثير: الكامل ج٣/ صـ ٥٦

- ابن كثير: البداية والنهاية ج٨ صـ ٢٨

- بركات : فن الحرب البحرية صـ ٥٧

- البستاني(بطرس): معارك العرب(في الشرق والغرب)،دار الجيل ،دار مارون عبود،بيروت ط٢ ١٩٧٩م صـ ٤٦

- العبادي وسالم: تاريخ البحرية الإسلامية صـ ٣٢

- علي: تاريخ بلاد الشام صـ ٣٩٧

- الغيث:مرويات خلافة معاوية صـ ٢٥٨

- DVORIK: Origins of Intelligence Services, P194

٢- أبو الفداء: كتاب المختصر في أخبار البشر م١/ صـ ١٠١

- ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر ج١/ صـ ٢٥٥

- القلقشندى: مآثر الإنافة في معالم الخلافة ج١/ صـ ١١٢

- عبد القادر: معارك فاصلة صـ ٢٨٥

- حسن: تاريخ الإسلام صـ ٢٢٩

٣- ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط ق١/ صـ ٢٤٨

- الذهبي:تاريخ الإسلام, حوادث ووفيات (٤١-٦٠هـ) صـ ٢١

- أبن خلدون: تاريخ أبن خلدون ج٣/ صـ ٩

- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة,ج١/ صـ ١٨٢

- ابن العماد: شذرات الذهب م١/ صـ ٢٤٤

- بينز: الإمبراطورية البيزنطية صـ ٣٥٦

٤- ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق, ج٢٨/ صـ ٢٣-٢٤

٥- حتى: تاريخ العرب صـ ٢٦١

- رستم : الروم ج١/صـ ٢٦١

- طقوس : تاريخ الدولة الأموية صـ ٣٢

- عبد القادر: معارك فاصلة صـ ٢٨٥

- Theophanes: Chronicle of Theophanes p 50

٦- أبن الأثير: الكامل ج ٣/ صـ ٥٦

- ابن العديم: زبدة الحلب, ج ١/ صـ ٥٦

- ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١/ق٢/ صـ ٢٠٤

ومن دراسة المصادر والمراجع المختلفة يتبين أنَّ هذه الحملة كانت بقيادة سفيان بن عوف، أما عن سبب جعل بعضهم قيادتها لـ فضالة بن عبيد الأنصاري، فعائد إلى أنَّ فضالة قام في العام نفسه بغزوة لكن غير هذه الغزوة التي وصلت إلى القسطنطينية.[٢] وأما يزيد بن معاوية فقد لحق بالحملة في العام التالي ولم يكن قائدها أول الأمر، إذ تثاقل وتمارض حين أمره أبوه بالغزو[٣] وأنشأ يقول:

تجنّى لا تزالُ تَعُـــدُ ذنبـــاً لتقطعَ وصالَ حبلِكَ عن حبالي

فيوشكُ أن يريحكَ من أذاتي نزولي في المهالكِ وارتحـالي

فتركه معاوية ولم يجبره على الخروج.[٤] وعندما أصاب الحملة الضيق والمرض والجوع، وبلغ خبرها يزيد راح ينشد قائلاً:

إذا ارتفقتُ على الأنماطِ مصطحباً بديـــرِ مُـرانَ عنـدي أمُّ كلثـــومِ

فما أبالي بما لاقتْ جنـــــــودهُمْ بالغذقدونةِ[٥]من حُمّىً ومن مُومِ[٦]

أما ابن منظور فيوردها على الشكل التالي:

إذا اتكأتُ على الأنماطِ مرتفقاً بديـــر سمـعانَ عنـدي أمُّ كلثـــومِ

فما أبالـي بما لاقتْ جمـوعهُمْ بالفرقـــــدانةِ من حُمّىً ومن مُومِ[٧]

وأما اليعقوبي فيوردها على الشكل التالي:

ما إن أبالـي بما لاقتْ جمـــوعهُمْ بالغذقدونةِ من حُمّىً ومن مُومِ

إذا اتكأتُ على الأنماط في غرفٍ بديـــر مران عند أمِّ كلثـــومِ

وأم كلثوم هي أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر زوجة يزيد، وقد بلغ ذلك مسامع معاوية فأثار غضبه استهتار يزيد فقال:أقسم بالله لتدخلن أرض الروم فليصيبنك ما

- أبو الفداء: كتاب المختصر في أخبار البشر م١/ صـ ١٠١

- ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر ج١/ صـ ٢٥٥

- أبن خلدون : تاريخ أبن خلدون ج٣/ صـ١٢

- دحلان (أحمد بن زيني): الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية المطبعة الميرية,مكة المكرمة ط١ ١٣٠٢هـ ج١ / صـ ١٠٨

- العبادي وسالم : تاريخ البحرية الإسلامية صـ ٣٢

- العسلي فن الحرب ج١ / صـ١٩٩

١- الذهبي:تاريخ الإسلام, حوادث ووفيات (٤١-٦٠هـ) صـ ١٢١

- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج١/صـ ١٨٢

- بركات : فن الحرب البحرية صـ ٥٧

- البستاني: معارك العرب صـ ٤٦

- علي:تاريخ بلاد الشام صـ ٣٩٧

- كنعان : تاريخ الدولة الأموية صـ ٤٠

٢- أبن الأثير: الكامل ج٣/ صـ ٥٦

٣- ابن العديم: زبدة الحلب, ج ١/ صـ ٥٦

- ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١/ق٢/ صـ ٢٠٤

٤- البيهقي: المحاسن والمساوئ صـ ١٥٨

٥- الغذقدونة: اسم جامع للثغر الذي منه المصيصة و طرسوس وغيرهما ويقال له خذقذونة أيضاً]ياقوت: معجم البلدان ج٤/ صـ ١٨٨[

٦- الأصفهاني: كتاب الأغاني ج١٧/١٥١

٧- ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق ج٢٨/ صـ ٢٤ ,

أصابهم،[١] فأرسله ومعه جمع كثير وبصحبته الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري وابن عباس وابن عمر وابن الزبير.[٢] لذلك اعتقد الكثيرون إنَّ القيادة لابد وأنها كانت من نصيب يزيد إذ من غير المعقول أنْ يكون في حملة وتكون القيادة لغيره، والبعض الآخر عدَّ حملة يزيد حملة منفصلة وليس مدداً لحملة سالفة، وربما كان ذلك بغير قصد أو بقصد إعلاء شأن يزيد وتحسين صورته.

ويمكن القول: أنَّ إصرار معاوية على إلحاق يزيد بالحملة، لم يكن بسبب غضب معاوية من مجون يزيد واستهتاره بينما يقاسي المسلمون الأمرين وحسب، بل إنَّ شعر يزيد نبهه إلى أنَّ الوقت قد حان لتحسين صورة ولده في أعين المسلمين تمهيداً لما كان يخطط له من جعله ولياً لعهده، بعد أنْ أفسد هذه الصورة بلهوه وشعره الماجن.[٣] وإظهاره بمظهر القائد الفذ والرجل الأنسب للحلول محل أبيه، بدل الصورة التي طبعت في أذهان الناس صورة الخليع المتهتك المنصرف إلى اللهو والصيد ومعاقرة الخمر. هذا إلى جانب ترويض أبناء الصحابة وغيرهم من علية القوم على العمل تحت قيادته.[٤]

فسار يزيد وصحبه ومعهم الرجال والمؤن حتى انضموا إلى الحملة، فاشتبك المسلمون والبيزنطيون في قتال عنيف، سطر فيه جنود المسلمين بباسلة وشجاعة نادرة صفحات لن تنسى من التضحية والفداء، وكان على رأس شهداء هذه الحملة عبد العزيز أبن الصحابي زرارة الكلابي، كما توفي أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدفن بالقرب من أسوار القسطنطينية، [٥] وكان أبو أيوب قد شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.[٦] ويروى البيهقي عن وفاة أبو أيوب قائلاً: (اشتكى أبو أيوب قبل وفاته فأتاه يزيد عائداً فقال: ما حاجتك؟ فقال: أما دنياكم فلا حاجة لي فيها ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(يدفن قرب القسطنطينية رجل صالح.) وقد رجوت أنْ أكونه فقدمني ما قدرت عليه فمات. فلما فرغ من جهازه ووضع على سريره قدم الكتائب بين يديه، فنظر القيصر(قسطنطين الرابع) ورأى أمراً عجيباً وشيئاً يحمل والناس بالسلاح، فأرسل إليه ما هذا الذي نرى؟ قال يزيد: هذا صاحب نبينا صلى الله عليه وسلم، أوصى أنْ ندفنه إلى جنب مدينتكم ونحن ننفذ وصيته أو نموت دونه، فأرسل

١- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي صـ ٣٠٥

٢- ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١/ق٢/ صـ ٢٠٥- ٢٠٦

- أبو الفداء: كتاب المختصر في أخبار البشر م١/ صـ ١٠١

- ابن الوردي: تتمة المختصر, ج١/ صـ ٢٥٥

- الغيث:مَرويات خلافة معاوية صـ ٢٥٨- ٢٥٩

٣- علي:تاريخ بلاد الشام صـ ٣٩٧

٤- زكار:تاريخ العرب والإسلام صـ ١٣١- ١٣٤

٥ - أبن الأثير الكامل ج٣/ صـ ٥٦- ٥٧

- ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١/ق٢/ صـ ٢٠٦- ٢٠٧

- أبن خلدون : تاريخ أبن خلدون ج٣/صـ ٩- ١٠

- ابن العماد: شذرات الذهب م١/ صـ ٢٤٦

- دحلان: الفتوحات الإسلامية ج١ /صـ ١٠٨

٦ - ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١/ق٢/ صـ ٢٠٧- ٢٠٨

إليه: العجب من الناس وما يذكرونه من دهاء أبيك وهو يبعثك في هذا البعث فتدفن صاحب نبيك بجنب مدينتي فإذا وليت عنه نبشته فطرحته للكلاب، فأرسل يزيد: لئن تعرضت له لا تركت في أرض العرب نصرانياً إلا سفكت دمه واستصفيت ماله وسبيت حرمه، فأرسل إليه قسطنطين: كان أبوك أعرف بك مني.)[١]

ويحكى أن البيزنطيين حاولوا خرق الحصار منتهزين فرصة انشغال جيش المسلمين بغاراته في تراقية، فتظاهر المسلمون بالانسحاب وحين خرج البيزنطيون من مكامنهم انقض عليهم المسلمون فقتلوا وأسروا منهم الكثير, حتى لاذوا بأسوار مدينتهم وقبعوا داخلها مرة أخرى، لكن رغم ذلك لم ينجح الحصار،[٢] وعادت الحملة دون أن تتمكن من تحقيق هدفها. و يرجئ المؤرخون ذلك إلى عدة أسباب منها:

١- منعة موقع القسطنطينية ومتانة أسوارها.

٢- نفاد المؤن وطول طرق الإمدادات.

٣- فتك النار الإغريقية[٣] بالقوات الأموية.[٤]

ورغم إخفاق الأمويين في مهمتهم، إلا أنهم نجحوا في زرع الرعب في قلوب البيزنطيين والأوربيين من خلفهم، فحصار قوات دولة ناشئة لعاصمة دولة ذات تاريخ عريق مثل الدولة البيزنطية، دليل واضح على قوة الأولى وضعف الثانية.

وإخفاق الأمويين في المحاولة الأولى لم يثن عزائمهم، بل سرعان ما جهزوا حملة جديدةً أضخم من الأولى وفي ولاية معاوية بن أبي سفيان أيضاً.

---

١ - البيهقي: المحاسن والمساوئ صـ ١٥٨

٢ - عثمان:الحدود الإسلامية,ج٢ صـ ٤٤

٣ - النار الإغريقية: مركب كيماوي يتكون من النفط والكبريت والقار بنسب ومقادير لم يستطيع الأمويين معرفتها، أخترعها مهندس سوري يدعى كالينكوس كان قد فر إلى القسطنطينية, وكانت هذه النار تحدث دخاناً كثيفاً وانفجاراً عظيماً، وتنبثق منه نار شديدة حامية تندلع ألسنتها صعوداً وهبوطاً وتضطرم اضطراماً سريعاً وهائلاً، لا تنطفئ بملامسة الماء بل تشتد وتحتدم، ولا يخمد نيرانها إلا بالرمل والخل.[عنان: مواقف حاسمة صـ ١٠٥ – ١٠٦]

٤ - طقوش : تاريخ الدولة الأموية صـ ٣٣

- حسن: تاريخ الإسلام صـ ٢٢٩

٢) الحصار الثاني أو حرب السبع سنوات (٥٤- ٦٠هـ/ ٦٧٤- ٦٨٠م) [١]:

أو حرب الأربع سنوات كما سماها البعض،[٢] أهملتها بعض المصادر والمراجع وذكرها البعض الأخر بشكل مقتضب ملمحين إليها بذكرهم أن جنادة بن أبي أمية فتح سنة ٥٤هـ/ ٦٧٤م جزيرة أرواد القريبة من القسطنطينية،[٣] فأقام بها المسلمون سبع سنين،[٤] دون التطرق إلى الحصار وتفاصيله.

وكان معاوية قد مهد لهذه الحملة أفضل تمهيد فدفع بمجموعة من الغزوات البرية والبحرية منذ إخفاق الحصار الأول إلى عمق الأراضي البيزنطية وسواحله ومنها:

غزوة بسر بن أرطاة و سفيان بن عوف بالبر وفضالة بن عبيد الأنصاري في البحر سنة ٥٠هـ/٦٧٠م, ومشتى فضالة بن عبيد الأنصاري وصائفة بسر بن أرطاة في العام التالي.[٥] وفي سنة ٥٢هـ/٦٧٢م بعث على الشاتية سفيان بن عوف الذي يقال: إنه توفي فيها فخلفه عبد الله بن مسعد الفزاري وعلى الصائفة محمد بن عبد الله الثقفي، وفي السنة التالية ٥٣هـ/٦٧٣مسار بالشاتية عبد الرحمن بن أم الحكم و بالبحر جنادة بن أمية الذي فتح جزيرة رودوس.[٦] وعلى ما يبدو أن هذه الشاتية هي التي جعلت الأمور تختلط على أومان لذلك فهو يجعل الحصار سنة ٥٣هـ/٦٧٣م بدلاً

١- أمين: ترجمة أمير المؤمنين معاوية صـ ١

- بركات: فن الحرب البحرية صـ ٥٧

- عثمان:الحدود الإسلامية,ج٢ صـ ٤٩

٢- أومان: الإمبراطورية البيزنطية صـ ١٣٤

- رستم : الروم ج/صـ ٢٦٢

٣- يذكر ابن شداد إن المسلمون فتحوها بعد أن أقاموا عليها سبع سنين. [ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١/ق٢/ صـ٢٠٩]

٤- الطبري:تاريخ الرسل والملوك ج٥/صـ ٢٩٣

- أبن الأثير: الكامل ج٣/ صـ ٩١

- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ج١٨/٣

٥- أبن الأثير: الكامل ج٣/ صـ ٥٦, ٥٩

٦- الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٥/ صـ ٢٣٤, ٢٥٣, ٢٨٧, ٢٨٨

من السنة التي تليها والقيادة لـ عبد الرحمن بدلاً من فضالة بن عبيد، والأكثر من ذلك إنه يجعل مشاركة يزيد بن معاوية في هذا الحصار وليس في الحصار الأول.[١]

وكان معاوية يهدف من هذه الغزوات تحقيق عدة مكاسب منها:

١- إشغال القوات البيزنطية ومنعها من الاستعداد بالشكل الكافي لمواجهة حملته المرتقبة.

٢- المحافظة على الجاهزية القتالية لرجاله، وتدريبهم على القتال في أرض العدو ذات التضاريس الوعرة.

٣- الحصول على أكبر كمّ ممكن من المعلومات عن تضاريس العدو وقواته ومدى استعداده وجاهزيته.

وبعد انتهاء التحضيرات غادرت القوات البرية منطقة الثغور، بقيادة قائدها العام الصحابي الجليل فضالة بن عبيد الأنصاري كما غادرت القوات البحرية ميناء عكا بقيادة الصحابي الجليل عبد الله بن قيس الحارثي التجيبي ويزيد بن شجرة الرهاوي الذي كان أمير أسطول الشام،[٢] والذي استشهد في البحر سنة ٥٥هـ/٦٧٤م، وقيل بل سنة ٥٨هـ/٦٧٧م.[٣] ويلاحظ هنا تقصد معاوية كما في الحصار الأول ضم صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الحملة لترغيب الناس في المشاركة وصبغ الحملة بصبغة الجهاد المقدس.

وصل الأسطول الأموي إلى مياه القسطنيطينية فألقت السفن مراسيها على شواطئ ليكيا بانتظار فصل الربيع، إذ يستحيل القتال في شتاء القسطنيطينية القارس، وبحلول الربيع عززت القوات البحرية بوصول أسطول عربي جديد إلى مياه القسطنيطينية بقيادة جنادة بن أبي أمية، يجعله تيوفانس بقيادة أمير يدعى خالد، فاستولى الأسطول على جزيرة كزيكوس والتي يسميها العرب جزيرة أرواد والقريبة من القسطنيطينية كخطوة تمهيدية فقد اتخذها المسلمون قاعدة بحرية أمامية لإمداد الجيش العربي بالماء والسلاح والرجال أثناء الحصار،[٤] كما أتخذها العرب كمعسكر يلجأ إليها الجيش عند حلول الشتاء وتوقف القتال ماكثين فيها حتى نهاية الشتاء حيث يعاودون الحصار طوال فصلي الربيع والصيف ومع حلول الخريف يتوقف القتال فيعودون إلى الجزيرة مجدداً وهكذا.[٥]

---

١ - أومان: الإمبراطورية البيزنطية صـ ١٣٤

٢- Theophanes: Chronicle of Theophanes p 52

- العسلي: فن الحرب ج١/ صـ ٢٠٢

٣ - الذهبي:تاريخ الإسلام, حوادث ووفيات (٤١-٦٠هـ) صـ ١٥٩

٤- أحمد:تاريخ فن القتال صـ ١٥

- بركات : فن الحرب البحرية صـ ٦٠

- ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية صـ ٨٩

- العدوي:قوات البحرية العربية صـ ٦١

٥- بركات: الإستراتيجية البحرية للدول العربية الإسلامية, مركز الدراسات الإستراتيجية, دمشق ٢٠٠٧م صـ ٨٨

- بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية, صـ ١٢٦

- ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية صـ ٨٩

- العبادي وسالم: تاريخ البحرية الإسلامية صـ ٣٢ – ٣٣

وعندما طال أمد الحصار، اعتمد قائد الأسطول تكتيكاً بحرياً متميزاً، لتوفير جهد رجاله والحفاظ على استعدادهم القتالي بشكل دائم، وذلك بتقسيم الأسطول إلى ثلاثة مجموعات :

- مجموعة تحاصر القسطنيطينية
- ومجموعة تتمركز عند الجزر في مدخل البحر
- ومجموعة ثالثة في وضع الاستراحة بالتناوب مع المجموعتين السابقتين وتتمركز عند الشواطئ الغربية لبحر إيجة وعلى عاتقها تقع مهمة دعم المجموعتين الأولى والثانية في حال حدوث أي طارئ.[١]

واستمر العرب على هذه الحال، يقاتلون من الفجر حتى الغسق ومن نيسان حتى أيلول مدة سبع سنوات،[٢] أبدى العرب خلالها ضروب من الشجاعة والإقدام على الرغم من استخدام البيزنطيين سلاحهم الفتاك(النار الإغريقية).[٣] غير أن هذا السلاح الجديد لم يفت في عضد القادة العرب مع وصول الإمدادات تباعاً، إذ وصل أسطول عربي آخر بقيادة سفيان بن عوف، فأسهبت السفن العربية في مهاجمة سفن العدو وحملها على الانزواء في موانئ العاصمة، برغم استخدام تلك السفن للنار البحرية الإغريقية.[٤] وانتهت السنوات السبع دون نتيجة، فلا الأمويون استطاعوا فتح المدينة ولا البيزنطيون استطاعوا إبعاد خصومهم عن أسوار عاصمتهم، أمَّا معاوية الذي كان يراقب الأحداث عن كثب، أدرك وهو يشعر بدنو أجله، خطورة الاستمرار في الحصار، وخاف أن تتعرض الحملة لمخاطر أكبر إذا توفي والحملة لا تزال بأرض العدو، كما اعتقد أن تواجد هذه القوات في دمشق وقت وفاته أسلم بكثير لولي عهده،[٥] لذلك عقد صلحاً مدته ثلاثون سنة مع البيزنطيين.[٦] وأعاد القوات البرية والبحرية إلى قواعدها في الشام بعد أنْ أثبتت للروم أن عاصمتهم ليست بعيدة المنال عن قبضة القوات الأموية وضرباتها الشديدة.[٧] كما خلفت هذه الحملة نتائج خطيرة جداً ومنها:

- عثمان:الحدود الإسلامية,ج٢ صـ ٤٩
- العدوي:الإمبراطورية البيزنطية صـ ٥٦

١- العسلي : فن الحرب ج١/ صـ٢٠٣

٢- Theophanes: Chronicle of Theophanes p 52

٣- أحمد(أحمد رمضان):تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط, وزارة الثقافة, هيئة الآثار المصرية, القاهرة صـ ١٦
- بركات: فن الحرب البحرية صـ ٦٠

٤- بركات: الإستراتيجية البحرية صـ ٨٩

٥- OSTROGORSKY:A History of the Byzantine states, P111
- أحمد: تاريخ فن القتال البحري صـ ١٦
- بركات: فن الحرب البحرية صـ ٦١
- طقوش : تاريخ الدولة الأموية صـ ٣٥
- العبادي وسالم: تاريخ البحرية الإسلامية صـ ٣٣

٦- Theophanes:Chronicle of Theophanes p 53-54

٧- بركات: الإستراتيجية البحرية صـ ٩٠

١- تدعيم موقف الإمبراطور قسطنطين الرابع، الذي بدا كمنقذ لأوربا من الغزو الإسلامي.[١]

٢- إخفاق العرب في الحصار وانسحاب قواتهم المنهكة حرمهم من الاستفادة من الظروف الخطيرة التي كانت تمر بها الإمبراطورية البيزنطية، عندما كان السلاف يحاصرون مدينة سالونيك، والبلغار يتقدمون مقتطعين أجزاء هامة من الأراضي البيزنطية على ضفاف الدانوب.[٢]

٣- توقف الغزو الإسلامي على هذه الجبهة، نتيجة لتوقيع الهدنة بين الطرفين.[٣] ونتيجة لوفاة معاوية ثم يزيد وابنه معاوية بدون خلف، وانتقال الخلافة من الفرع السفياني إلى الفرع المرواني وما رافق ذلك من أحداث خطيرة.[٤]

وبتدقيق سير الأحداث يمكن ملاحظة عدة أسباب لإخفاق الأمويين في تحقيق مهمتهم, فإضافة لحصانة المدينة واستخدام النار الإغريقية كان هناك:

١- رداءة الطقس وقسوته، خاصة بالنسبة للعرب أبناء المناطق الحارة.

٢- التيارات المائية التي كانت تبعد السفن عن الأسوار وتحد من إمكانياتها في الهجوم.

٣- عدم إحكام الحصار الذي بقي مفتوحاً من بعض الجهات، والتي استغلها الأعداء لإمداد المدينة بالمؤن، فكانت كل جهود المحاصرين تذهب سدى.[٥]

٤- تردي أحوال الجيش الأموي الذي قضى سبع سنين قاسية بعيداً عن أرض الوطن.[٦]

ورغم ذلك لم ييأس الأمويون من إخفاق محاولتهم الثانية وظل الأمل في الفتح قائماً حتى جهزوا للحصار الثالث.

١- OSTROGORSKY:A History of the Byzantine states, P112

٢- عمران:معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية, صـ ٨٢

٣- الشيخ:تاريخ الإمبراطورية البيزنطية صـ ٩٩

٤ - أبو زيد:الدولة الأموية٠٠دولة الفتوحات صـ٢٥

٥ - طقوش : تاريخ الدولة الأموية صـ ٣٤

٦ - أبو زيد:الدولة الأموية٠٠دولة الفتوحات صـ ٢٥

٣) الحصار الثالث أو الحملة الإسلامية الكبرى (٩٨هـ/٧١٦م):

يعود الفضل في التخطيط والتحضير للمحاولة الثالثة إلى الوليد بن عبد الملك الذي كان يعيش مع الأمويين أزهى أيامهم بعد أنْ جنى ثمار الجهود التي بذلها أبيه لما يقارب من العشرين عاماً، فكان خير خلف لخير سلف.[١]

بدأ الوليد بتقصي أخبار البيزنطيين باهتمام بالغ منذ توليه سدة الخلافة منتظراً الوقت المناسب لإرسال حملة جديدة تحقق الحلم الأموي الكبير، وحتى يحين ذلك الوقت اتخذ الوليد من الأراضي البيزنطية وسواحلها في آسيا الصغرى ميداناً تتدرب فيه القوات البحرية والبرية العربية على التعاون في الهجوم على معاقل الروم تمهيداً للزحف على القسطنطينية.[٢] وفي أثناء ذلك كانت الأخبار تصله تباعاً من عيونه الكثيرة التي بثها على تخوم بيزنطة وبين ظهرانيها، وحين أكدت التقارير القادمة إليه من جواسيسه أنَّ الوقت المناسب قد حان، فالإمبراطورية البيزنطية تقف على حافة الانهيار، نتيجة لما كانت تعانيه من أزمات داخلية،[٣] ناتجة عن تتابع الأباطرة السريع على العرش، وعجزهم عن إدارة شؤون البلاد، فانحطت الحضارة وتدهورت القيم وعمت الخرافات وشاعت الانقلابات، وباءت بالإخفاق كل المحاولات التي أبداها بعض الأباطرة لإنقاذ البلاد مما تتردى فيه.[٤] هذا بالإضافة إلى الهجمات الشرسة التي كانت تتعرض لها الدولة البيزنطية من قبل البلغار[٥] والسلاف، والعرب الذين جعلوا من آسيا الصغرى ميداناً لغزواتهم الاستطلاعية

١- فرج ويوسف: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية صـ ١١١١٦- ١١٧

٢ - بركات: الإستراتيجية البحرية صـ ٩١

٣- ساليفان(ريتشارد): ورثة الإمبراطورية الرومانية، ترجمة وتقديم د. جوزيف نسيم يوسف, مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ط١ ١٩٨٥ صـ ٧٢

٤- فرج ويوسف: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية صـ ١١١١٦- ١١٧

٥- أومان: الإمبراطورية البيزنطية صـ ١٤٣

التدريبية،[١] والتي زادت من الموقف تعقيدا. فكانت الفرصة مواتية والظروف مثالية،للبدء في التحضير للمشروع العظيم.

وسرعان ما وصلت أنباء الحملة إلى البيزنطيين الذين لم يكتفوا بما لديهم من عيون في بلاد العرب، حتى أرسلوا جواسيساً رسميين متقنعين بقناع دبلوماسي؛[٢] إذ وصلت سفارة بيزنطية إلى دمشق برئاسة المفاوض البارع دانيال حاكم مدينة سينوب للتفاوض على عقد هدنة بين الطرفين- في الظاهر- أما في الواقع فقد كان هدف السفارة هو الوقوف على حقيقة الأخبار التي وصلت إلى الإمبراطور، حول الحملة الإسلامية المزمع إرسالها إلى بيزنطة، فعاد الوفد يحمل أخباراً أكيدة عن الحملة و ضخامتها، ولثقة الإمبراطور الكبيرة بسفيره، تعامل مع معلوماته بكل جدية، حيث قام باتخاذ التدابير اللازمة لمواجهة الهجوم الإسلامي[٣] المرتقب، وذلك بتدعيم وسائل الدفاع عن العاصمة من خلال ترميم الأسوار ولا سيما الجهات المطلة على البحر ثم شحنها بالآلات الحربية الدفاعية، وشحن المدينة بالمؤن والغلال الكافية لمدة لا تقل عن ثلاث سنوات، كما استعد لمواجهة الحملة بحرياً أيضاً، بجعل شواطئ آسيا الصغرى والجزر القريبة منها إقليماً حربياً بحرياً ترسو في قواعده سفن حربية على أهبة الاستعداد، كما وضع فرقاً بحرية مساندة لأسطول العاصمة في بحر مرمرة ومنح أمير البحر سلطات واسعة تخوله تحريك أسطول شواطئ آسيا الصغرى وأسطول بحر مرمرة حسب رؤيته الخاصة للموقف.[٤]

وعمد كذلك إلى وضع خطة مضادة لتعطيل جهود المسلمين فكلف فرقاً من الحرس الإمبراطوري وهي أشد الفرق البيزنطية بأساً وتدريباً على فنون القتال البحري باعتراض سبيل الأسطول المصري المحمل بأخشاب جبال لبنان ومنعها من الوصول إلى غايتها،[٥] فيما وجه بعض الفرق إلى جزيرة رودوس في طريقها لمهاجمة سواحل الشام، فحال دون ذلك تمرد الأسطول وفرق الابسيق التي توجهت إلى القسطنطينية فعزلت الإمبراطور وعينت آخر مكانه.[٦]

وقبل أن يكتمل تجهيز الحملة توفي الوليد وانتقلت الخلافة إلى أخيه سليمان بن عبد الملك، ورغم اتفاق معظم المصادر على أنَّ الوليد كان صاحب المشروع وواضع لبناته الأولى، ينسب بعض المؤرخين المشروع برمته إلى سليمان بن عبد الملك وذلك انتقاماً لامرأة سبيت على يد الروم، فيقال: (جاء الخبر إلى سليمان أن الروم خرجت على ساحل حمص، فسبت امرأة وجماعة معها، فغضب سليمان وقال: والله لأغزونهم غزوة افتتح بها القسطنطينية أو أموت دون ذلك.)[٧] فيما يعتبر البعض

١- فرج ويوسف: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية صـ ٧٥

٢- طهبوب: موسوعة التاريخ الإسلامي صـ ١٣٤

٣- عثمان:الحدود الإسلامية, ج٢ صـ ٨٤

- الوكيل: الأمويون صـ ١٥٨

٤ - أحمد: تاريخ فن القتال البحري صـ١٧

- بركات: فن الحرب البحرية صـ ٦٢

٥ - بركات : فن الحرب البحرية صـ ٦٣-٦٤

٦ - عثمان: الحدود الإسلامية, ج٢ صـ ٨٧- ٨٨

٧ - الذهبي:تاريخ الإسلام , حوادث ووفيات (٨١- ١٠٠هـ), صـ ٢٦٩

الآخر أن ليو الأيسوري هو صاحب فكرة غزو القسطنطينية حين جاء إلى سليمان عارضاً عليه فتح المدينة بعد أن زين له سهولة العملية، فاقتنع سليمان منه وأرسل معه جيشاً بقيادة أخيه مسلمة.[١]

والحقيقة إنَّه لما انتقلت الخلافة إلى سليمان رأى في ظروف الإمبراطورية البيزنطية وما تعيشه من ضعف وانحلال ما يشجع على تبني مشروع الحملة التي كان أخوه الوليد قد بدأ بتجهيزها، وكان مما زاد في حماسه ما نقله إليه الفقهاء عن نبوءة تفيد بأن خليفة يفتح القسطنطينية يحمل اسم نبي، فأيقن سليمان بأنه الخليفة المقصود و أنَّ المدينة مفتوحة على يديه لا محالة، فباشر في إكمال ما ينقص الحملة بحماس كبير، فزودها بمقادير هائلة من المؤن والذخائر والعتاد وآلات الحصار،[٢] واتخذ من دابق معسكراً له وعاهد الله أن لا ينصرف حتى يدخل الجيش الذي وجهه إلى الروم القسطنطينية أو يموت،[٣] وأمضى سليمان سنة ٩٧هـ/ ٧١٥م وهو يعد قواته مادياً ومعنوياً،[٤] كما عقد سليمان مجلس حربه الذي ضم كبار القادة الأمويين، يستشيرهم لوضع خطة لفتح القسطنطينية، فقال سليمان: (أشيروا عليَّ، فقال له موسى بن نصير فاتح الأندلس: فإن أردت فسر بسيرة المسلمين فيما فتحوه من الشام ومصر إلى افريقية، ومن العراق إلى خراسان، كلما فتحوا مدينة اتخذوها داراً حازوها للإسلام وأهله حتى بلغوا ما رأيت، فابدأ بالدروب فافتح ما فيها من حصون ومطامير[٥] ومسالح حتى تجعله في حوز المسلمين وملكهم حتى تبلغ القسطنطينية وقد هدمت حصونها وأوهنت قوتها، فإنهم سيعطون بأيديهم.فالتفت إلى مسلمة وقال: ما تقول. فقال مسلمة: هذا الرأي إن طال العمر إليه أو كان الذي يلي يثني على رأيك ولا ينقضه ولكني أرى أن تغزي جماعة من المسلمين القسطنطينية في البر والبحر، فإنهم مادام عليهم البلاء أعطوا الجزية أو فتحوها عنوة، ومتى ما يكن ذلك فإن ما دونها من الحصون بيدك، فقال سليمان:هذا هو الرأي.)[٦] فرسمت الخطة الأموية وفق الأسس التالية:

ً١- تسبق القوات البرية الأسطول في الزحف عبر آسيا الصغرى.

- عثمان: الحدود الإسلامية, ج٢ صـ ٨٨

- كرد علي: خطط الشام ج١/ صـ ١٢٣

١- الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٦/ صـ٥٣١

- أبن الأثير: الكامل ج٤ /صـ ٨٦

- علي: مختصر تاريخ العرب صـ ١٢٧

٢- العبادي وسالم : تاريخ البحرية الإسلامية صـ ٣٤

- عنان: مواقف حاسمة صـ ٣٤

٣- ابن العديم: بغية الطلب ج١/صـ ١٧٦

- ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١/ق٢/ صـ ٢١٧

- ابن كثير: البداية والنهاية ج٩/ صـ١٥١

٤- خطاب(محمود شيت): مسلمة بن عبد الملك بن مروان فاتح شطر الأناضول ومحاصر القسطنطينية, دار قتيبة, دمشق ط١ ١٩٨٥م صـ ٣٠

٥- مطامير: ومفردها مطمار؛ وهو الخيط الذي يمد على البناء ويسوى عليه سافه. ولعله كناية عن الأسوار او ما يحيط الثغور او المعسكرات [الفيروزآباذي: القاموس المحيط, ج٢/ صـ ٧٩]

٦- ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق , ج١٠/ ١٧٣

- ابن كثير: المصدر السابق ج٩/ صـ ١٤٤

- خطاب: مسلمة بن عبد الملك صـ ٣٠- ٣١

ً٢- تمهد القوات البرية لخلع الإمبراطور.

ً٣- بعد تنفيذ المهمتين السالفتين تنتظر القوات البرية وصول الأسطول العربي عند البوسفور وتشترك معه في الحصار والهجوم.[١]

ووفقاً للخطة سار مسلمة بن عبد الملك بالقوات البرية بعد أن عقد له أخوه سليمان لواء القيادة العامة سنة ٩٨هـ/٧١٦م بجيش يتفق معظم المؤرخين على أنه كان يتألف من حوالي ثمانين ألف مقاتل تقريباً في البر عدا ما تجمع له تحت أسوار القسطنطينية من متطوعة، وفي البحر حوالي ألف وثمان مائة سفينة كبيرة عدا السفن الصغيرة،[٢] تحمل قوة لا تقل عن القوة التي سارت براً،[٣] في حين يورد آخرون أرقاماً مبالغ فيها, تصل إلى مئة وعشرون ألف مقاتل وألف مركب.[٤] أو مائتي ألف فارس وستة آلاف جمل ومثلها من الحمير واثنا عشر ألف دابة، خمسة آلاف سفينة يرافقهم ثلاثون الفاً من المتطوعة.[٥] في حين يذهب ابن قتيبة الدينوري أبعد من ذلك بكثير فيقول: (إن سليمان بن عبد الملك وجه أخاه مسلمة إلى أرض الروم ووجه معه خمس مئة وثلاثين ألف وخمس مئة رجل.) [٦]

سار مسلمة بالحملة وسلك طريق مرعش من ناحية الشام، فأمضت قرابة العام في آسيا الصغرى قبل أن تحاصر القسطنطينية، كانت خلالها تهاجم المواقع المحصنة التي على طريقها، فبدأ مسلمة عملياته العسكرية بمحاصرة عمورية وتركها بعد أنْ أبدى حاكمها ليو الأيسوري رغبته في الانضمام إلى العرب ومساعدتهم في الفتح، فغادر مسلمة مدينة عمورية صيفاً ليشّتي في كيليكيا في حين سار ليو في طريق آخر تمكن خلاله من الانتصار على جيش لثيودوسيوس عند نيقية في نيقوميديا ليصل القسطنطينية في الربيع، أما مسلمة فقد أكمل طريقه مهاجماً برجام وساردس.[٧] وعند وصول مسلمة بقواته إلى الدردنيل، أبحر أسطول يتألف من ألف وثمان مائة سفينة بقيادة أمير يدعى سليمان من سواحل الشام قاصداً بحر إيجة، يحمل قوة لا تقل عن القوة التي سارت مع مسلمة براً، وتقابل الأسطول والجيش في أبيدوس.

١- بركات: فن الحرب البحرية صـ٦٤

٢- بركات : فن الحرب البحرية صـ ٦٧

- عبد القادر: معارك فاصلة صـ ٢٨٧

- لويس: القوى البحرية صـ ١٠٤

- يوسف(جوزيف نسيم): تاريخ الدولة البيزنطية(٢٨٤- ١٤٥٣), دار المعرفة الجامعية, الإسكندرية ١٩٩٨م صـ ١٢٠

٣- أومان: الإمبراطورية البيزنطية صـ ١٤٥

٤- ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق ج١٠/ ١٧٣

- حسين(علي صافي): مسلمة بن عبد الملك حياته العسكرية والأدبية, الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٤م صـ ٧٠

- عثمان: الحدود الإسلامية, ج٢ صـ ٨٨

- العسلي: فن الحرب ج١/ صـ٢٠٥

- كنعان: تاريخ الدولة الأموية صـ ٣٦٨

٥- ميخائيل: تاريخ ميخائيل الكبير، ج٢/صـ ٣٧٩

- عثمان: الحدود الإسلامية, ج٢ صـ ٩٣

٦- ابن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة, ج٢/صـ ١٠٢

٧- عثمان: المرجع نفسه, ج٢ صـ ٨٩ -٩٠

عبر مسلمة بقواته على متن السفن المرافقة للحملة، من موضع يقال له أبدس أو أبيدوس على بعد أميال من القسطنطينية في مستو من الأرض بين جبلين،[١] وحين دنا مسلمة من القسطنطينية أمر كل فارس أن يحمل معه مدين من الطعام على عجز فرسه،ففعلوا وعندما وصل إلى منطقة التعسكر طلب من رجاله جمع ما جلبوه من طعام، فتجمعت لديه كالجبال، وحذرهم من الاقتراب من هذا الطعام، وأمرهم أن يزرعوا ويغيروا فيأكلوا مما يصابون فبقي الطعام مكدساً لا يقربه أحد. كما بنى لرجاله بيوتاً من الخشب المتوفر بكثرة تحسباً لفصل الشتاء.[٢] كما جاءته العلوفة والأطعمة من الضواحي ومن رساتيق الروم وهكذا كان جيش مسلمة من الناحية الإدارية منظماً تنظيماً جيداً،[٣] قادراً على تأمين الإقامة والمؤنة طوال فصل الشتاء. ولكنه أعقب خطواته الناجحة بخطوة جعلت كل أعماله تبدو بدون قيمة، حين وثق ثقة شبه عمياء بـ ليو الأيسوري، الذي يختلف المؤرخون حول كيفية اتصاله بالمسلمين.

ـ ليو وعلاقته بالحملة:

تروي المصادر والمراجع روايات متعددة و مختلفة حول علاقة ليو بالحملة وطريقة اتصاله بالمسلمين:

فابن قتيبة الدينوري يروي: إن مسلمة ظفر ببطريق كبير(ليو) ليس فوقه إلا ملك الروم، فقال البطريق أمني على نفسي وعيالي ومالي وأنا آتيك بالملك ولما فعل مسلمة ما طلبه ، مضى البطريق وأخبر الملك عن نية مسلمة وما فعله معه، فوعده الملك بتاجه وعرشه إن هو رد مسلمة عن البلاد، فعاد البطريق إلى مسلمة وطلب أن يمهله ثلاثة أيام، وطلب البطريق من الناس أن يحملوا ما استطاعوا من المؤن، واللوذ بالجبال، ثم قام فاحرق ما كان مع مسلمة من مؤن وما كان ينتفع به رجاله من زروع.[٤]

أما الطبري فإنه يروي روايتين في الأولى يقول: وهلك ملك الروم فأتاه إليون- أي أتى إلى سليمان بن عبد الملك- فأخبره وضمن له أن يدفع إليه أرض الروم. فوجه معه مسلمة حتى نزل بها وجمع كل طعام حولها وحصر أهلها وأتاهم إليون فملكوه، فكتب إلى مسلمة يخبره بالذي كان، ويسأله أن يُدخل من الطعام ما يعيش به القوم، ويصدقون بأن أمره وأمر مسلمة واحد، وأنهم في أمان من السباء والخروج من بلادهم وأن يأذن لهم ليلة في حمل الطعام، وقد هيأ إليون السفن والرجال، فأذن له، فما بقى في تلك الحظائر إلا مالا يذكر، حُمل في ليلة، وأصبح إليون محارباً، وقد خدعه خديعة لو كان امرأةً لعيب بها، فلقي الجند ما لم يلقَ جيشٌ، حتى كان الرجل ليخاف أن يخرج من العسكر وحده، وأكلوا الدواب والجلود وأصول الشجر والورق

١- Theophanes: Chronicle of Theophanes p 88

- خطاب: مسلمة بن عبد الملك صـ ٤٨

٢- الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٦/ صـ٥٣٠

- ابن الأثير:الكامل ج ٤/ صـ ٨٦

٣- خطاب: مسلمة بن عبد الملك بن مروان صـ ٤٣- ٤٤

٤ - ابن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة, ج٢/صـ ١٠٢

وكل شيء غير التراب، وسليمان مقيم بدابق ونزل الشتاء فلم يقدر أن يمدّهم حتى هلك سليمان.[١]

وأما في الرواية الثانية فيقول الطبري: (إنَّ (إليون) كما يسميه، شخَّص على مسلمة من أرمينية، يفاوضه على دينار عن كل رأس من سكان العاصمة البيزنطية، ليفك الحصار ويرحل، إلا أن مسلمة رفض، فقالت البطارقة لإليون: إن صرفت عنا مسلمة ملكناك، فلجأ ليو إلى الحيلة، إذ قال لمسلمة: قد علم القوم أنك لا تصدقهم القتال،وأنك تطاولهم ما دام الطعام عندك ولو أحرقت الطعام،أعطوا بأيديهم،فأحرقه، فقوى العدو وضاق المسلمون، حتى كادوا يهلكون.)[٢]

وأما المسعودي فيقول:(فانضم إلى مسلمة ليون بن قسطنطين المرعشي فضمن له أن يناصحه فركن مسلمة إلى ذلك وعبر الخليج وحصر القسطنطينية فوجه أهلها إلى مسلمة يبذلون الفدية فأبى، فمكر به واستأذنه في مكاتبة رؤوساء الروم والتوسط بينهما وسار إليهم، فخلا إلى مسلمة وأخبره أنهم دخلوا في طاعته وسأله التبعد عنهم قليلا وترك حصارهم ليطمئنوا إليه ففعل، فدخل ليون القسطنطينية ونقل أقوات مسلمة الذي عاد إلى الحصار وعظم البلاء على من مع مسلمة لذهاب أقواتهم.)[٣]

في حين يذكر ميخائيل الكبير رواية مختلفة فيقول: (... حدث انقسام وقتال بين الروم، فقاوموا ملكهم ثاودوس(تيودوسيوس الثالث). وفيما كان لاون قائد الجيش مع الملك، إذا به يوقع عهداً مع المسلمين لدى وصولهم إلى مدينة أمورين(عمورية)، بمساعدتهم في فتح المدينة، وبالمقابل تعهد مسلمة للاون أن يقيمه ملكاً على الروم لدى فتحه المدينة... ولما علم ثاودوس بالاتفاق، أمر باحتجاز عائلة لاون، فطلب لاون إلى سليمان[٤]أن يزوده بستة الاف جندي وحصر أمورين فخاف أهلها، فسلموه عائلته, فسرح الجنود المسلمين بعد أن دفع لكل منهم اثنا عشر ديناراً, واتجه مع جماعة من الروم إلى القسطنطينية، فلاقاه جيش الروم وأحبوه وأقاموه ملكاً عليهم, فسر مسلمة بتسلم لاون مقاليد الحكم اعتقاداً منه بأنه سيسلم إليه المدينة, لكن لاون خيب ظنه وأخذ يحصن المدينة ويخزن المؤن, وإذ علم مسلمة أن لاون خدعه, قاد جيشه وسفنه واجتاز إلى الجهة الأخرى.)[٥]

ويروي ابن الأثير روايتي الطبري ذاتهما وبالتفاصيل نفسها تقريباً فيما عدا خلاف واحد، حيث يذكر أن ليو جاء إلى سليمان قادماً من أذربيجان وليس من أرمينية، جاءه يضمن له فتح بلاد الروم بعد موت إمبراطورها.[٦] وكذلك ابن خلدون فإنه يروي الرواية الثانية بالتفاصيل ذاتها، دون تحديد المكان الذي جاء منه ليو بعد أن يسميه

---

١ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٦/ صـ ٥٣١

٢ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٦/ صـ٥٣١

- خماش: الخلافة الأموية في الميزان صـ ١٠٨

٣ - المسعودي: التنبيه والإشراف صـ ٨٦

٤ - سليمان هو احد قواد مسلمة.

٥ - ميخائيل: تاريخ ميخائيل الكبير، ج٢/صـ ٣٧٩- ٣٨٠

٦ - أبن الأثير: الكامل ج٤ /صـ ٨٦

(القون)بدل إليون.[1] وأما ابن العبري فيقول: (إنَّ مسلمة عبر الخليج وحاصر المدينة فلما برح بأهلها الحصار أرسلوا إلى مسلمة يعطونه عن كل رأس ديناراً، فأبى أنْ يفتتحها إلا عنوةً. فقال الروم للاون البطريق: إنْ صرفت عنا المسلمين ملكناك علينا. فاستوثق منهم وأتى مسلمة وطلب الأمان لنفسه وذويه ووعده أنْ يفتح له المدينة غير أنه ما يتهيأ ذلك ما لم يتنحَّ عنهم ليطمئنوا ثم يكرّ عليهم، فارتحل مسلمة وتنحى إلى بعض الرساتيق. ودخل لاون فلبس التاج وقعد على سرير الملك، واعتزل الملك ثاوذوسيوس(كما يسميه) ولبس الصوف معتكفاً في بعض الكنائس.) ثم يكمل متحدثاً عن خدعة ليو كما أوردها الطبري في روايته الأولى وعن أوضاع جند المسلمين يقول: (ولقي جنده ما لم يلقه جيشاً آخر حتى كان الرجل يخاف أنْ يخرج من العسكر وحده من البلغار الذين استجاشهم لاون ومن الإفرنج الذين في السفن ومن الروم الذين يحاربونهم من الداخل.)[2]

والروايات حول علاقة ليو بالحملة كثيرة بحيث يضيق المكان لذكرها كلها. ومن خلال مقاطعة الروايات المختلفة يمكن القول: إن ليو الأيسوري أو المرعشي قائد ثغر الأناضول كان رجلاً حاد الذكاء, كما كان خبيراً بالأمور العسكرية، وفي أثناء حصار العرب له في عمورية، تأكد من أمرين مهمين:

الأول- إنه لا أمل له في مقاومة الحصار العربي.

الثاني- إن القسطنطينية ساقطة لا محالة، بعد الذي رآه من قوة العرب، إضافةً إلى ما يعرفه عن ضعف البيزنطيين واضطراب أمرهم.

وبعد دراسة المسألة ملياً وجد أن الفرصة السانحة له قد لا تتكرر لتحقيق حلمه في الوصول إلى عرش القسطنطينية، لذلك قرر الاستعانة بالعرب، لأنهم يسعون لتحقيق ذات الهدف، ولكن بفارق بسيط؛ فليو يسعى إلى القسطنطينية ليتربع على عرشها والعرب يسعون إلى القسطنطينية لتحطيم عرشها الذي طالما أراد الدمار لهم، فأتصل بالعرب وأقنعهم بأنه المفتاح الذي يمكن أن يفتح لهم أبواب القسطنطينية الموصدة، ونفَّذ ليو الخطة التي رسمها لنفسه بدقة، فاحتال على المسلمين ودخل القسطنطينية بمفرده معلنا تمرده على الإمبراطور تيودوسيوس الثالث، الذي كان كارهاً أساسا للعرش بعد ما تتالت عليه الأزمات والكوارث من كل جانب، لذلك دعا بطريق القسطنطينية وكبار رجالاتها وأبدى رغبته في التنازل عن العرش. فوافق المجلس على ذلك، وقدم التاج إلى ليو الذي قبله في أوائل سنة ٩٨هـ/٧١٧م ليؤسس أسرة إمبراطورية جديدة في تاريخ الأسر البيزنطية الحاكمة، وهي الأسرة الايسورية، وليكن هو أول أباطرتها فحمل لقب ليو الثالث الأيسوري.[3]

حقق ليو ما كان يوماً حلمه الكبير، وتربع على عرش القسطنطينية. إلا أنَّ طموحه لم تنته عند هذا الحد، بل صار يطمح ليكون أفضل أباطرتها وأقواهم . لذلك باشر على الفور في تنظيم الدفاع عن المدينة، فقام بشحن أسوار المدينة بالرجال الذين

---

١ - أبن خلدون: تاريخ أبن خلدون ج٣/ صـ ٧١

٢ - ابن العبري: مختصر تاريخ الدول صـ ١١٤

٣ - يوسف: تاريخ الدولة البيزنطية صـ ١١٩

استماتوا في منع المسلمين من النفاذ إلى المدينة عبر الأسوار،[١] فضلا عن إرسال سفن النار الإغريقية بين الحين والآخر لتنال من السفن الأموية وتنزل بها الضرر.[٢]

- الحصار:

وبالعودة إلى سير الحملة، فإن خطة المسلمين كانت تقوم على أساس خلق تعاون بين القوات البرية والبحرية من جهة وبين القوات البحرية نفسها المكونة من أساطيل مصر والشام وشمال أفريقيا من جهة أخرى،[٣] فأمر مسلمة جنوده هناك بحفر خندق من البحر وحتى القرن الذهبي، لقطع كل اتصال بين المدينة وتراقية، وفي أغسطس آب ٩٩هـ٧١٧/م بدأت سفن الأسطول الإسلامي، تمخر عباب بحر مرمره،[٤] وشرع سليمان قائد الأسطول الأموي بتنفيذ خطة الحصار القائمة على قطع المواصلات البحرية بين القسطنطينية والبحر الأسود شمالاً وبينها وبين بحر مرمره وبحر ايجة جنوبا واستطاع سليمان أنْ ينفّذ الشطر الثاني من خطته في قفل الباب الجنوبي' لكنه لم يفلح في تنفيذ الشطر الثاني بسبب الرياح العاتية والتيارات المائية،[٥] كما قام بوضع مراكز مراقبة برية قوية على الساحل مزودة بالمنجنيقات، إضافة إلى السفن التي عملت على سد المنافذ البحرية، لكنها لم تكن كافية فكانت أول الثغرات في الحصار.[٦] رغم ذلك بدت كفة العرب راجحة وكل أسباب النصر متوفرة، فآلاف الجنود والسفن وآلات الحرب الثقيلة تتأهب للانقضاض على المدينة المحاصرة، وبدت القسطنطينية في طريقها إلى الانهيار، فسارع سكانها إلى التفاوض مع العرب، وأرسلوا شخصاً تسميه المصادر العربية ابن الأربعين؛ عرض على العرب بعد طول تفاوض ديناراً عن كل رجل بلغ القسطنطينية، مقابل رفع الحصار.فرفض مسلمة بعناد رغم مشورة أصحابه بالموافقة.[٧]

حاول مسلمة في بداية حصاره للمدينة أن يقتحمها بالقوة، فاستنفر كل قواته المدججة بمختلف صنوف الأسلحة والتي كان بعضها جديداً على هذه الجبهة مثل آلات النفط وبعض المجانيق الضخمة الشبيه بالمدافع،[٨] لكنه سرعان ما اصطدم بمناعة أسوارها وغناها بآلات الدفاع و خاصة قاذفات النار الإغريقية، فاضطر مسلمة إلى تغيير سياسته من الاقتحام إلى الحصار الصارم الطويل؛ فشدد الحصار على المدينة، وقطع جميع علائقها مع البر، وحفر حول معسكره خندقا عميقا،وأقام حوله سداً

---

١ - يذكر الشيخ في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية بأن ليو أغلق مدخل البوسفور والصحيح هو مدخل خليج القرن الذهبي.

٢ - الشيخ:تاريخ الإمبراطورية البيزنطية صـ ١١٤

٣ - بركات: الإستراتيجية البحرية صـ ٩٣

٤ - أومان: الإمبراطورية البيزنطية صـ١٤٥- ١٤٦

- أحمد: تاريخ فن القتال صـ ١٧

- يوسف: تاريخ الدولة البيزنطية صـ ١٢١

٥ - العدوي:الإمبراطورية البيزنطية صـ ٦٠

- ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية صـ ١٠٤

٦ - خطاب: مسلمة بن عبد الملك صـ ٥١- ٥٢

٧ - فرج و يوسف: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية صـ ١٥٨

٨ - حتي: تاريخ العرب صـ ٢٦٣

منيعاً، واتبع خطة لتجويع المدينة،فأطلق سراياً من جنده لإتلاف المزارع والمروج القريبة واقتناص جميع الأقوات التي يمكن أن تتسرب إلى المدينة المحاصرة.[١] وهكذا بدا الجيش الأموي مسيطراً على الموقف، ممتلكاً من أسباب القوة ما يجعل النصر بادياً في الأفق القريب، لكن الأوضاع انقلبت- وفي غمضة عين- رأساً على عقب، حتى أصبح الجيش الذي كان مسيطراً قبل قليل في حالة يرثى لها. فبعد أنْ سارت السفن الإسلامية ببهاء لتنفيذ الخطة واحتلال المدخل الشمالي للبوسفور، غيرت الرياح اتجاهها فجأة، وهبت عاصفة عاتية، حطمت عدداً من السفن الإسلامية وسببت خللاً في مسيرته،[٢] كما أن السلسلة المعدنية الضخمة والطويلة والتي ربطت إلى طرفي القرن الذهبي حالت دون دخول السفن العربية إلى مياه الخليج وأبقت السفن البيزنطية في منأً عن ضربات المسلمين.[٣] فاستغل البيزنطيون العاصفة وما نتج عنها من خلل وفوضى في صفوف الأسطول الإسلامي، فخرجت سفنهم من القرن الذهبي بعدما رفعت السلسلة المعدنية التي كانت تغلقه، وشرعت تقذف الأسطول الإسلامي بوابل من النار الإغريقية، فأنزلت بها ما يشبه الكارثة، إذ أن الخطط البحرية الإسلامية كانت تعتمد على الاشتباك القريب وتحويل المعركة البحرية إلى معركة شبه برية باستخدام السلاح الأبيض، الذي أشتهر به العرب، إلا أن هذه الخطة لم تجد لها مكاناً مع التكتيك البيزنطي القائم على قذف لهب النار الإغريقية على السفن الإسلامية دون الالتحام معها، أو قذفها بكرات القماش الملتهبة من مجانيق كبرى متمركزة على أسوار المدينة،[٤] فنجح البيزنطيون في فتح ثغرات كثيرة في الصفوف الإسلامية، تدفقت منها المواد التموينية إلى المدينة المحاصرة،[٥] فرفعت هذه العملية من معنويات البزنطيين المنهارة، وأضرت بالمسلمين أشد الضرر وكبدتهم الخسائر الفادحة فزعزعت معنوياتهم وثقتهم بالنصر القريب وهكذا انعكس الموقف لصالح البيزنطيين بقيادة ليو، الذي أعاد تنظيم قواته وادّخر لهم ما يكفيهم من مواد تموينية مستفيداً من أسوار قوية ودفاعات منيعة تحيطهم من كل جانب، ومن سفن توافرت لها النار اليونانية المؤثرة في مرفأ محمي أشد الحماية، أما بالنسبة للمسلمين فكانت الإمدادات تصلهم بشكل متقطر ودون انتظام ولا بالقدر الذي يسد حاجتهم.[٦] ورغم ذلك استمر مسلمة في حصار المدينة. وبعد الكارثة الأولى التي حلت بالأسطول الأموي، جاءت الكارثة الثانية لتحل على كل الجيش هذه المرة

---

١ - بركات : فن الحرب البحرية صـ ٦٥

- عنان: مواقف حاسمة صـ ٣٥-٣٦

٢ - الخربوطلي(علي حسني): البحر المتوسط بحيرة عربية, دار المعارف, القاهرة ١٩٦٣م صـ ٣٢

- محمد(بدر عبد الرحمن): سياسة الأمويين والعباسيين تجاه الدولة البيزنطية في القرنين الأول والثاني الهجري(السابع والثامن الميلادي), مكتبة الانجلو المصرية, القاهرة ط١ ١٩٨٦م,صـ١١

٣ - حتي: المرجع نفسه صـ٢٦٤

- لويس:القوى البحرية صـ ١٠٤

٤ - جلوب:إمبراطورية العرب صـ٣٢١

- الخربوطلي:البحر المتوسط صـ ٣٢

٥ - خطاب: مسلمة بن عبد الملك صـ ٦٦

- الوكيل :الأمويون صـ ١٦٠

٦ - خطاب: مسلمة بن عبد الملك صـ ٦٦- ٦٧

وكانت على يد أكثر جنرالات الجيش البيزنطي قسوة وهو الجنرال شتاء (كما يسميه جلوب)الذي جاء قاسياً، بحيث يمكن القول: إنَّه لم يأت على تلك المنطقة شتاء بهذه القسوة منذ سنوات عديدة، إذ غطت الثلوج لثلاثة أشهر متواصلة معسكر العرب، الذين لم يعهدوا مناخاً كهذا،[١] ورغم أنَّ مسلمة احتاط لبرد المنطقة القارس؛ فبنى لرجاله بيوتاً من خشب فور وصوله إلى منطقة التعسكر، إلا أنَّ برد ذلك العام كان استثنائياً، حتى أن ليو كان يفتخر بأن: (ديسمبر ويناير وفبراير كانوا أعظم قوادة.)[٢] فمات آلاف المسلمين كما شلت الرياح العاتية والتيارات البحرية الجارفة سفنهم عن العمل ونفذت المؤن ولم يبق إلا القليل.[٣] وبدأت خدعة ليو تؤتي ثمارها، فنقص المؤن ظهر سريعاً لتتحول إلى قلة ثم إلى كارثة حقيقية عندما فقد الطعام نهائياً في معسكر المسلمين[٤] فاحتمل العرب شتاءً لم يعرفوا أقسى منه، وجوعاً لم يسمعوا بمثله، ومع هذا المناخ الصعب كان من المتعذر بل من المستحيل وصول أي مدد للقوات الأموية المُحاصِرة والتي باتت مُحَاصَرَة بالجوع والبرد والمرض بينما يعيش سكان المدينة بسلام وأمان. وبقي الأمويون ينتظرون الربيع بفارغ الصبر، بعدما قضى الكثير منهم جوعاً أو برداً أو مرضاً،[٥] فدبت الفوضى في صفوفهم، كما دب الخلل في صفوف الأسطول بعد موت قائده الأمير سليمان.[٦]

أما في الجانب البيزنطي فلم يوفر ليو جهداً في سبيل إبعاد شبح الخطر الإسلامي عن مدينته فلم يكتفِ بالضربات المتتالية التي تعرض لها الجيش الأموي بل عمل على تدمير هذا الجيش بكل السبل المتاحة، فاتصل بـ ملك البرجان (البلغار) واستطاع إقناعه بالتحالف معه ضد المسلمين[٧] بعد أن أثار مخاوفه وشكوكه في نوايا المسلمين حيث كتب إليه قائلاً: (ليس لهم- أي المسلمين- همة إلا في الدعوة إلى دينهم، الأقرب منهم فالأقرب، وأنهم متى فرغوا مني خلصوا إليك، فمهما كنت صانعاً حينئذ فاصنعه الآن.) فعند ذلك شرع في المكر والخديعة، فكتب إلى مسلمة يقول له: (إن إليون كتب إلي يستنصرني عليك، وأنا معك فمرني بما شئت.) فكتب إليه مسلمة: (إني لا أريد منك رجالاً ولا عُددا، ولكن أرسل إلينا بالميرة فقد قل ما عندنا من الأزواد.) فكتب إليه: (إني قد أرسلت إليك بسوق عظيمة إلى مكان كذا وكذا، فأرسل من يتسلمها

---

١ - Theophanes: Chronicle of Theophanes p 88
- بينز: الإمبراطورية البيزنطية صـ ٥٩
- جلوب : إمبراطورية العرب صـ٣٢٣
- خماش: الشام في صدر الإسلام صـ ٣٧٧
٢ - أومان: الإمبراطورية البيزنطية صـ ١٤٦
- الجنزوري: الثغور صـ ٣١
٣ - Theophanes: Chronicle of Theophanes p 89
- خطاب: مسلمة بن عبد الملك صـ ٦٨
٤ - الطبري: تاريخ الرسل ج ٦/ صـ ٥٣١.
- ابن العبري: تاريخ مختصر الدول صـ ١١٤
- دحلان: الفتوحات الإسلامية ج١ /صـ ١٣٦
٥ - بستاني: معارك العرب صـ ٥١
٦ - عنان: مواقف حاسمة صـ ٣٧
٧ - خطاب: مسلمة بن عبد الملك صـ ٧٢
- عاشور: أوربا في العصور الوسطى ج٢/ صـ ١٤٨

ويشتري منها.) فأذن مسلمة لمن شاء من الجيش أن يذهب إلى هناك فيشتري له ما يحتاج إليه، فذهب خلق كثير فوجدوا هنالك سوقا هائلة، فيها من أنواع البضائع والأمتعة والأطعمة، فأقبلوا يشترون، واشتغلوا بذلك، ولا يشعرون بما أرصد لهم من الكمائن بين تلك الجبال التي هناك، فخرجوا عليهم بغتة واحدة فقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين وأسروا آخرين، وما رجع إلى مسلمة إلا القليل منهم.[١] وإذا صحت هذه الرواية، فان مسلمة يقع في الخطأ مجدداً، فمسلمة في هذه الرواية خالف أبسط قواعد القيادة العسكرية، فهو أولاً لم يتعظ من خطئه السابق حين وثق بـ ليو الأيسوري ليقع في الخطأ ذاته مجدداً ويثق بملك البلغار الذي لا يعرف عنه سوى اسمه، ويرسل جنوده إلى مكان يجهله دون أي عزل لتلك الأرض ودون طلائع تستكشف الخبر ودون أي إجراء من إجراءات الحيطة والحذر المعتادة، فأرسل جنوده إلى الموت المحتم. وكان الأجدى به أن يطلب من ملك البلغار إن كان صادقاً أن يرسل السوق إلى معسكره فيتأكد من صدق نواياه ويتبضع رجاله تحت نظره بدلا من إرسالهم إلى أرض المجهول.

لكن الملاحظ أنَّ هذه الرواية تفتقد إلى المنطق بعض الشيء، ولا تجد ما يؤيدها عند الطبري أو ابن خلدون أو ابن الأثير الذين يذكرون أنَّ ملك البرجان أغار على مسلمة وهو في قلة، فكتب إلى سليمان يستمده، فأمده، فمكرت بهم الصقالبة(السلاف)، ثم هزمهم الله بعد أن قتلوا شراحيل بن عبد بن عبدة.[٢]

ولا يذكر ابن خياط ولا ابن منظور ولا الذهبي شيئاً من هذه الواقعة وإنما يقولون: (إن خيل برجان أغارت على مسلمة فهزمهم الله وخرب مسلمة ما بين الخليج والقسطنطينية)[٣] ويكمل ابن كثير الواقعة فيقول: (كتب مسلمة إلى سليمان عن قصته مع ملك البلغار، فأرسل سليمان جيشاً كثيفاً بقيادة شراحيل بن عبيدة، فذهبوا حسب ما أمرهم سليمان إلى بلاد البرجان أولاً واقتتلوا قتالاً شديداً، فهزمهم المسلمون بإذن الله، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وسبوا وأسروا خلقاً كثيراً وخلصوا أسرى المسلمين، ثم التحقوا بجيش مسلمة وأصبحوا تحت إمرته.[٤] والحقيقة إن هذه الرواية أيضاً تفتقد إلى المنطقية بعض الشيء، فإذا سُلِّم بصدق كل ما ذُكر فيها، فإنه كان من الأجدى أن يرسل سليمان أولاً المؤن والأقوات للجيش الذي أنهكه الجوع والمرض، وإذا أرسل إمدادات عسكرية فالأجدى أن تلتحق بالجيش قبل مهاجمة البلغار لتشد من أزره وتتوجه حسب أوامر قائده الذي يقف على حقيقة الموقف. ومهما يكن فقد جاء الربيع ووصلت النجدات العربية تباعاً، فقد جاء أسطول بحري من مصر بقيادة الأمير سفيان، وآخر من إفريقية بقيادة الأمير يزيد، كما أرسل سليمان عمرو بن قيس على

---

١ - ابن كثير: البداية والنهاية ج٩/صـ ١٥١

٢ - الطبري:تاريخ الرسل والملوك ج٦/٥٣٢

- ابن الأثير: الكامل ج٤/ ٨٧

- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ج٣/ صـ ٧١- ٧٢

٣ - ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط ق١/ صـ ٤٢٤

- ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق ج٢٤/ صـ ٢٦٥

- الذهبي:تاريخ الإسلام , حوادث ووفيات (٨١- ١٠٠هـ), صـ ٢٦٩

٤ - ابن كثير: البداية والنهاية ج٩/ صـ ١٥١

رأس قوة برية، ولكن هذه الإمدادات لم تسلم هي الأخرى، فالجيش البري وقع فريسة لكمين نظمه قوات المشاة البيزنطية على طريقة المردة(حرب العصابات)، حيث انقضّوا من مخابئهم فجأة على جند المسلمين وألحقوا بهم هزيمة كبيرة.[١] وكذلك وصلت نجدات برية بقيادة رجل يدعى مرداس كُلفت بمهمة مهاجمة شواطئ البوسفور البحرية لتحول دون خروج سفن العدو طلباً للمدد.[٢] وفي الصيف وصل مدد بقيادة داوود بن سليمان وظل حتى نهاية الحصار، في خبر لا تؤكده المصادر، كما أرسل الوليد بن هشام المعيطي على رأس جيش لم يتمكن هو الآخر من الوصول إلى القسطنطينية، لتعّرضه لغارات الجماعات البيزنطية الصغيرة،[٣] التي كانت تنقض من مخابئها على جموع المسلمين على حين غرة.

ومرة أخرى نتيجة لخطأ مسلمة الذي اخترق أسيا الصغرى، تاركاً الأعداء خلفه، ليشكلوا الكمائن والجيوب التي ترصد تحركات الجيش الأموي، ولتنقض عليه كلما سنحت الفرصة.

ولم تكن الإمدادات البحرية بحال أفضل من البرية، كما ان السفن الإسلامية التي وصلت من مصر وأفريقية لدعم الأسطول المنهك، كانت تضم العديد من البحارة الأقباط، الذين لم يكتمل ولاؤهم للدولة الأموية التي كانوا يعيشون تحت لوائها، والتي لم تفرق بينهم وبين المسلمين واستخدمتهم دون أي تحفظ أو أي شك في إخلاصهم ، فتملكت الخيانة عقولهم وأفئدتهم واتفقوا فيما بينهم وارتموا في أحضان العدو، بائعين أسرار دولتهم بأبخس الأثمان، وأفضوا إلى الإمبراطور بكل ما يعرفوه عن الأسطول الإسلامي والصعاب التي يعاني منها، ونقاط الضعف التي فيه.

فكانت أخبارهم من الأهمية بحيث دفعت ليو إلى التحرك سريعاً، فدفع بقسم من سفنه المزودة بقاذفات اللهب، لتنقض على سفن المسلمين، فدمرت قسما كبيراً منها، وأسرت قسماً آخر، كما جنح كثير منها إلى الشاطئ.[٤] وكانت خيانة هؤلاء البحارة على شكل تمرد مهد لهجوم البيزنطيين وليس مجرد خيانة وتسريب للمعلومات.[٥] فسارت حالة الجيش من سيء إلى أسوأ، في حين كان سكان العاصمة يتنفسون الصعداء. وبقي مسلمة على عناده مستمراً في الحصار، رغم ما حلّ بأسطوله من هزيمة، وجيشه من تعب وهلاك.[٦]

وفي تلك الأوقات العصيبة من مسيرة الحملة توفي سليمان بن عبد الملك الذي بقي منهمكاً بجمع الرجال والنجدات والمؤن حتى آخر لحظة من حياته.[٧] فانتقلت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز، الذي غير السياسة العامة للدولة وخاصة في المجال

---

١ - فرج ويوسف: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية صـ ١٦٢

٢ - بركات: الإستراتيجية البحرية صـ ٩٦

٣ - عثمان: الحدود الإسلامية, ج٢ صـ ٩٢

٤ - Theophanes: Chronicle of Theophanes p 89

- فرج ويوسف : المرجع نفسه صـ ١٥٩- ١٦٥

- عنان مواقف حاسمة صـ ٣٧

٥ - عثمان: الحدود الإسلامية, ج٢ صـ ٩١

٦ - عنان: المرجع نفسه صـ ٣٧

٧ - جلوب : إمبراطورية العرب صـ ٣٢٨

العسكري، إذ قامت سياسته على صرف جهود المسلمين في إصلاح أحوال البلاد وازدهارها بدلاً عن الحروب وسفك الدماء،[١] وما إن تولى عمر الخلافة حتى أصدر أوامره إلى مسلمة بالقفول بمن معه وأرسل إليه المؤن والحياد.[٢] والغريب أن مسلمة ورغم كل ما حلَّ بجيشه من أهوال ومصائب، كان لايزال مصرّاً على مواصلة الحصار، حتى طلب من رسول الخليفة، التأني في تنفيذ الانسحاب بضعة أيام، لأنه أشرف على الفتح- كما كان يُخيل إليه- لكن الرسول أبى، فاضطر مسلمة إلى تنفيذ الأوامر والانسحاب في ٢٨ ذي الحجة ٩٩هـ/ ١٥ أب أغسطس ٧١٨م.[٣] ويبدو أنَّ علي صافي حسين كان متأكداً من إشراف مسلمة على الفتح، فيُحمل عمر بن عبد العزيز مسؤولية التراجع عن فتح القسطنطينية الوشيك، وكأن المؤلف لم يطلع على ما نقله الرواة عن الحالة المزرية التي كانت تعيشها الحملة، لا بل يذهب أبعد من ذلك فيشبه مسلمة بموسى بن نصير حين طلبه الوليد بن عبد الملك إلى دمشق وهو في أوج فتوحاته في الأندلس، فيقول: (وكاد يفتحها [أي القسطنطينية] لولا أن أرسل إليه الخليفة عمر بن عبد العزيز يأمره بالرجوع إلى الشام.) ثم يضيف: (ولكن عمر بن عبد العزيز قد حال بين مسلمة وبين ما كان يريد مثلما حال من قبل الخليفة الوليد بين موسى بن نصير وبين ما كان يريد.)[٤] في حين يُحّمل سيد أمير علي، سليمان بن عبد الملك مسؤولية أخفاق الحملة فيقول:(ليس هناك ما يثبت عدم جدارة سليمان بملء المنصب الذي كان يشغله أخوه الوليد أكثر من عدم مؤازرته مسلمة المؤازرة الكافية بينما كان هو وجيشه تحت أسوار القسطنطينية، فلو أنه أمده بالنجدات الكافية لما كان هناك أدنى شك في سقوط القسطنطينية.) [٥]

وشرع الأسطول بنقل الجيش المنهار إلى آسيا، فرجع مسلمة بثلاثين ألف رجل فقط من أصل أكثر من مئة ألف ساروا معه أو أرسلوا له مدداً أما الأسطول فقد تعرض لعاصفة في بحر إيجة أدت إلى تحطمه بشكل مخيف ويقال: إن خمس سفن فقط عادت سالمة إلى سورية.[٦] ويقول علي صافي حسين في رواية يصعب تقبلها: (وقد بقي مسلمة يحاصر القسطنطينية حتى جاءه أمر عمر بن عبد العزيز، وقد عَّز على مسلمة أن يقفل راجعاً دون أن يتم له فتح القسطنطينية، فأرسل إلى الروم يطلب إليهم أن يبنوا له بالقسطنطينية مسجداً، ففعلوا، ولعل مسلمة كان يقصد بذلك أن يترك

---

١ - بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية, صـ ١٤٩

- الخربوطلي: البحر المتوسط بحيرة عربية صـ ٣٤

- خماش:الخلافة الأموية في الميزان صـ ١٠٩

٢- مجهول:العيون والحدائق صـ ٣

- ميخائيل: تاريخ ميخائيل الكبير، ج٢/صـ ٣٨٠

- الذهبي:تاريخ الإسلام , حوادث ووفيات (٨١- ١٠٠هـ), صـ ٢٧٣

- ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية صـ ١٠٤- ١٠٥

- علي: مختصر تاريخ العرب صـ ١٣٠

٣ - فرج ويوسف: العلاقات صـ ١٦٨

٤ - حسين: مسلمة بن عبد الملك صـ ٧٠

٥ - علي: مختصر تاريخ العرب صـ ١٢٨

٦ - أومان: الإمبراطورية البيزنطية صـ ١٤٧

في القسطنطينية أثراً عربياً إسلاميا يكون له هو نفسه وللعرب بعده حافزا يدفعهم دائماً نحو القسطنطينية حتى يتم لهم فتحها عاجلاً أو آجلاً.)[1] وأياً كانت غاية مسلمة يبقى السؤال لما ينفذ البيزنطيون طلبه؟ وهو العدو المندحر.

يروي ابن أعثم الكوفي عن غزو مسلمة للقسطنطينية رواية تختلف عن كل ما رواه غيره من المؤرخين، حيث يذكر أنَّ الحملة التي قادها مسلمة بن عبد الملك باتجاه القسطنطينية هي الحملة نفسها التي أرسلها عبد الملك بن مروان سنة ٨٦هـ/٧٠٥م لقتال الروم، فقاتلت الروم وانتصرت عليهم من حصن إلى آخر ومن مدينة إلى أخرى حتى شارفت على خليج القسطنطينية وهناك قام بصنع السفن بمساعدة بعض الروم الذين كانوا في خدمته، وحمل جنده بأسلحتهم وآلاتهم ودوابهم، فاعترضتهم مراكب الروم التي احترقت أغلبها بنيران نضاحاتهم التي رجعت إليهم وتغلب المسلمون على ما تبقى منها، فعبر المسلمون الخليج ونزلوا بالقرب من عاصمة الروم، وقاموا ببناء مدينة حصينة حذاء القسطنطينية رغم هجمات البيزنطيين وسموها مدينة القهر، وحين فرغوا من بناء مدينتهم، هاجموا البيزنطيين وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وبعدها أمر مسلمة أصحابه فغرسوا وزرعوا، وحربهم مع الروم قائمة، فلا يوم يمر دون قتال،[2] حتى كان القتال في أحد الأيام فكثر فيه قتلى الروم وانكسروا فطارد المسلمون فلولهم حتى دخلوا القسطنطينية، وفي اليوم التالي، جاء كتاب إلى مسلمة من إليون جاء فيه: (أما بعد: أيها الأمير، فقد طال هذا الأمر بيننا جداً، ولا أظن أن أمرنا يكون هذا، والآن فإني قد عزمت على مصالحتك، على أنك ترحل عن هذه الجزيرة، وترجع إلى المسيحية(يعني مدينة المسيحية) وتقيم بها، ونؤدي إليك في كل سنة: ألف ألف درهم، وألف أوقية من ذهب، وخمسة آلاف رأس من البقر والغنم، وألف رمكة[3] بفحولها، سوى ما يتبع ذلك من أنواع البزيون[4] والديباج والسقلاطون،[5] وأشباه ذلك وتسالمني وأسالمك، إلى أن ترى رأيك في ذلك والسلام.)[6]

فكتب إليه مسلمة: (.... غير أني آليت يميناً لا كفارة لها، أني لا أرحل عن هذه الجزيرة أبداً دون أن أدخل مدينتك هذه، فإن دخلتها نظرت بعد ذلك فيما ذكرت، وإن أنا لم أدخلها صبرت عليك أبداً حتى يفتح الله على يدي، فإن وصلت إلى ذلك فذاك الذي أريد، و إنْ تكن الأخرى، و إنْ قتلت أو مت شهيداً مجاهداً، كان المصير إلى ثواب الله عز وجل الذي وعده عباده المجاهدين في سبيله، والسلام.)[7]

ويكمل ابن أعثم روايته ذاكراً أن مسلمة عبّأ رجاله واتجه إلى باب القسطنطينية فخرج إليه إليون مع أصحابه، عارضاً عليه الأمان ليبر بقسمه ويدخل المدينة لوحده،

---

١ - حسين: مسلمة بن عبد الملك صـ ٥٥

٢ - ابن أعثم: الفتوح ج٣/ صـ ٨٥- ٨٦

٣ - الرمكة: الفرس والبرذونة تتخذ للنسل.

٤ - البزيون: السندس

٥ - السقلاطون: ثياب رومية منسوبة ومشهورة بجودتها. [ابن أعثم: الفتوح ج٣/ صـ ١٧٤]

٦ - ابن أعثم: الفتوح ج٣/ صـ ١٧٤

٧ - ابن أعثم: المصدر نفسه ج٣/ صـ ١٧٤- ١٧٥

فقبل مسلمة شرط أن لا تغلق الأبواب، وأنْ يقف البطال على الباب، في جميع أصحابه، فرضي إليون بذلك، ودخل مسلمة المدينة بعد أن أوصى أصحابه باقتحام المدينة إن هم صلوا العصر ولم يخرج وأناب عنه عمه محمد بن مروان، ثم دخل المدينة وسار حتى باب قصر إليون، وكان قاعداً على باب قصره، فقام إلى مسلمة فقّبل يده.[1]

ويسهب ابن أعثم في سرد تفاصيل دخول مسلمة القسطنطينية وتصغيره للروم وعودته سالماً غانماً، وغيرها من التفاصيل التي تدعو إلى الاستغراب والتساؤل، لما يوقع هذا المؤرخ نفسه في المغالطات ليخالف كبار المؤرخين الذين اتفقوا على أنَّ حصار القسطنطينية كان في أيام سليمان وليس ابتداء من عهد عبد الملك، وسار مسلمة مباشرة باتجاه المدينة ولم يفتح ما دونها من مدن وحصون، بناء على الخطة التي وضعها بنفسه، ثم إنَّه لم يبني أيّة مدينة هناك، اللهم، إذا كان يقصد بمدينة القهر البيوت الخشبية التي بناها مسلمة لرجاله لتقيهم برد الشتاء. وتجمع المصادر على أنَّ مسلمة لم يدخل المدينة البتة، بل إنَّه انسحب شبه مدحور بعد الكوارث المتعاقبة التي حلت بجيشه براً وبحراً، كما يذكر بان الذي أمر بالعودة هو سليمان وليس عمر بن عبد العزيز.

والسؤال الذي يفرض نفسه بإلحاح؛ هل استقى ابن أعثم معلوماته من مصادر مغلوطة. أم أنه تعمد فعل هذا، لتغطية إخفاق المسلمين في تحقيق هدفهم، فيحول الإخفاق إلى نصر مؤزر، في رواية منافية للمنطق بغض النظر عن مخالفتها للحقائق التاريخية. أم ماذا؟.

---

١ - ابن أعثم: المصدر نفسه ج٣/ صـ ١٧٥- ١٧٩

- أسباب إخفاق الحصار الأموي الثالث للقسطنطينية :

لدى البحث في الأسباب التي أدت إلى إخفاق الأمويين في محاولتهم الثالثة لفتح القسطنطينية يمكن العثور على مجموعة من الأسباب ذكر بعضها في سياق الموضوع، مثل: خسارة العرب لمؤنتهم نتيجة خداع ليو لمسلمة، الشتاء القارس، الأحوال الجوية السيئة والمتقلبة، خيانة البحارة الأقباط، وغيرها، ويمكن إضافة بعضها الآخر كانت هي الأسباب ذاتها التي أدت إلى إخفاق العرب في محاولتيهما السالفتين، وما يؤسف له إن العرب لم يحتاطوا لأي من تلك الأسباب، فأسهمت في إخفاقهم بشكل مباشر، ومنها:

١- موقع المدينة الحصين وأسوارها المتينة، كما ذكر سالفاً فالمدينة تتمتع بموقع فريد وعلى ما يبدو أنَّ العرب لم يأخذوا خصوصية الموقع بالحسبان بدليل أنَّ أول ما قام به مسلمة كان الهجوم المباشر محاولاً اختراق تلك الأسوار الهائلة التي منعته وردته مع قواته إلى الخلف، ليقوم بإعادة حساباته وتغيير خطته من الهجوم المباشر إلى الحصار الصارم.

٢- عدم إحكام الحصار وخاصة من الجهات البحرية، ووجود عدة ثغرات استطاعت المدينة التموين عن طريقها، ما جعل كل الحصار وكل الجهود التي بذلت منذ بداية الحملة بدون فائدة.

٣- استخدام البيزنطيين سلاحهم الفتاك(النار الإغريقية)، هذا السلاح الذي لم يستطع العرب الحصول على أسرار تصنيعه أو ربما لم يحاولوا القيام بذلك، على الرغم من أنه كان من أبرز أسباب إخفاقهم ورغم وجود حوالي نصف قرن بين المحاولة الأولى والثالثة، كما أخفقوا في تصنيع سلاح مشابه أو على الدرجة نفسها من الخطورة.

٤- طول خط الإمدادات الذي يقدر بآلاف الكيلومترات بين الجبهة ومعسكر الخليفة، وفي ظل استخدام وسائل المواصلات القديمة، مما جعل وصول الإمدادات بطيئاً أو متعذرا أحيانا.

كما يمكن إضافة أسباب اختصت بها هذه الحملة، ومنها:

١- تولي ليو الأيسوري المشهود له بالفطنة والشجاعة سدة الحكم البيزنطي، والذي سخر كل طاقاته لإخراج القسطنطينية من هذه المحنة الصعبة، رغم أنه تولى العرش والإمبراطورية مشرفة على الانهيار.

٢- إسناد قيادة الحملة إلى مسلمة بن عبد الملك العنيد والمعتد برأيه، رغم الأهمية الخاصة التي أولاها الأمويون لهذه الحملة الضخمة أو الأضخم على مر التاريخ، والذي يقول عنه البستاني: إنه كان شجاعاً مقداماً ولكنه مغفل قليل الخبرة، معتد بنفسه وأرائه، فما يصلح مثله لقيادة الجيوش.[١]

فمسلمة يتحمل الجزء الأكبر من المسؤولية في إخفاق المسلمين في الوصول إلى غايتهم، إذ ارتكب مجموعة من الأخطاء التي دلت بوضوح على قلة خبرته ودرايته العسكرية، ومنها:

آ- اختراق أسيا الصغرى والسير مباشرة باتجاه القسطنطينية، رافضاً خطة موسى بن نصير، لأن مسلمة كان متعجلاً على ما يبدو لتسجيل هذا الفتح العظيم باسمه، فخاف أن لا يمد الله بعمره حتى يفتح القسطنطينية إنْ هو نفذ خطة ابن نصير.فتقدم بجيشه مخلفاً العدو وراءه، تاركاً المجال فسيحاً لفلوله لتنهال على الجيوش الإسلامية بهجماتها السريعة والمباغتة، ويؤكد ابن منظور هذه الفكرة إذ ينقل عن عبيد الله بن بشر الغنوي عن أبيه، أنَّه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

(لتفتحن القسطنطينية، ولنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش.) قال فدعاني مسلمة، فحدثته بهذا الحديث فغزاهم.[٢] كما يؤكدها ابن أعثم قائلاً: فقال له عمر بن عبد العزيز: يا مسلمة، إنك ضربت بالناس براً وبحراً، سهلاً وجبلاً، وقتلت الناس، وبلغت موضعاً لم تؤمر به، وأردت أن يقال غزا مسلمة، وفعل مسلمة، وفتح مسلمة، فطلبت بذلك الاسم والذكر، .... فإن كنت فعلت ما فعلته لله تبارك وتعالى لا تريد به الحمد والذكر من الناس، فطوباك، وإن فعلت ما فعلت رياء للناس، فقد صار عملك هباء منثوراً.[٣]

ب- عناد مسلمة في التعامل مع أغلب المسائل ورفض المشورة التي درج عليها معظم القادة العرب ومن ذلك, رفضه عرض البيزنطيين بدفع دينار عن كل رأس بلغ أسوار المدينة، مقابل فك الحصار، رغم ما أشار به أصحابه بالقبول،وإصراره على فتح المدينة،رغم عجزه عن إحكام الحصار عليها، وإصراره على مواصلة الحصار رغم الكوارث التي حلت بجيشه.

ج- ثقته الكبيرة بـ ليو الأيسوري رغم المدة القصيرة لمعرفته به، الذي هو في النهاية جندي بيزنطي ينتمي إلى أعداء المسلمين.

د- قيامه بحرق المؤن أو نقلها، عمل لامسوغ له حتى ولو كان ليو صادقاً.

---

١ - البستاني: معارك العرب صـ٥١

٢ - ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق ج٢٤/ صـ ٢٦٥

- الذهبي:تاريخ الإسلام , حوادث ووفيات (٨١- ١٠٠هـ), صـ ٢٦٩

٣ - ابن أعثم:الفتوح ج٣/ صـ ١٨٢- ١٨٣

هـ- تصديق ملك البلغار دون أي معرفة سابقة بينهما (إن صدقت الرواية) وإرسال الجنود إلى مكان مجهول دون اتخاذ أي إجراء من إجراءات الأمن والسلامة.

هذه الأسباب مجتمعة حولت النصر العربي الوشيك إلى كارثة حقيقية كان لها أكبر الأثر على إستراتيجية الدولة الأموية في المرحلة التالية.

الفصل الخامس

ـ المعارك البحرية

أولاً ـ نشوء القوى البحرية الأموية

ثانياً ـ العمليات الحربية البحرية

ـ جزر المتوسط ودورها في الصراع الأموي البيزنطي

ثالثاً ـ الخطط الحربية البحرية

١) ـ الخطط الدفاعية

٢) ـ الخطط الهجومية

الفصل الخامس- المعارك البحرية:

- نشوء القوى البحرية الأموية :

كان العرب أهل الصحراء والبادية، أهل الكر والفر، قد تمرّسوا في القتال البري وفنونه، حتى أصبحوا أمهر أهل عصرهم، فحققوا الانتصارات العظيمة، الواحد تلو الآخر في الشرق والغرب.

أما البحر فقد كان ميداناً غريباً لم يألفه العرب، باستثناء ما قام به سكان المناطق الجنوبية من شبه الجزيرة العربية من نشاط تجاري بحري قبل الإسلام،[١] التي وإنْ أهملوها بعد انصرافهم إلى التجارة البرية إبان الغزوين الحبشي والفارسي لليمن، فإنهم لم يفقدوا تماماً تقاليدهم البحرية التي اكتسبوها من خلال تاريخهم الطويل وتجاربهم الماضية في ممارسة الملاحة.[٢]

وبعد مجيء الإسلام كان للمسلمين بعض النشاط البحري في الخليج العربي منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب ولكن على نطاق ضيق ومحدود.[٣] وبعد أنْ فتح المسلمون مدن الشام المطلة على شواطئ المتوسط، وجدوا أنفسهم في مواجهة مباشرة مع البحر،[٤] بعد أن هيمنوا على سواحله الطويلة، وباتت حمايتها[٥] من

---

١ - عاشور: أوربا في العصور الوسطى ج٢/ صـ ١٤٦- ١٤٧

٢ - خماش: الشام في صدر الإسلام صـ ٣٧٩

٣ - المريخي(سيف شاهين): إمارة البحر في عصر الخلفاء الراشدين والأمويين(١١-١٣١هـ/٦٣٢-٧٤٨م)، مجلة كلية الإنسانيات والعلوم، قطر ٢٠٠٠م، العدد ٢٣ /صـ ٢٠-٢١

٤ - ابن الأثير: الكامل ج٢/صـ ٢٧١

- بركات: فن الحرب البحرية صـ ١٧

- فهمي(علي محمود):التنظيم البحري الإسلامي في شرق المتوسط من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي, ترجمة د. عبده قاسم.عيد للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية, القاهرة ط١ ١٩٩٧م صـ ١٢٧

٥ - بينز: الإمبراطورية البيزنطية صـ ٣٥٥

- فهمي: المرجع نفسه صـ ١٢٧

الأخطار البحرية الشغل الشاغل للقادة المسلمين، فكان عليهم التفكير بإستراتيجية دفاعية جديدة تنظم عملية الدفاع عن السواحل، وتكون قادرة على مواجهة الأخطار التي يحملها البحر إلى الساحل, خاصة وإن السواحل ما هي إلا خطوط مفتوحة, يسهل التسلل إليها, وحمايتها يتطلب جهوداً خاصة, إذ أنه من المحال تطويق السواحل بخط من التحصينات كالحدود البرية, إذ أن الحدود البرية فيها مواضع معينة يمكن للعدو التسلل منها, لان الجبال الشاهقة والوعرة التي تؤلف الحدود, لا تسمح لأحد باجتيازها إلا من ثغورها. أما السواحل فإنها أبواب مشرعة يمكن للأعداء عن طريقها الدخول من أي موضع كان. باستثناء مواضع قليلة ذات الطبيعة الخاصة, لذلك كان من الضروري تأمين خطوط حماية بعيدة إلى حد ما عن السواحل لمنع الأعداء من الوصول إليها. وهذه الخطوط لا يمكن تأمينها إلا إذا توفر أسطول بحري قوي قادر على حماية السواحل والدفاع عنها.[١]

وكان معاوية بن أبي سفيان أول القادة الذين تنبهوا إلى أهمية الأسطول، خاصة بعد ما عاناه من متاعب أثناء فتح الساحل الشامي.[٢] وما إن تولى معاوية ولاية الشام خلفا لأخيه يزيد في عهد عمر بن الخطاب، حتى عمل على تحقيق ما خطط له سالفاً، فلح على الخليفة في غزو البحر، مبيناً له قرب بلاد الأعداء من سواحل الشام فقال: ان قرية من قرى حمص ليسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم. وعلى الرغم من ان عمر كان لا يحبذ ركوب البحر, الا انه مع ذلك لم ينفرد برأيه بل كتب إلى واليه على مصر عمرو بن العاص, يطلب إليه وصف البحر, فكتب عمرو قائلاً:(إني رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير, ليس إلا السماء والماء, إن ركد خرق القلوب, وإن تحرك أزاغ العقول فيه اليقين قلة, والشك كثرة, وهم فيه كدود على عود, إن مال غرق, وإن نجا برق.)[٣] فكتب عمر إلى معاوية:(لا والذي بعث محمداً بالحق بشيراً, لا أحمل فيه مسلماً أبداً, وتالله لمسلم أحب إلي مما حوت لروم, فإياك أن تعترض لي, وقد تقدمت إليك, وقد علمت ما لقي العلاء مني, ولم اتقد إليه في مثل ذلك.)[٤] فالخليفة الذي كان له رؤية مختلفة، لم يرفض طلبه فحسب بل حذره وانذره بالعقاب إذا ما خالف أوامره.

لكن اليأس لم يعرف طريقه إلى إرادة معاوية وتصميمه، فحين انتقلت الخلافة إلى عثمان بن عفان عرض معاوية طلبه السالف على الخليفة الذي رفضه أول الأمر[٥] ثم وافق بعد أن اشترط عدم إجبار أحد على ركوب البحر"لا تنتخب الناس, ولا تقرع

---

١ - فهمي: المرجع نفسه صـ ١٢٧

٢ - ابن الأثير: الكامل ج٢/صـ ٢٧١

- العبادي وسالم: تاريخ البحرية الإسلامية صـ١٥

- ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية صـ ٨٢

٣ - ابن الأثير: الكامل ج٢/صـ ٤٦٨

٤ - ابن حبيش(الإمام عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن حبيش): غزوات ابن حبيش , تحقيق سهيل زكار, دار الفكر بيروت ط١ ١٩٩٢م, صـ ٣٧٤-٣٧٥

- عون: الفن الحربي صـ ٢٥٩

٥ - البلاذري:فتوح البلدان صـ٩٦

- خطاب: قادة فتح الشام ومصر, صـ ١٧٨

بينهم, خيرهم فمن اختار الغزو طائعاً فاحمله وأعنه."[١] لم يستأ معاوية من هذه الشروط بل باشر فورا إلى تنفيذها، فجهز وقاد أول حملة بحرية إسلامية توجهت إلى جزيرة قبرص والتي توجت بالنصر، كما توج النصر كل أعماله البحرية التالية،[٢] فنزل نبأ نجاح معاوية في الوصول إلى قبرص كالصاعقة على البيزنطيين, فتخوفوا من فقدان سيادتهم على البحر, كما فقدوا سيادتهم في الكثير من مناطق البر, لذا جهزوا أسطولاً, كان الأضخم حتى ذلك الزمان, وفي مخيلتهم تحطيم القوة البحرية العربية الناشئة بحيث لا تقوم لها قائمة بعد ذلك, والتقوا مع الأسطول الإسلامي سنة ٣٤هـ/٦٥٤م في معركة عرفت بذات الصواري, وكانت المفاجأة التي لم يتوقعها البيزنطيون, حين انهزم أسطولهم هزيمة ساحقة.[٣] كان من شأنها أن تفقد البيزنطيون سيادتهم على البحر بشكل نهائي, لولا أن العرب لم يحسنوا استخدامها بسبب انشغالهم بفتنة عثمان. ولكن ما إن آلت الخلافة إلى معاوية حتى أستأنف سياسته العسكرية على الجبهة البيزنطية براً وبحراً، لذلك قام بتجهيز وإرسال مجموعة من الغزوات البرية إلى الجبهة البيزنطية (الصوائف والشواتي) والتي كانت في الغالب مترافقة أو مدعومة بحملات بحرية، مثل التي انطلقت في الأعوام ٤٤، ٤٥، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥٣، ٥٤، ٥٦، ٥٨، ٦٠هجرية وغيرها.[٤] وبالتأكيد فإن هدف معاوية من هذه الغزوات لم يكن المكسب العسكري فحسب, وإنما تدريب قواته البحرية الناشئة للحصول على المعرفة والخبرة العسكرية البحرية, والتعرف على أهم الطرق البحرية المؤدية إلى القسطنطينية, ومواقع الخلجان والجزر والمضائق وما إلى ذلك, بالإضافة إلى انتزاع المبادرة من البيزنطيين ومحاربتهم في عقر دارهم, وإشغالهم بالدفاع عن أراضيهم بدل التفكير في الهجوم على أراضي المسلمين.

ومن أشهر القادة المسلمين الذين برزوا في قيادة الحملات البحرية في عهد معاوية بن أبي سفيان؛ عبد الله بن سعد بن أبي السرح المشهود له بالشجاعة والكفاءة وأحد الذين كان لهم الفضل في تطوير القدرات البحرية الإسلامية في البحر المتوسط،[٥] كما اشتهر جنادة بن أمية الأزدي، وبسر بن أبي أرطاة، ومالك بن هبيرة السكوني،

---

١ - ابن حبيش: غزوات ابن حبيش صـ ٣٧٥

- بركات:فن الحرب البحرية صـ ٢٤

- عون: الفن الحربي صـ ٢٦٠

- ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية صـ ٨٤

٢ - أحمد:تاريخ فن القتال صـ ١٤-١٥

- ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية صـ ٨٤

٣ - ابن عبد الحكم(أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن اعين القرشي المصري ت٢٥٧هـ/٨٧٠م): فتوح مصر وأخبارها, مكتبة المثنى بغداد, طبع بمطبعة بريل في مدينة ليدن ١٩٣٠م. صـ ١٩٠

- ابن الأثير: الكامل ج٢/صـ ٤٨٨- ٤٨٩

٤ - الطبري:تاريخ الرسل والملوك ح٥/ صـ ٢١٢, ٢٢٦, ٢٣١, ٢٣٢, ٢٣٤, ٢٨٨, ٢٩٣, ٣٠١, ٣٠٩, ٣٢٢

- ابن الأثير: الكامل ج٣/ صـ ٣٨, ٥٥, ٥٦, ٥٩, ٩١, ٩٧, ١٠٨, ١١٩

٥ - المريخي: المرجع نفسه, العدد ٢٣ / صـ ٢٧, ٢٩

ويزيد ين شجرة الرهاوي، وفضالة بن عبيد الأنصاري، وعمرو بن يزيد الجهني، وغيرهم.[١]

ويلاحظ تجاهل المصادر الإسلامية ذكر أبو الأعور السلمي والذي يسميه ميخائيل الكبير أبو العور وينسب إليه قيادة عملية فتح جزيرة قبرص الثانية وقيادة عملية فتح جزيرتي كريت ورودس وكذلك قيادة الأسطول الإسلامي في معركة ذات الصواري.[٢] ويقال: إن السبب في ذلك عائد إلى الدور السلبي البارز الذي لعبه إبان فتنة عثمان ووقوفه إلى جانب معاوية بن أبي سفيان في مواجهة الإمام علي بن أبي طالب.[٣] لكن المصادر ذكرت الكثيرين ممن لعبوا دوراً ربما كان أسوأ مما قام به أبو الأعور في التاريخ الإسلامي، مثل عبد الله بن سعد بن أبي سرح, الذي أسلم وكتب الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, ثم ارتد وقال لقريش: إني أكتب أحرف محمد في قرآنه حيث شئت, ودينكم خير من دينه.[٤] على الرغم من ذلك نجد أن المصادر تتناول سيرة عبد الله بن سعد كبطل من أبطال الإسلام. وهذا يقود إلى الاعتقاد بأن ما قام به أبو الأعور لا يرقى إلى ما قام به غيره من المذكورين في المصادر، أو أنه شارك في تلك العمليات المذكورة ولكنه لم يكن قائدها لذلك أغفل ذكره.

وبعد وفاة معاوية لا يذكر المؤرخون أي تطور يذكر طرأ على القوات البحرية في عهد خلفائه، شأنها في ذلك شأن القوات البرية, وهذا وضع طبيعي لما عانته الدولة آنذاك من اضطراب سياسي بسبب وفاة يزيد واعتزال ابنه معاوية دون خلف وحركات التمرد التي انتشرت في تلك الآونة, وعلى رأسها حركة عبد الله بن الزبير الذي قسم الدولة وسيطر على أجزاء كبيرة منها. حتى تولى عبد الملك بن مروان سدة الحكم في دمشق، والذي سرعان ما أدرك أهمية القوات البحرية، فأولاها كل اهتمام، حيث شهد عصره بناء مركز بحري ثالث في شمال افريقية، أضيف إلى المركزين السابقين في مصر والشام.[٥]

وفي عهد الوليد بن عبد الملك حاز الأسطول والقوات البحرية على اهتمام الخليفة، فعمل على تقوية بعض الحصون، كما أعاد توزيع الأساطيل وتنظيم قياداتها من جديد، فقد كلف أسطول الشام بواجب حماية السواحل في شرق المتوسط، وقام بتوجيه ثقل أسطولي مصر وأفريقيا لمهاجمة سواحل الأندلس الشرقية والجزر القريبة منها، وكان أسطول الشام بقيادة بشر بن الوليد،[٦] وكان خالد بن كيسان من أشهر أمراء البحر في عهد الوليد, والذي أسره البيزنطيون ثم أعادوه إلى المسلمين كتعبير عن حسن النية, ومحاولة يائسة لثني الوليد عن عزمه غزو القسطنطينية.

---

١ - ابن الأثير: الكامل ج٣/صـ ٣٨, ٥٥, ٥٦, ٥٩, ٩١, ١٠٨

٢ - ميخائيل: تاريخ ميخائيل الكبير، ج٢/صـ ٣٣٨- ٣٣٩

٣ - خلف: الرواية السريانية، صـ ٨٧

٤ - ابن الأثير: الكامل ج٢/صـ ١٢٢

٥ - لويس: القوى البحرية صـ ١٠٠-١٠١

- المريخي:إمارة البحر , العدد ٢٣ / صـ ٣١

٦ - العسلي: فن الحرب ج١/ صـ٢١٢, ٢١٣

وفي عهد سليمان عاش الأسطول أزهى أيامه وخاض أضخم معاركه في حصار القسطنطينية الثالث حيث أسهم إسهاماً كبيراً في تضييق الخناق على البيزنطيين وحرمانهم من الإمدادات البحرية، في الوقت الذي ساهمت بعض قطعه في حمل المؤن والسلاح إلى الجيش العربي المحاصر للقسطنطينية،[١] إلا أن الأسطول لم يتمكن من المحافظة على زهوه, نتيجة النكبات المتتالية التي تعرض لها, أثناء حصاره للقسطنطينية, إذ سرعان ما تحول من أقوى أساطيل عصره إلى مجموعة من المراكب المعطوبة.

وتدريجياً أهمل أسطول الشام بعد الذي تعرض له, وخاصة وإن الخلافة انتقلت بعد ذلك إلى عمر بن عبد العزيز, الذي ما أعطى القوات العسكرية الأهمية التي أولاها من سبقه من الخلفاء.

وفي عهد هشام بن عبد الملك اقتصر دوره على حماية السواحل الشامية، فتضاءلت قوته تدريجياً حتى لم يظهر له نشاط يذكر في مواجهة الأسطول البيزنطي، باستثناء بعض العمليات الثانوية في بحر إيجة وسواحل بيزنطة، وبالمقابل زاد الاهتمام بأسطولي مصر وشمال أفريقيا واللذان كانا على درجة كبيرة من القوة والاستعداد فقد انتقل مركز ثقلهما إلى غرب المتوسط.[٢]

ولكن سرعان ما انتقل ضعف الخلفاء الذين تولوا قيادة الدولة في سنواتها الأخيرة إلى الأساطيل أيضاً، حتى انتهى أمرها قبل انتهاء أمر الخلافة الأموية. وممن تولوا أمارة البحر في مرحلة ضعف البحرية الأموية، الأسود بن بلال المحاربي الذي بعثه الوليد بن يزيد على رأس حملة بحرية سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م إلى جزيرة قبرص ليخير أهلها بين الإقامة في جوار المسلمين أو البيزنطيين، فانقسم الناس إلى قسمين ونقلهم الأسود حيث أرادوا.[٣]

---

١ - المريخي: المرجع نفسه, العدد ٢٣ / صـ ٣٤- ٣٥

٢ - العسلي:فن الحرب ج١/ صـ ٢١٥

٣- المريخي:إمارة البحر, العدد ٢٣ / صـ ٣٨

ثانياً- العمليات الحربية البحرية:

بدأت العمليات الحربية البحرية للأسطول الإسلامي في البحر المتوسط، قبل أن يبدأ تاريخ الدولة الأموية، إذ انطلقت الحملة البحرية الأولى ومعاوية لا يزال واليا على بلاد الشام في عهد الخليفة الراشدي عثمان بن عفان، فقصد جزيرة قبرص التي كان غزوها خطوة من عدة خطوات تشكل في مجموعها الإستراتيجية البحرية للدولة الإسلامية.

إذ كانت قبرص حجر الزاوية في قوة الدولة التي تحاول أن تصل إلى مركز الزعامة في بلاد الشرق الأدنى لأن هذه الجزيرة تستمد أهميتها من موقعها الجغرافي المتميز، وقد أدرك معاوية ذلك جيداً، وكيف اتخذ منها البيزنطيون محطة تموين وملجأ يعتصمون به حين تدفعهم الأحداث للانسحاب والتراجع.[١]عن سواحل الشام.

لذلك ما إن فاز معاوية بن أبي سفيان بمنصب الخلافة الإسلامية (الأموية) حتى واصل ما كان قد بدأه وهو والٍ على بلاد الشام، وبحماس أكثر من ذي قبل، خاصة وهو يحتل قمة الهرم السياسي في الدولة الإسلامية، وإقدامه على أي عمل لا يتطلب انتظار الموافقة من أحد، فاستأنف نشاطاً برياً وبحرياً مكثفاً، كان القصد منه:

١- دراسة الطرق البحرية المؤدية إلى الحاضرة البيزنطية.

٢- استطلاع قوات العدو المكلفة بحمايتها والاشتباك معها بشكل محدود.

٣- استكمال المعلومات اللازمة لوضع مخطط الهجوم على القسطنطينية.[٢]

٤- دعم تقدم القوات البرية من خلال الاستيلاء على الجزر القريبة للأراضي المفتوحة وذلك لسد كل المنافذ والطرق أمام الأساطيل البيزنطية إذا ما حاولت مهاجمة القوات الإسلامية عن طريق البحر.[١]

---

١ - علي:تاريخ بلاد الشام صـ ٣٩٢- ٣٩٣

٢ - بركات: الإستراتيجية البحرية صـ ٨٣

وكما هو معروف فقد أرسل معاوية بن أبي سفيان سنة ٤٩هجرية /٦٦٨ميلادية حملة برية ضخمة بقيادة سفيان بن عوف تمكنت من حصار القسطنطينية رغم مهمتها الاستطلاعية،[٢] وأعادها معاوية بعد أنْ أكدت التقارير الاستطلاعية والاستخباراتية الواردة إليه من قيادة الحملة بأن الاستيلاء على القسطنطينية يتطلب إعداد أسطول قوي يقف على قدم المساواة مع القوات البرية.[٣] لذلك لم يدخر معاوية وقتاً ولا جهداً في تقوية أسطوله، في الوقت الذي استمرت فيه الغارات شبه الدورية على السواحل والجزر البيزنطية، ويمكن تصنيف هذه الغارات ضمن ما يسمى بـ (الاستطلاع بالقوة)، وهي وإنْ كانت في الظاهر غارات بسيطة إلا أنها في الحقيقة كانت على قدر كبير من الأهمية، لأنها تقوم أولاً بأعمال الاستطلاع؛ من دراسة لجغرافية السواحل البيزنطية وطبيعتها، وتأمين المعلومات عن أقصر الطرق وأكثرها أماناً لاسيما المؤدية إلى القسطنطينية، كما أنها تقوم في الوقت ذاته باختبار قوة العدو بعد الاشتباك معها أو مناوشتها.

وقد أصابت البحرية الأموية نجاحاً كبيراً في هذا المجال فقد تمكنت طلائع القوات الأموية من فتح جزيرة أرواد ذات الموقع الاستراتيجي القريب من القسطنطينية، وهذا يعطي صورة واضحة عن وضع القوات البيزنطية واستعدادها القتالي. علاوة على هذا وذاك فإن هذه الغارات كانت ضرورة تكتيكية لفتح القسطنطينية وذلك لتأمين الطريق وإنشاء قواعد بحرية على طوله، تمد القوات العربية بما تحتاجه أثناء عملياتها القادمة.

من خلال أعماله تلك استطاع معاوية تأمين كل ما يحتاجه من معلومات للمباشرة في الإعداد لحملته الثانية والتي انطلقت بقيادة فضالة بن عبيد الأنصاري، وعلى الأسطول الصحابي الجليل عبد الله بن قيس الحارثي التجيبي،[٤] وقد زودت هذه الحملة بالإضافة إلى الرجال والسلاح والذخيرة والزاد، بمجموعة من الخطط الحربية، الموضوعة بدقة وعناية فائقة من قبل القادة الأمويين، بناءً على المعلومات التي حصلوا عليها من غزواتهم السالفة بالإضافة إلى ما تنقله العيون من أخبار أول بأول. فحرص قائد الحملة بالتعاون مع قادته في البر والبحر على تنفيذ تلك الخطط بدقة مع احتفاظه بحق التعديل والتغيير حسب ضرورات الموقف، وقد سلف الحديث عن هذا الحصار كما بُينت الخطط الحربية البحرية المستخدمة فيه، وأسباب الصلح الذي عقده معاوية مع البيزنطيين بعد شعوره بدنو أجله واستمرار الحصار دون نتيجة تذكر، وبالفعل فقد توفي معاوية بعد ذلك بأمد قصير، ونتيجة لوفاته وللمعاهدة التي أبرمها مع البيزنطيين، فقد توقف كل نشاط حربي للمسلمين على الجبهة

---

١ - أبو زيد:الدولة الأموية٠٠دولة الفتوحات صـ ١٧

٢ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٥/ صـ ٢٤٢

- ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج٣/ ٥٦- ٥٧

٣ - بركات: الإستراتيجية البحرية صـ ٨٥

- خفاجي وشرف:معارك فاصلة في التاريخ الإسلامي صـ ٥٦

٤ - العسلي: فن الحرب ج١/ ٢٠٢

- نار: معارك فاصلة صـ ٢٨٦

البيزنطية براً وبحراً طوال مدة خلافة يزيد بن معاوية وخلفائه وحتى عهد عبد الملك بن مروان، فاستغل البيزنطيون هذا الوضع أفضل استغلال وأعادوا سيطرتهم على البحر المتوسط من جديد.[١]

إلا أن سيطرتهم هذه لم تدم طويلا، لأن بوادر أزمة سياسة ظهرت بوضوح على الساحة البيزنطية في حين أنَّ الدولة الأموية كانت تستعيد عافيتها بوصول مجموعة من الخلفاء الأقوياء إلى سدة الحكم في دمشق، تمثلت بعبد الملك وأبنائه الأربعة، فعبد الملك أعاد الحياة إلى القوى البحرية الأموية، وابنه الوليد أعاد الحياة إلى المشروع (الحلم) الأموي- فتح القسطنطينية-المشروع الذي زرع الرعب مجددا في قلوب البيزنطيين، فحاولوا جاهدين صرف نظر الوليد عن هذا المشروع، مظهرين له حسن النية بإعادة قائده الأسير (خالد بن كيسان) إلى دياره دون مقابل، وعن طريق السفارات التي أرسلوها إلى دمشق، إلا أن جهودهم باءت بالاخفق.[٢]

وبدأ الوليد فعلاً بتجهيز حملة كبيرة لم يثنه عن إكمالها سوى المنية التي عاجلته، فانتقلت الخلافة إلى أخيه سليمان الذي تبنى المشروع وثابر على إكمال ما بدأه الوليد[٣]بكل حماس، متخذاً من دابق معسكراً بعد أن عاهد الله أن لا ينصرف حتى يدخل الجيش الذي أرسله إلى القسطنطينية أو يموت.[٤] و بقي سليمان على عهده إلا أن جيشه لم يدخل المدينة المُحَاصَرَة، بل مات بعد أنْ أوصى بالخلافة لابن عمه عمر بن عبد العزيز والحملة تحاصر القسطنطينية في ظروف عصيبة جدا، لذلك سارع الخليفة الجديد إلى إرسال النجدات مع أوامره إليهم بفك الحصار وعودة المحاصرين إلى الديار.[٥]

وكان من أبرز نتائج انسحاب الأسطول الإسلامي من أمام أسوار القسطنطينية، عودة السفن البيزنطية للظهور شرقي المتوسط من جديد لتشن الغارات على السواحل الإسلامية من وقت إلى آخر،[٦] وكان من أبرز غاراتهم تلك التي كانت على شواطئ اللاذقية سنة ١٠٠ هـ /٧١٨ م،[٧] ثم على دلتا النيل سنة ١٠٣هـ/٧٢٠م وكذلك سنة ١٠٧هـ /٧٢٥م،[٨] والملاحظ أن الأعمال البحرية بين الأمويين والبيزنطيين في شرق المتوسط في هذه المرحلة لم تسجل نتائج واضحة، بل بقيت في إطار الغارات الخاطفة دون المحافظة على ما تحققه من نتائج،[٩] ولعل السبب في ذلك يعود إلى الضعف والاهمال الذي عانى منه أسطول الشام بعد اخفقه في فتح القسطنطينية، واخفق بيزنطة أيضاً في الاستفادة من ضعف الأسطول الإسلامي والذي يعود

---

١ - لويس: القوى البحرية صـ ٩٧

٢ - خماش: خلافة بني أمية في الميزان صـ ١٠٦- ١٠٧

٣ - العبادي وسالم: تاريخ البحرية الإسلامية صـ٣٤

- عنان: مواقف حاسمة صـ٣٤

٤ - ابن كثير: البداية والنهاية ج٩/ ١٥١

٥ - ابن الأثير: الكامل ج٤/ صـ ٩٩

٦ - لويس: القوى البحرية صـ ١٠٤- ١٠٥

٧ - خماش: خلافة بني أمية في الميزان صـ ١٠٩

٨ - لويس: القوى البحرية صـ ١٠٥

٩ - رمضان: تاريخ فن القتال البحري صـ ١٨

بالدرجة الأولى إلى الاضطرابات التي عصفت بالإمبراطورية البيزنطية والناتجة عن تحيز الإمبراطور ليو الثالث للحركة اللاأيقونية[١]الجديدة ومحاولته فرضها بالقوة على الإمبراطورية الرافضة لها سنة ١٠٧هـ/٧٢٥م، مما أثار غضب عارم في معظم الأقاليم التي تعظم الأيقونات،[٢] الأمر الذي أدى إلى سلسلة من الأحداث، أشغلت الإمبراطورية البيزنطية عن حروبها مع الدولة الأموية.

وبقيت الأوضاع هكذا حتى سنة١٢٠هـ/٧٣٨م حيث هاجم البيزنطيون ميناء بيروت ونهبوا الأهالي وأخذوا السفن التجارية. وفي العام التالي نجحوا في مهاجمة دمياط. وفي سنة ١٢٣هـ/٧٤١م هاجموا السواحل المصرية مجدداً غير أنهم لم يصيبوا النجاح الكبير.[٣]

وبالمقابل كان هناك بعض العمليات الغير منتظمة للأسطول الأموي بين الحين والآخر ومنها ما كان سنة١٢١هـ/٧٣٩م وأخرى في العام التالي حيث خرج الأسطولان المصري والشامي في مهمة مجهولة، وضلت الطريق فقصدت كريت وهاجمتها دون نجاح يذكر وإنْ أسروا بعض الأسرى.[٤] وفي سنة ١٣٠هجرية/٧٤٨ ميلادية، حدثت المعركة الفاصلة بين الطرفين وعلى مقربة من جزيرة قبرص، حيث حسمت الصراع لصالح البيزنطيين، إذ حاصر أسطول جزيرة كريت البيزنطي، أسطول الأمويين وأوقع به الهزيمة. فوضعت هذه الهزيمة الفصل الأخير من الصراع البحري الأموي البيزنطي في شرقي المتوسط.[٥] إذ لم يقم للأمويين بعد هذا التاريخ قائمة في الحوض الشرقي للبحر المتوسط.

ولدى البحث عن الأسباب يمكن ملاحظة ما يلي:

١- إنَّ الموقع الجغرافي والتضاريسي المحمي طبيعياً لبيزنطة لعب دوراً هاما في حماية الأسطول البيزنطي. ويقابل هذا أنَّ أغلب مراكز القوة البحرية العربية كانت مكشوفة ويسهل الوصول إليها.

٢- امتلاك الأساطيل البيزنطية (أسطول قسطنطينية على الأقل) النار الإغريقية الفتاكة. وعدم امتلاك العرب له أو لسلاح يساويه في الأهمية.

٣- امتلاك البيزنطيين الأخشاب والحديد وكل ما هو ضروري لبناء السفن بكثرة، وقلتها لدى العرب. [٦]

٤- الضعف العام الذي أصبح ميزة الدولة الأموية في سنواتها الأخيرة, بعد تولي الخلافة مجموعة من الخلفاء الضعفاء العاجزين عن فرض سيطرتهم على الدولة, التي مزقتها حركات التمرد. هذا الضعف الذي ألقى بظلاله على القوات البرية والبحرية معاً.

---

١ - اللاأيقونية: حركة دينية سياسية ظهرت في القرن الثامن الميلادي, وكانت تدعو الى تحريم تصوير السيد المسيح ومريم العذارء, وغيرها من الصور الدينية.

٢ - عثمان: الحدود الإسلامية, ج٢ صـ ١٠٦

- لويس: القوى البحرية صـ ١٠٥

٣ - عثمان: الحدود الإسلامية, ج٢ صـ ١٠٦

٤ - عثمان: الحدود الإسلامية, ج٢ صـ ١٠٦

٥ - رمضان: تاريخ فن القتال البحري صـ ١٨

٦ - لويس: القوى البحرية صـ ١١٠- ١١١

ـ جزر المتوسط ودورها في الصراع الأموي البيزنطي:

لقد كان الاستيلاء على جزر المتوسط وخاصة الواقعة في قسمه الشرقي ركن أساسي في الإستراتيجية البحرية الأموية، إذ تنتشر في شرق المتوسط مجموعة من الجزر تقسم البحر إلى بحار داخلية تتصل ببعضها البعض بمضايق وفتحات صغيرة تتحكم في مداخلها تلك الجزر، وكانت تلك المضايق أشبه بأعناق الزجاجات تكفل للمسيطر عليها السيطرة على ما يليها من بحار داخلية وما يطل على هذه البحار من أراضٍ وبلدان.[١] كما أنَّ السيطرة على تلك الجزر تكفل تقليص النفوذ البيزنطي في البحر المتوسط من خلال حرمان أسطوله من قواعده البحرية.[٢] والجزر في المتوسط كثيرة لذلك اقتصر الحديث على تلك التي كان لها شأن في العلاقات الأموية البيزنطية، ومنها:

قبرص:

يحدد الحموي موقعها بقوله: (جزيرة في بحر الروم وبأيديهم دورها مسيرة ستة عشر يوماً.)[٣] ويقول سبط ابن الجوزي: (بينها وبين اللاذقية يوم وليلة وبينها وبين الإسكندرية ثلاثة أيام.)[٤] وهي أقرب جزر البحر المتوسط إلى سواحل الشام بعد جزيرة أرواد، وبموقعها في الزاوية الشمالية الشرقية من البحر المتوسط اكتسبت قبرص أهمية خاصة.[٥]

غزاها العرب أول مرة في عهد الخليفة عثمان بن عفان حين وافق على طلب معاوية بركوب البحر سنة ٢٧هـ/٦٤٦م، أو ٢٨هـ/٦٤٧م، [٦] وقيل بل سنة

---

١ ـ أبو زيد:الدولة الأموية صـ ١٦ـ ١٧

٢ ـ الغيث:مَرويات خلافة معاوية صـ ٢٩٤ـ ٢٩٥

٣ ـ الحموي: معجم البلدان م٤/صـ ٣٠٥

٤ ـ سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان, السفر الأول, صـ ١٠٤

٥ ـ عثمان: الحدود الإسلامية, ج١صـ ٢٠٨

٦ ـ الطبري:تاريخ الرسل والملوك ج٤/صـ ٢٥٨

٢٩هـ/٦٤٨م، [١] ففتح الجزيرة وصالح أهلها على سبعة آلاف درهم كل عام.[٢] وقد أعاد معاوية غزو الجزيرة مجدداً سنة ٣٣هـ/٦٥٢م حين أعان سكانها البيزنطيين، فدخلها عنوة ثم أقرهم على صلحهم السالف، وبعث إليها باثني عشر ألف رجل كلهم أهل ديوان، وأقاموا فيها إلى أنْ توفي معاوية حيث أعادهم يزيد.[٣]

وحين عاود المسلمون فتح الجزيرة سنة ٧٣هـ/٦٩٣م, حاول البيزنطيون طردهم منها في السنة التالية, فلجأ المسلمون إلى إجلاء بعض السكان لتوطيد مركز حكمهم،[٤] كما زادوا الجزية التي فرضها عليهم معاوية ألف دينار، واستمرت الجزية حتى عهد عمر بن عبد العزيز فأسقطها عنهم، ثم أعادها هشام بن عبد الملك حين ولي الخلافة واستمرت حتى أواخر عصر الأمويين بالجزيرة.[٥] ويقال إنَّ الإمبراطور تيبيروس تدخل سنة ٧٧هـ/٦٩٦م لإعادة المنفيين إلى الجزيرة، ويبدو أن النفوذ العربي ظل قائماً في الجزيرة، فلا إثارة لمسألتها.[٦] الا أنَّه يفهم من غزوة معاوية بن هشام بن عبد الملك لـ قبرص سنة ١٠٨هـ/٧٢٦م.[٧] على أنَّ قبرص كانت خارج السيطرة الإسلامية في ذلك الوقت. أذ أصبحت السيطرة على قبرص في مد وجزر بين المسلمين والبيزنطيين،

وفي سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م بعث الوليد بن يزيد، الأسود بن بلال المحاربي على رأس حملة بحرية إلى جزيرة قبرص ليخير أهلها بين الرحيل إلى الشام أو إلى بلاد البيزنطيين، فانقسم الناس إلى قسمين, ونقلهم الأسود حيث أرادوا.[٨] وكان نقلهم عقاباً لما قدموه من عون للبيزنطيين في غزواتهم ضد العرب, وبقيوا كذلك منفيين حتى أعادهم يزيد بن الوليد بن عبد الملك. [٩]

وفي سنة ١٢٩هـ/ ٧٤٦م شن البيزنطيون هجوماً عنيفاً على جزيرة قبرص مستغلين حالة الضعف التي كانت تعيشها الدولة أواخر أيامها.[١٠] منهين بذلك الحكم الأموي لجزيرة قبرص.

ب - رودس:

يحدد البلاذري موقع الجزيرة بقوله: (رودس من أخصب الجزائر وهي على نحو ستين ميلاً فيها الزيتون والكروم والمياه العذبة.)[١]

- ابن حبيش:غزوات ابن حبيش صـ ٣٧٦

١ - البلاذري: فتوح البلدان, صـ ٩٦

٢ - ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون ح٢/ق٢/صـ ١٣١

- ابن حبيش:غزوات ابن حبيش صـ ٣٧٦

٣ - البلاذري: فتوح البلدان صـ ٩٧

٤ - عثمان: الحدود الإسلامية, ج٢ صـ ٧١

٥ - البلاذري: فتوح البلدان صـ ٩٧

٦ - عثمان: الحدود الإسلامية, ج٢ صـ ٧١

٧- ابن الأثير: الكامل ج ٤/صـ ١٨٢

٨- ابن الأثير: الكامل ج ٤/صـ ٢٩٣

٩ - البلاذري: فتوح البلدان صـ ٩٧

١٠ - عاشور: أوربا في العصور الوسطى, ج٢/ صـ ١٤٨

غزاها المسلمون أول مرة سنة ٣٥هـ/٦٥٤م[٢] واستمروا في غزوها حتى تمكن جنادة بن أمية الأزدي من فتحها سنة ٥٢هـ/ ٦٧٢م[٣] أو ٥٣هـ/٦٧٣م.[٤] ونزلها المسلمون واتُّخذَوها قاعدةً للإغارة على الجزر البيزنطية الأخرى.[٥] وقد استقر فيها بعد الغزو جماعة من المسلمين كان معاوية يغدق عليهم العطايا لحثهم على البقاء فيها بعد أنْ أمتنع الكثير من المسلمين عن الإقامة بها بسبب تعرضها لغارات البيزنطيين،[٦] فأقام المسلمون في أحد حصونها, يمارسون أعمالهم في النهار، ويدخلون الحصن ويغلقون الأبواب في الليل، حتى اضطر يزيد بن معاوية إلى إعادتهم.[٧] وهذا الكلام يبعث إلى الاعتقاد بأن المسلمين لم يسيطروا على كامل الجزيرة،وانما على جزء, أوربما جزء صغير منها.

ج - كريت:

كريت أو أقريطش كما يسميها الحموي الذي يُعرّفها قائلاً: (أقريطش اسم جزيرة في بحر المغرب يقابلها من بر افريقية لوبيا(ليبيا)، وهي جزيرة كبيرة فيها مدن وقرى.)[٨]

غزاها جنادة سنة٥٤هـ/٦٧٤م.[٩] وعلى ما يبدو أنَّ المسلمين لم يفلحوا في فرض سيطرتهم على الجزيرة إذ يختفي ذكر الجزيرة حتى سنة١٢٢هـ/٧٤٠م حيث تذكر المراجع إنَّ الأسطولين المصري والشامي أبحرا في مهمة مجهولة، فقصدا كريت وهاجماها دون نجاح يذكر وإنْ أسرا أسرى عديدين.[١٠]

وفي سنة ١٣٠ هجرية/٧٤٨ ميلادية كان لأسطول جزيرة كريت الدور الأبرز في النصر الذي حققه البيزنطيون في المعركة البحرية الفاصلة التي دارت رحاها على مقربة من جزيرة قبرص، إذ حاصر أسطول جزيرة كريت البيزنطي، أسطول الدولة

---

١ - البلاذري: فتوح البلدان صـ ١٤٤

٢ - ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية صـ

٣ - البلاذري: فتوح البلدان صـ ١٤٤

٤ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٥/ صـ ٢٨٨, ٢٩٣

- ابن كثير: البداية والنهاية ج٨/ ٥٣

- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ج٣/ صـ ١٨

- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة,ج١/ صـ ١٨٩

- الغيث:مَرويات خلافة معاوية صـ ٢٨٦

٥ - أبو زيد:الدولة الأموية٠٠دولة الفتوحات صـ ١٨

٦ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٥/ صـ ٢٨٨

- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ج٣/ صـ ١٨

٧- الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٥/ صـ ٢٨٨

- الغيث:مَرويات خلافة معاوية صـ ٢٦٨- ٢٦٩

٨ - ياقوت: معجم البلدان, م١/صـ ٢٣٦

٩ - البلاذري: فتوح البلدان صـ ١٤٤

- دحلان: الفتوحات الإسلامية ج١ /صـ ١٠٨

١٠ - عبد الله: العلاقات السياسية صـ ١١٣- ١١٤

- عثمان: الحدود الإسلامية, ج٢ صـ ١٠٦

الأموية وأوقع به الهزيمة. فوضعت هذه الهزيمة الفصل الأخير من الصراع البحري الأموي البيزنطي في شرقي المتوسط.[١]

د- أرواد:

وكانت تعرف بـ كزيكوس أيضاً [٢] هي جزيرة قريبة من القسطنطينية[٣] غير أرواد القريبة من سواحل الشام، فتحها جنادة سنة٥٤هـ/٦٧٤م في نفس السنة التي فتح فيها جزيرة كريت, فأقام بها المسلمون سبع سنوات، حتى كانت السنة التي توفي فيها معاوية، حيث أمرهم فيها يزيد الذي تولى الخلافة بعد أبيه بالقفول.[٤]

وقد اتخذها المسلمون قاعدة بحرية أمامية لإمداد الجيش العربي بالماء والسلاح والرجال أثناء حصار القسطنطينية الثاني،[٥] كما أعدوها كمعسكر يلجأ إليها الجيش عند حلول الشتاء وتوقف القتال فيقيمون فيها حتى نهاية الشتاء حيث يعاودون الحصار طوال فصلي الربيع والصيف وحتى قدوم الشتاء فيعودون إلى الجزيرة من جديد، وهكذا على مدى سبع سنوات.[٦]حتى اضطروا إلى مغادرتها بعد وفاة معاوية وتولي يزيد الخلافة.

---

١ - رمضان: تاريخ فن القتال البحري صـ ١٨

٢ - أبو زيد:الدولة الأموية٠٠دولة الفتوحات صـ ٢٤

٣ - ياقوت: معجم البلدان, م١/صـ ١٦٢

٤ - البلاذري: فتوح البلدان صـ ١٤٤

- الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٥/ صـ ٢٩٣

- أبن خلدون: تاريخ أبن خلدون ج٣/ صـ ١٨

٥ - أحمد:تاريخ فن القتال البحري صـ ١٥

- بركات : فن الحرب البحرية صـ ٦٠

- العدوي:قوات البحرية العربية صـ ٦١

٦- بركات: الإستراتيجية البحرية صـ ٨٨

- عثمان:الحدود الإسلامية,ج٢ صـ ٤٩

- العبادي وسالم: تاريخ البحرية الإسلامية صـ ٣٢ – ٣٣

رابعاً- الخطط الحربية البحرية:

من دراسة المصادر والمراجع المختلفة يتبين أن الأمويين ورغم حداثة عهدهم بالبحر، استطاعوا بناء قوة ومعرفة بحرية عسكرية على درجة كبيرة من التطور والدقة، فاستراتيجيهم البحرية كانت تقوم على عدة ركائز أساسية، بعضها دفاعي وبعضها الآخر هجومي.

١)- الخطط الدفاعية:

تأتي في المقدمة وكانت تتألف من عدة مراحل منها :

أولاً- احتلال الجزر القريبة من السواحل الإسلامية للتخلص من خطرها، وشحنها بالقوات الإسلامية التي تتولى أعمال الرصد والإنذار وعرقلة تقدم أسطول العدو إذا ما وقع هجوم مفاجئ، ريثما يتم تنبيه القوة الرئيسية، فيما يشبه مهمة الثغور البرية.[١]

ثانياً- إرسال قوات مؤقتة عند الحاجة من المناطق الداخلية للدفاع عن المناطق الساحلية, كانت تعرف بالطوالع ، تغادر بانتهاء الحاجة لوجودها.

وكان معاوية قد درج على إرسال جماعة من الجند إلى طرابلس في كل عام للدفاع عن المدينة, تبقى حتى حلول فصل الشتاء, حيث يعود الغالبية وتبقى مجموعة مع عامل المدينة, حتى إذا استقرت الأوضاع لمعاوية وتوطد سلطانه فاستعاض عن هذه الطوالع المؤقتة بحاميات ثابتة.[٢]

ثالثاً- جعل أجناد المناطق الداخلية مستعدة دائما لتقديم العون للمدن الساحلية في حال تعرضها لعدوان عجزت عن صده وذلك وفق مخطط ثابت ومنظم كالآتي:

- جند حمص: وكان مكلفا بدعم حاميات طرطوس، وجبلة وبانياس.
- جند دمشق: وواجبه دعم حاميات صيدا، وبيروت، وجبيل وطرابلس.

---

١ - العسلي: فن الحرب ج١/ صـ ٢١٦

٢ - عثمان:الحدود الإسلامية,ج٢ صـ ٢٦٥

- جند الأردن: وكان مكلفاً بدعم حاميات صور وعكا.
- جند فلسطين: وواجبه دعم حاميات قيسارية، وأرسوف، ويافا، وعسقلان، وغزة وسواحل مصر.[١]

رابعاً- تشكيل نظام حراسة متطور جداً يقوم على تناوب الحراسة بين رجال الحاميات البحرية ليلاً نهاراً، وباعتبار أن المدن الساحلية تقع على الساحل مباشرة أي على نفس الارتفاع تقريبا عن سطح البحر أو على السفوح المطلة عليه بما يسمح لها بالتواصل البصري، فإن هذه المدن أو على الأقل كل مدينتين متجاورتين كانتا تقومان بتبادل الإشارات فيما بينهما وكل واحدة مع جارتها الأخرى في حال ظهور خطر معادٍ وذلك عن طريق إشعال النيران في مواقد عالية أُعدت خصيصاً لهذا الغرض،[٢] وسرعان ما ينتقل الإنذار من حصن لآخر حتى يعم المنطقة الساحلية ومنها إلى الداخلية .

٢)- الخطط الهجومية :

كانت الخطط الهجومية تبدأ من لحظة اتخاذ قرار الهجوم على هدف معاد، وكانت تتألف أيضاً من عدة مراحل كالتالي:

آ- الاستعداد:

بمجرد اتخاذ قرار الهجوم تبدأ مرحلة الاستعداد، حيث تتحرك القوات الداخلية إلى المدن الساحلية التابعة لها لتولي مهام الدفاع بدلا من القوات الساحلية المستعدة لتنفيذ الهجوم على الأهداف المعادية،[٣] وبمجرد وصول القوات الداخلية وتمركزها في مواقعها، تبدأ الخطوة الثانية وهي الاستعداد للمسير، وذلك وفق مخطط كان معمولاً به في معظم الموانئ العربية والذي كان على يسير النحو التالي :

١- تندفع القطع البحرية الثقيلة حتى عرض البحر لحماية عملية الركوب.
٢- تصعد القوات إلى المواعين (ناقلات الجند)، استعداداً للتحرك.
٣- تدفع الزوارق الخفيفة في كل اتجاه للمساعدة في تأمين عملية الركوب .
٤- تتخذ المراكب الجاهزة أماكنها في رتل المسير.[٤]

ب- المسير (الإبحار) و القتال:

---

١ - العسلي: فن الحرب ج١/ صـ ٢١٧

٢ - العبادي وسالم: تاريخ البحرية الإسلامية صـ ٣٦

٣ - ابن العديم: بغية الطلب، ج ١/صـ ٣

٤ - العسلي: فن الحرب ج١/ صـ ٢١٧- ٢١٨

يلاحظ هنا أن القوات البحرية تأثرت تأثراً شديدا بالقوات البرية في تشكيلاتها ومسيرها وحتى فنون قتالها. فقد تشكلت القوات البحرية كالقوات البرية من قلب، وجناحين، ومقدمة وساقه، متخذة أثناء المسير والقتال أشكالاً مختلفة ومنها:

١- الرتل: وفيه تصطف المراكب خلف بعضها البعض على شكل رتل طويل.

٢- ترتيب الهلال (نصف دائرة): أثبت هذا الترتيب فعاليته في تطويق سفن الأعداء أثناء القتال سواء كان الهلال محدباً أو مقعراً، فإذا كان محدباً يقاتل القلب سفن الأعداء، في حين يتقدم الجناحان ببطء لتطويق سفن العدو، وإذا كان الهلال مقعراً، تتقدم كل المراكب معاً لتقوم بعملية التطويق المباشر.[١]

٣- ترتيب الدائرة: وهذا الترتيب كان ناجعاً في حالات الدفاع خاصة، فيسمى بالدفاع الدائري.

٤- ترتيب النسق (الصف المستقيم): وكان يتبع غالباً في حالات الهجوم حيث تصطف السفن في صفوف مستقيمة لتنطح سفن الأعداء باللجام[٢] فتخرقها وتغرقها،[٣]

وكان إذا حدث الالتحام ولم يتمكنوا من تطويق العدو أو خرق سفنه، لجؤوا إلى أسلوبهم المبتكر والذي اعتمدوه منذ معركتهم البحرية الأولى (ذات الصواري) والذي يقوم على جذب سفن الأعداء بواسطة حبال أو سلاسل في رأسها كلاليب، بعد أن يكون النبالة قد استنزفوا قوة عدوهم، وحين تجذب السفن ينتقل الجنود إلى ظهور مراكبهم وكأنه قتال بري بأسلحته وفنونه.[٤]

ح- الإنزال:

كان يتم الإنزال في خطوات معاكسة لخطوات الركوب حيث ترسو المراكب الكبيرة على مقربة من الشطآن، إذ يتم الإنزال غالباً بعيداً عن الموانئ التي تكون تحت سيطرة الأعداء، فتقوم السفن الصغيرة بنقل الجنود إلى الساحل، وإذا كان الأسطول مكلفاً بمهاجمة أحد الحصون أو محاصرتها، مثل القسطنطينية، فإنَّ هذه العملية كانت تحتاج إلى تكتيك من نوع آخر وإلى تعاون وتنسيق بين مختلف صنوف الأسلحة وإلى الدقة في التنفيذ، خاصة وأن الهجوم على الحصون غالبا ما يتطلب إنزال الجنود أو قسم منهم إلى اليابسة. والجدير بالذكر أن مرحلة الإنزال هي أكثر مراحل عملية الهجوم خطورة، لأن الجنود أثناء نزولهم يكونون عرضة لضربات

---

١ - بركات: فن الحرب البحرية صـ ١٤

- رمضان: تاريخ فن القتال البحري صـ ٢٣

٢ - اللجام: حديده طويلة محددة الرأس، أسفلها مجوف كسنان الرمح، تدخل عند الحرب في أسطام وهي الخشبة التي في مقدمة المركب، فيخرق المركب ويدخل الماء جوفه. [العباسي: أثار الأول صـ ٣٧٢]

٣ - بركات: فن الحرب البحرية صـ ١٤

- رمضان: تاريخ فن القتال البحري صـ ٢٣

٤ - ابن عبد الحكم: فتوح مصر صـ ١٩٠

- ابن الأثير: الكامل ج٢/صـ ٤٨٩

العدو المتحصن خلف الأسوار،[1] لذلك كان على القائد تحاشي ضربات العدو قدر الإمكان بإنزال الجنود في أماكن آمنة بعيدة عن مرمى أسلحة العدو، كما فعل مسلمة بن عبد الملك حين عبر بجيشه مضيق البوسفور في حصار القسطنطينية الثالث، فعبر من موضع يقال أبيدوس غربي خليج القسطنطينية على بعد أميال من المدينة في مستو من الأرض بين جبلين.[2]

د- العودة إلى الديار:

وإذا ما انتهت المعركة أو الحصار، تعود القطع البحرية إلى تشكيلات المسير، بعد أن تحمل جنودها، ثم تسير حتى تصل إلى قواعدها، حيث تباشر فوراً عملها، كقوة دفاع عن السواحل، لتنسحب الحاميات القادمة من الداخل إلى قواعدها ومعسكراتها داخل البلاد.[3]

هـ - مصاعب القتال البحري:

إنَّ ما يميّز القتال البري عن القتال البحري، هو أن الأخير أصعب وأعسر. فالمجال ضيق فلا تكاد السهام والأحجار تخطئ كما لا يمكن الاستتار أو الهرب إذا اقتضت الضرورة.[4] وقد تنقلب الرياح بما لا يشتهي القائد، فتغلبه على أمره، وقد تسكن عند حاجته إليها، كما يصعب فيها استخدام الأسلحة الثقيلة كالمنجنيق والعرادة لوزنها الثقيل وحاجتها إلى عدد كبير من الجند لإدارتها.[5]

وعلى الرغم من أن البحرية الأموية لم تُعمر طويلا، إلا أنها استطاعت تحقيق أعمال كبيرة وهامة، ومنها حصار القسطنطينية لمرتين، فإبحار أساطيل كبيرة إلى تلك المسافات البعيدة وإدارتها وتأمين التعاون بينها وبين القوات البرية دليل على الخبرة الواسعة في القيادة والإمداد والملاحة البحرية.

---

١ - العسلي: فن الحرب ج١/ صـ ٢١٨

- رمضان: تاريخ فن القتال البحري صـ ٢٢

٢ - خطاب: مسلمة بن عبد الملك صـ ٤٨

٣ - العسلي: فن الحرب ج١/ صـ ٢١٨- ٢١٩

٤ - العباسي: أثار الأول صـ ٣٧٠

٥ - عون: الفن الحربي صـ ٢٦٤

ـ خاتمة:

ولدت الدولة الأموية على أرض كانت حتى الأمس القريب جزأ هام من الأملاك البيزنطية. على أرض ما انفك البيزنطيون يعتبرون استعادتها من أقدس واجباتهم. وكان أهل الشام وحاكمهم الجديد القديم على دراية تامة بالنوايا البيزنطية, وعلى دراية بأنها لن تترك لهم المساحات التي اقتطعوها لقمة سائغة. فكان التحدي الأول الذي واجه الأمويون ودولتهم الوليدة. فكان على معاوية رسم إستراتيجيته على أساس هذه الدراية, وهذا ما قام به بالفعل حين تخلص من كل خصومه, إذ شرع في تنفيذ إستراتجيته العسكرية، والتي قامت على ضرورة القضاء على الإمبراطورية البيزنطية، ليس رغبة في العدوان, وإنما دفع له, لأن بيزنطة كانت تسعى بكل جد للقضاء الدولة الأموية.

فتحدد الهدف وهو القضاء على الإمبراطورية البيزنطية وفتح عاصمتها القسطنطينية، أو فتح القسطنطينية للقضاء على الإمبراطورية البيزنطية.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا, هل كان طموح الأمويين ينتهي عند فتح القسطنطينية؟ أم إن فتح القسطنطينية (لو انه تم), كان بداية لمرحلة جديدة من الفتوحات؟ لن تنتهي إلا بالتقاء الجيش الأموي السائر من القسطنطينية مع الجيش القادم من الأندلس!

وأياً كان الجواب, فقد كان جعل فتح القسطنطينية الهدف المرحلي والنهائي في الوقت نفسه, الخطأ الأول الذي وقع فيه الحكام الأمويون, ولتحقيق هذا الهدف، قام الخلفاء الأمويون بإرسال غزوات سنوية، طوال العصر الأموي، خلا بعض السنوات، محولين آسيا الصغرى بأسرها إلى ساحة قتال.

وهنا يظهر سؤال جديد, هل كانت الغزوات السنوية تمهيد لفتح القسطنطينية, أم لتحقيق أهداف أخرى؟ بالتأكيد لم تكن الغزوات لتحقيق هذا الهدف فحسب, بل كانت وكما تم الحديث سالفاً للتخلص من مشاكل داخلية, ولأغراض تدريبية, ومع ذلك فأن محاولاتهم الثلاثة لفتح القسطنطينية لم تلق النجاح، فلم تفلح الجهود التي بذلوها,

والأموال الطائلة التي صرفوها, والقوات التي خسروها في تحقيق الهدف المرجو منها، إلا أنهم مع ذلك نجحوا في إجبار الإمبراطورية البيزنطية على تغيير إستراتيجيتهم العسكرية تجاه الدولة الأموية، من إستراتيجية هجومية، تعمل على استعادة ما سلبهم إياه العرب من ممتلكات إلى إستراتيجية دفاعية، تعمل على حماية الدولة أو ما تبقى منها.

ويمكن القول: إن النشاط العسكري على الجبهة البيزنطية كان يراوح بين المد والجذر، إذ كان هذا النشاط مرتبطاً إلى حد بعيد بشخصية الحاكم والظروف الداخلية التي كانت تعيشها كلتا الدولتين، فحين استقر الحكم لمعاوية بن أبي سفيان، طرق جنوده أبواب القسطنطينية، وحين انشغل خلفاؤه بالفتن الداخلية تراجع الجنود متنازلين عن الكثير من المواقع، وحين تولى عبد الملك وأبناؤه زمام الأمور عاد الجنود العرب إلى ساحات الوغى محققين الانتصار تلو الانتصار، حتى وصلوا إلى أسوار القسطنطينية من جديد في حملة ربما لم يعرف التاريخ بضخامتها لا من قبل ولا من بعد، ثم ساءت الأحوال مرة أخرى في عهد أحفاد عبد الملك الذين أدى تنازعهم على العرش إلى نهاية الدولة.

الوضع نفسه تقريباً كانت تعيشه الإمبراطورية البيزنطية، وإنْ كان بجذر أكبر ومد أقل. ولعل الذي حفظ كلتا الدولتين من الزوال على يد الأخرى تزامن حالات المد والجذر أكثر من مرة. فحين انشغلت الدولة الأموية بالفتن الداخلية في عهد يزيد وخلفائه، استغلت الإمبراطورية البيزنطية الوضع لصالحها، إلا أن تقدم السلاف والبلغار على حساب أملاكها, أوقف تقدمها تجاه الأراضي الأموية.

وحين تولى الوليد ثم أخوه سليمان الخلافة الأموية، كانت الإمبراطورية البيزنطية تعيش أسوأ أيامها في ظل مجموعة من الأباطرة الضعفاء، وحين أرادا استغلال الظرف وقفت إلى جانب البيزنطيين مجموعة من العوامل كان في مقدمتها اعتلاء ليو الأيسوري مقاليد الحكم. فاخفق الأمويون مرة أخرى في تحقيق هدفهم.

لكن إذا أخفق الأمويون في الاستيلاء على القسطنطينية، فهل أخفقوا في باقي نشاطهم العسكري على الجبهة البيزنطية؟

في الحقيقة إن الأمويين لم يلقوا في فتوحاتهم على الجبهة البيزنطية ما لقوه على الجبهات الأخرى من نجاح، وذلك يعود بالدرجة الأولى كما ورد من قبل إلى خطئهم الاستراتيجي بجعل القسطنطينية الهدف الأول للفتوحات، فإن ما صرفه الأمويون من وقت وجهد ومال على حصار القسطنطينية في المحاولات الثلاث, كان كافياً لإقصاء البيزنطيين, عن آسيا الصغرى ومناطق أخرى واسعة, إلا أن إصرار القادة البيزنطيين على فتح القسطنطينية أولاً, وتسخير كل الأعمال العسكرية لتحقيق هذا الهدف الذي لم يكتب له النجاح.

ولكن هل كانت الإستراتجية الأموية السبب الوحيد في إخفاق الأمويين أم كانت هناك أسباب أخرى؟

وبالبحث يمكن إيجاد مجموعة من الأسباب كان منها: عدم قدرة الدولة الأموية على تجميع قواتها على جبهة واحدة، بسبب انشغال قوات كل مصر بالدفاع عن

قطاعها، إضافة إلى بُعد أمصار الدولة عن بعضها البعض مما يصعب معه انتقال القوات من جبهة إلى أخرى، يقول جلوب: (لو أن العرب ركزوا الآن جميع قواتهم على جبهة واحدة من الجبهات لتغير تاريخ العالم كله. ولو أن العرب بعثوا بقواتهم الرئيسية إلى الأندلس، لتمكنوا من احتلال فرنسا وكذلك إيطاليا .... ولو حشد العرب من الناحية الأخرى جيوشهم في آسيا الصغرى لاستطاعوا فتح القسطنطينية ولقضوا على إمبراطورية الروم من ناحية الشرق، ولزحفوا بعد ذلك لاحتلال ايطاليا واليونان، ولكنهم لم يفكروا كما يبدو في مثل هذه الخطة السوقية، ويبدو أن تنفيذها كان متعذراً عليهم.)[١]

والسؤال الذي يطرح نفسه نتيجة لطرح جلوب هو هل كان العرب قليلي الخبرة لهذه الدرجة؟

أما الحقيقة فإن قراءة التاريخ الأموي يبين بما لا يدع مجالاً للشك أن العقلية العسكرية الأموية لم تكن عاجزة عن استقراء خطة بسيطة كخطة جلوب، لكن يبدو أن جلوب نفسه لم يدرك بأن تركيز العرب قواتهم على جبهة واحدة يعني تنازلهم عن الجبهات الأخرى التي يكمن خلفها أعداء متربصون لأي فرصة قد تسنح لهم، و إنَّ البعد الشاسع ووسائل الاتصال والمواصلات القديمة ستجعل العرب عاجزين عن تقديم الدعم لأي جبهة تتعرض لضغط معادي، لذلك فإنَّه كان من الحكمة توزيع القوات على جميع الجبهات وإنْ كان عددها يختلف من جبهة إلى أخرى.

كما يمكن إضافةً ضعف الخبرة العسكرية لدى الكثير من قادة الفتح على هذه الجبهة، الذين كان يتم اختيارهم بحسب قربهم من الخليفة وليس بحسب كفاءتهم، لا بل كان يتم إقصاء القادة الأكفاء إن لم يتم تصفيتهم كما حدث مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، بسبب خشية الأمويين على سلطانهم. لذا كان يتم اختيار القادة من أبناء الأسرة الأموية الذين لم يحمل بعضهم السيف يوماً، رغم وجود من هم أكثر خبرة ودراية بالأمور العسكرية والخطط الحربية، كما حدث حين تولى يزيد بن معاوية قيادة الحملة الأولى إلى القسطنطينية, ومسلمة بن عبد الملك قيادة الحملة الثالثة. ولعل إقبال بني أمية على المشاركة في الغزو على هذه الجبهة عائد إلى قربها من عاصمتهم, فكان الغزو فرصة للظهور على المسرح السياسي والعسكري, خاصة لأولئك الطامعين في السلطة.

والسؤال الأخير الذي يطرح نفسه هنا, أأخفق الأمويون على هذه الجبهة أم نجحوا؟

بمقارنة النشاط العسكري للدولتين؛ يمكن القول أن الأمويين وإنْ لم يحتفظوا بما بين أيديهم، فقد نجحوا في فتح آسيا الصغرى بعد أن جعلوا أراضيها لسنوات طويلة ساحة لتدريب قواتهم، ومسرحاً لعملياتهم. إذ أنَّ معظم المعارك الحربية التي جرت بين الدولتين إن لم تكن كلها, جرت على الأراضي البيزنطية. كما أنَّ الأمويين نجحوا في تطويق عاصمة أعدائهم وحشرهم داخل أسوارها ثلاث مرات، كانت الأولى بعد ثمانية أعوام فقط على تأسيس الدولة والثانية بعد ست سنوات من الأولى والثالثة بعد

---

١ - جلوب:إمبراطورية العرب صـ ٢٨٨,٢٩٠

أقل من أربعين عاماً من الثانية, وذلك خلال عمر دولة لم تعش سوى تسعين عاماً, فهل كان ذلك نصراً أم لا؟

وبالنظر إلى الموضوع نظرة عسكرية موضوعية يجد المرء أن ما حققته الدولة الأموية على هذه الجبهة نصراً حقيقياً لا بل نصراً عظيماً, وتهديداً خطيراً للتاريخ البيزنطي واستمراريته، فلو أن الجهود الأموية كتب لها النجاح لكانت نهاية الإمبراطورية البيزنطية وزوال اسمهم من الخارطة السياسية على يد الأمويين, فقد زرع الأمويون الرعب ليس في بيزنطة وحسب، بل على طول القارة الأوربية وعرضها خاصة بعد النجاح الذي لقيته القوات الأموية في شبه الجزيرة الأيبيرية. في حين أن مجموع العمليات الحربية البيزنطية الموجه ضد الدولة الأموية، لم يشكل في أي وقت من الأوقات تهديداً حقيقياً للخلافة الأموية وعاصمتها.

إن النشاط العسكري الأموي على الجبهة البيزنطية، على الرغم من نتائجه الضحلة يستحق أن يكون منهاجاً للقادة العسكريين لما فيه من خطط عسكرية ودروس سياسية، فحصار الأمويين للعاصمة البيزنطية بعد ثمان سنوات على ولادة دولتهم لم يكن بالحدث العابر، ثم إعادة الكرة بعد أقل من ست سنوات كان زلزالاً تاريخياً، وإن لم يكن مدمراً بالحد الكافي لإزالة بيزنطة عن عروشها، ثم إعادة الحصار مرة ثالثة وسط توسل البيزنطيين واسترحامهم، كان تأكيداً على تفوق الأمويون وقوتهم وانتصارهم على هذه الجبهة .

المصادر والمراجع:

أولا- المصادر:

- **ابن الأثير**(عزالدين أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن أبي عبد الكريم الشيباني ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م):

١- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، قدم له وقرظه آ.د. محمد عبد المنعم البري، د. عبد الفتاح أبو سنة، د. جمعة طاهر النجار، دار الكتب العلمية، بيروت ط١ ١٩٩٤م، ج (٣+٥)

٢- الكامل في التاريخ، حققه واعتنى به د.عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ٢٠٠٦م، ج(٢+٣+٤)

- **الإدريسي**(محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي ت ٥٤٨هـ/١١٥٤م):

٣- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت ط١ ١٩٨٩م، م٢

- **الأصطخري**(أبي اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي ت ٣٤٦هـ/٩٥٦م):

٤- المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحينى، مراجعة محمد شفيق غربال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي الإدارة العامة للثقافة، القاهرة ١٩٦١م.

- **الأصفهاني**(أبي الفرج علي بن الحسين ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م):

٥- كتاب الأغاني، تحقيق إحسان عباس، إبراهيم السعا فين، بكر عباس، دار صادر، بيروت ط١ ٢٠٠٢م، ج(١٧،٩،٧)

- **ابن أعثم** (أحمد بن أعثم الكوفي ت ٣١٤هـ/٩٢٦م):

٦- الفتوح، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت ط١ ١٩٩٢م، ج(٢+٣)

- **البخاري**(الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م):

٧- الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المشهور بـ صحيح البخاري، www.al-mostafa.com تاريخ الدخول /٢٠١٠/٦/٤م، ج١

❖ **البلاذري** (الإمام أبي الحسن أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م):

٨- انساب الأشراف تحقيق وفهرسة محمود الفردوس العظم، دار اليقظة العربية، دمشق ١٩٩٩م، ج(٥+٦) دمشق ٢٠٠٠م، ج٧

٩- فتوح البلدان، وضع حواشيه عبد القادر محمد علي، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت ط١ ٢٠٠٠م.

❖ **البيهقي**(إبراهيم بن محمد ت ٣٢٠هـ/٩٣٢م):

١٠- المحاسن والمساوئ، اعتنى به عبد الرزاق إسبر، دار ابن حزم، بيروت ط١ ٢٠٠٥م.

❖ **ابن تغري بردي**(أبي المحاسن يوسف الاتابكي ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م):

١١- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ط١ ١٩٩٢م، ج١

❖ **ابن الجوزي**(عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ت ٥٩٧هـ/١١٩٩م):

١٢- سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد، ضبطه وشرحه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت ط١ ١٩٨٤م.

١٣- صفة الصفوة، تحقيق أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة ٢٠٠٠م، ج١

١٤- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ،دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت ط١ ١٩٩٢م، ج٧

❖ **ابن حبيش**(عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يوسف ت ٥٨٤هـ/١١٨٨م):

١٥- غزوات ابن حبيش وهو كتاب الغزوات الضامنة الكاملة والفتوح الجامعة الحاملة الكائنة في أيام الخلفاء الأول الثلاثة أبي بكر الصديق وأبي حفص عمر وأبي عمرو ذي النورين عثمان ، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر بيروت ط١ ١٩٩٢م.

❖ **ابن حجر**(أحمد بن حجر شهاب الدين العسقلاني ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م):

١٦- تهذيب التهذيب، باعتناء إبراهيم الزيبق وعادل مرشد، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، دمشق ٢٠٠٨م،ج٤

❖ **ابن حجر الهيثمي**(شهاب الدين أحمد):

١٧- الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، www.al-mostafa.com تاريخ الدخول/٢٠١٠/٦/٢م.

❖ **الحموي**(ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م):

١٨- معجم البلدان، دار صادر، بيروت ط٣ ٢٠٠٧م، م(١، ٢، ٣، ٤، ٥)

❖ **ابن خلدون**(عبد الرحمن بن خلدون ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م):
١٩- تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، قدم هذه الطبعة أ.د.عبادة كحيلة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٧م، ج(٢+ ٣)
❖ **ابن خياط** (خليفة بن خياط العصفري ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م):
٢٠- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق الدكتور سهيل زكار، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٦٧م، ق١ ، دمشق ١٩٦٨م، ق٢
٣- **الذهبي**(شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م):
٢١- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ط١ ١٩٨٩م حوادث ووفيات (٤١-٦٠هـ)، بيروت ط١ ١٩٩٠م، حوادث ووفيات (٦١-٨٠هـ)+(٨١- ١٠٠هـ)
❖ **الزبيري**(أبى عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب ت ٢٣٦هـ/٨٥٠م):
٢٢- نسب قريش، عني بنشره لأول مرة وتصحيحه والتعليق عليه ليفي بروفنس، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، ج(١- ١٢)
❖ **الزردكاش**(ابن أرنبغا ت ٧٦٧هـ/١٣٦٥م):
٢٣- الأنيق في المجانيق،تحقيق: إحسان هندي،من منشورات جامعة حلب معهد التراث العلمي العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد المخطوطات العربية.
❖ **سبط ابن الجوزي**(ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م):
٢٤- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، حققه وقدم له إحسان عباس، دار الشروق، بيروت ط١ ١٩٨٥م، السفر الأول.
❖ **السيوطي**(جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ/١٥٠٥م):
٢٥- تاريخ الخلفاء، تحقيق رحاب خضر عكاوي، تقديم أحمد محمد فارس ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت ط ١ ١٩٩٢ م
❖ **ابن شداد**(أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م):
٢٦- الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، حققه يحي زكريا عبارة، منشورات وزارة الثقافة, دمشق ١٩٩١م.
❖ **الطبري**(أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ/٩٢٢م):
٢٧- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف،القاهرة ١٩٦٣م، ج(٤+٥)، القاهرة ١٩٦٤م، ج ٦
❖ **ابن الطقطقي**(محمد بن علي بن طباطبا ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م):
٢٨- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت.
❖ **العباسي**(حسن بن عبد الله ت ٧١٠هـ/ ١٣١٠م):
٢٩- أثار الأول في ترتيب الدول، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه د. عبد الرحمن عميره، دار الجيل، بيروت ط١ ١٩٨٩م.
❖ **ابن عبد الحكم**(عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ت٢٥٧هـ/٨٧٠م):

٣٠- فتوح مصر وأخبارها, مكتبة المثنى بغداد, طبع بمطبعة بريل في مدينة ليدن ١٩٣٠م.

❖ **ابن عبد ربه** (أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م):

٣١- العقد الفريد، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه:أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الابياري، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٢م، ج(١+٤)

❖ **ابن العديم** (كمال الدِّين عمر بن أحمد بن ابي جرادة ت ٦٦٠هـ/١٢٦١م):

٣٢- زبدة الحلب من تاريخ حلب، حققه وقدم له الدكتور سهيل زكار، دار الكتاب العربي, دمشق والقاهرة ط١ ١٩٩٧م.

٣٣- بغية الطلب في تاريخ حلب، حققه وقدم له الدكتور سهيل زكار، مجلة التراث العربي، العدد/٢٩/ تشرين الأول ١٩٨٧م www.al-mostafa.com تاريخ الدخول إلى الانترنت /٢/٦/٢٠١٠م.

❖ **ابن العبري**(غريغوريوس الملطي ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م):

٣٤ - تاريخ مختصر الدول، دار الأفاق العربية، القاهرة ط١ ٢٠٠١م.

❖ **ابن عساكر** (أبي القاسم بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله ت ٥٧١هـ/١١٧٥م):

٣٥- تاريخ مدينة دمشق، دراسة وتحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت ط٢ ١٩٩٥م، ج ٢٦ ، بيروت ط١ ١٩٩٨م، ج ٦٥.

❖ **العصامي**(ت ١٠٩٩هـ/١٦٨٨م):

٣٦- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تاريخ الدخول/١٥/٩/٢٠٠٩م. www.al-mostafa.com

❖ **ابن العماد**(أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م):

٣٧- شذرات الذهب في أخبار من ذهب،اشرف على تحقيقه واخرج أحاديثه عبد القادر الارناؤوط، حققه وعلق عليه محمود الارناؤوط، دار ابن كثير، دمشق ط١ ١٩٨٦م، م١، دمشق ط١ ١٩٨٨م ، م٢

❖ **ابن العمراني**(محمد بن علي بن محمد ت ٥٨٠هـ/١١٨٤م):

٣٨- الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق وتقديم الدكتور قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، القاهرة ط١ ١٩٩٩م، تاريخ الدخول/٢٥/٤/٢٠١٠م. www.al-mostafa.com

❖ **أبو الفداء**(عماد الدين إسماعيل صاحب حماه):

٣٩- كتاب المختصر في أخبار البشر، دار الكتاب اللبناني، بيروت م١

❖ **الفيروزآباذي**(الشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ/١٤١٤م):

٤٠- القاموس المحيط، مؤسسة النوري للطباعة والنشر، دمشق ط١ ١٩٨٧م، ج٢

❖ **ابن قدامه**(أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي ت ٦٢٠هـ/١٢٢٣):

٤١- التبيين في انساب القرشيين، حققه وعلق عليه محمد نايف الدليمي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت ط٢ ١٩٨٢م.

❖ **القرآن الكريم.**
❖ **القرماني**(أحمد بن يوسف ت ١٠١٩هـ/١٦١٠م):
٤٢- أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، دراسة وتحقيق أحمد حطيط وفهمي سعد، دار عالم الكتب، بيروت ط١ ١٩٩٢م، م٢
❖ **القزويني**(زكرياء بن محمد بن محمود القزويني ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م):
٤٣- أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت١٩٦٠م.
❖ **القلقشندى**(أبي العباس أحمد بن علي ت ٨٢١هـ/١٤١٨م):
٤٤- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، وزارة الثقافة والإرشاد القومي،المؤسسة المصرية العامة، للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ج(٣+١٠)
٤٥- مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، وزارة الإرشاد والإنباء في الكويت، الكويت ١٩٦٤م، ج١
❖ **ابن قتيبة الدينوري**(ابي محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م):
٤٦- الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، تحقيق علي شيري، انتشارات الشريف الرضي، قم، إيران ط١ ١٩٩٢م.
❖ **ابن كثير**(أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت ٧٧٤هـ/١٣٤٦م):
٤٧- البداية والنهاية، خرج أحاديثه أحمد بن شعبان بن أحمد ومحمد بن عيادي بن عبد الحليم، مكتبة الصفا،القاهرة ط١ ٢٠٠٣م ،ج(٧- ٨)+(٩-١٠)
❖ **ابن الكلبي**(أبي المنذر هشام بن محمد السائب ت ٢٠٤هـ/٨١٩م):
٤٨- جمهرة النسب، رواية السكري عن ابن حبيب، تحقيق د. ناجي حسن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت ط١ ١٩٨٦م.
❖ **المبرد**(أبي العباس محمد بن يزيد المبرد ت ٢٨٦هـ/٨٩٩م):
٤٩- الكامل في اللغة والأدب، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ط١ ١٩٩٩م، ج٢
❖ **مجهول**(القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي):
٥٠-العيون والحدائق في أخبار الحقائق،www.al-mostafa.com تاريخ الدخول/١٥/٩/٢٠٠٩م.
❖ **مجهول**(مؤلف مجهول كتبه عام ٣٧٣هـ/ ٩٨٣م):
٥١- حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة ط١ ١٩٩٩م.
❖ **المسعودي**(أبي الحسن علي بن الحسن بن علي ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م):
٥٢- مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرحه وقدم له د.مفيد قميحة، منشورات محمد علي بيصون دار الكتب العلمية، بيروت ط٢ ٢٠٠٤م ،م٣
٥٣-التنبيه والإشراف، www.al-mostafa.com تاريخ الدخول /٢٥/٤/٢٠١٠م.
❖ **مغلطاي**(علاء الدين مغلطاي بن قلنج بن عبد الله البكرجي ت ٧٦٣هـ/١٣٦١م):

٥٤- مختصر تاريخ الخلفاء، دراسة وتحقيق آسيا كليبان علي البارح، دار الفجر، القاهرة ط١ ٢٠٠١م.

❖ **المقدسي**(شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ت ٣٩٠هـ/٩٩٩م):

٥٥- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل في مدينة ليدن ١٨٧٧م.

❖ **المقريزي**(تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٥٤هـ/١٤٤٣م):

٥٦- الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق وتعليق د. جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ط١ ٢٠٠٠م.

٥٧- كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، قام بنشره محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط، ج١، ق١٢.

٥٨- النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، حققه وعلق حواشيه د.حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة.

٥٩- النقود الإسلامية المسمى" بشذور العقود في ذكر النقود"، تحقيق وإضافات السيد محمد بحر العلوم، دار الزهراء، بيروت ط٦ ١٩٨٨م.

❖ **ابن منظور**(الإمام محمد بن مكرم ت ٧١١هـ/١٣١١م):

٦٠- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر

٦١- تحقيق رياض عبد الحميد مراد، دار الفكر، دمشق ط١ ١٩٨٦م، ج١٠

٦٢- اختصره على نهج ابن منظور وعني بتحقيقه إبراهيم صالح، دار الفكر، دمشق ط١ ١٩٨٩م، ج١٩

٦٣- اختصره على نهج ابن منظور وعني بتحقيقه إبراهيم صالح، دار الفكر، دمشق ط١ ١٩٨٩م، ج٢٤

٦٤- تحقيق مأمون الصاغرجى، دار الفكر، دمشق ط١ ١٩٨٩م، ج٢٥

٦٥- تحقيق أحمد راتب حموش ومحمد ناجي عمر، دار الفكر، دمشق ط١ ١٩٨٩م، ج ٢٦

٦٦- اختصرته على نهج ابن منظور حققته سكينة الشهابي، دار الفكر، دمشق ط١ ١٩٨٩م،ج ٢٨.

❖ **ميخائيل الكبير**(مار ميخائيل السرياني الكبير ت٥٩٦هـ/١١٩٩م):

٦٧- تاريخ ميخائيل الكبير، عربه عن السريانية مارغريغوريوس صليبا شمعون، أعده وقدم له مارغريغوريوس يوحنا إبراهيم، دار ماردين، حلب ط١ ١٩٩٦م، ج٢

❖ **النويري**(شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م):

٦٨- نهاية الأرب في فنون الأدب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة،ج٦

❖ **الهرثمي**(صاحب المأمون):

٦٩- مختصر سياسة الحروب،تحقيق عبد الرؤوف عون، مراجعة محمد مصطفى زيادة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي،المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر،القاهرة ١٩٦٤م.

❖ **ابن الوردي**(زين الدين عمر ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)

٧٠- تتمة المختصر في أخبار البشر(تاريخ ابن الوردي)، إشراف وتحقيق: أحمد رفعت البدراوي، دار المعرفة، بيروت ط١ ١٩٧٠م، ج١

❖ **اليافعي**(أبي محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م):

٧١- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه خليل المنصور، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت ط١ ١٩٩٧م.

❖ **اليعقوبي**(أحمد بن يعقوب بن جعفر بن واهب ابن واضح ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م):

٧٢- تاريخ اليعقوبي، تاريخ الدخول/١٥/٩/٢٠٠٩م www.al-mostafa.com

ثانياً- المراجع العربية والمعربة:

❖ **أحمد**(أحمد رمضان):

١- تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط (العصر الوسيط)، وزارة الثقافة، هيئة الآثار المصرية، القاهرة

❖ **أومان:**

٢- الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة مصطفى طه بدر، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٥٣م.

❖ **بابتي**(عزيزة فوال):

٣- العصر الأموي أدبه وحضارته، دار الإنشاء للصحافة والطباعة والنشر، طرابلس ط١ ١٩٨٤م.

❖ **بركات** (وفيق):

٤- فن الحرب البحرية(في التاريخ العربي الإسلامي)،منشورات جامعة حلب، معهد التراث العربي،حلب١٩٩٥م.

٥- الإستراتيجية البحرية للدول العربية الإسلامية، مركز الدراسات الإستراتيجية، دمشق ٢٠٠٧م.

❖ **بروكلمان**(كارل):

٦- تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية: نبيه فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين ط١١ ١٩٨٨م.

❖ **البستاني**(بطرس):

٧- معارك العرب(في الشرق والغرب)،دار الجيل ،دار مارون عبود،بيروت ط٢ ١٩٧٩م.

❖ **بكوش**(محمد فتحي):

٨- معارك الإسلام الكبرى، رسالة الجهاد، طرابلس، ليبيا ط١ ١٩٨٥م .

❖ **بينز**(نورمان):

٩- الإمبراطورية البيزنطية، تعريب د.حسين مؤنس ومحمد يوسف زايد مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ط١ ١٩٥٠م.

❖ **تزو**(صن):

١٠- فن الحرب، تقديم ليدل هارت، تعريب محمود حداد، دار القدس،بيروت ط١ ١٩٧٥م

❖ **جلوب**(جون):

١١- إمبراطورية العرب، تعريب وتعليق خيري حماد، دار الكتاب العربي، بيروت ط١ ١٩٦٦م .

❖ **الجنزوري**(علية عبد السلام):

١٢- الثغور البرية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٩م.

❖ **أبو جيب**(سعدي):

١٣- مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية، دار لسان العرب، بيروت ١٩٧٢م.

❖ **حتي، جرجي، جبور**(فيليب، إدوارد، جبرائيل):

١٤- تاريخ العرب، دار غندور، بيروت ١٩٩٠م.

❖ **حجل**(بدري):

١٥- سورية وتاريخها الحضاري، دار فكر للأبحاث والنشر٢٠٠٤م.

❖ **حسن** (حسن إبراهيم):

١٦- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل الجديد، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ط١٤ ١٩٩٦م.

❖ **حسين**(علي صافي):

١٧- مسلمة بن عبد الملك حياته العسكرية والأدبية، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٤م

❖ **الحسيني**(محمد):

١٨- مقاتل الأمويين، راجعه عبد الزهراء الحسيني الخطيب، مؤسسة البلاغ، بيروت ط١ ١٩٩٠م

❖ **الخربوطلي**(علي حسني):

١٩- البحر المتوسط بحيرة عربية، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٣م .

٢٠- الدولة العربية الإسلامية،دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٠م.

❖ **خطاب**(محمود شيت):

٢١- قادة فتح الشام ومصر، دار الفتح، بيروت ط١ ١٩٦٥م.

٢٢- مسلمة بن عبد الملك بن مروان فاتح شطر الأناضول ومحاصر القسطنطينية، دار قتيبة، دمشق ط١ ١٩٨٥م.

❖ **خفاجي وشرف**(عبد المنعم وعبد العزيز):

٢٣- معارك فاصلة في التاريخ الإسلامي،الناشر الدار المصرية اللبنانية.

❖ **خلف**(تيسير):

٢٤- الرواية السريانية للفتوحات الإسلامية، مؤسسة فلسطين للطباعة، دمشق ط١ ٢٠١٠م.

❖ **خماش**(نجدة):

٢٥- الإدارة في العصر الأموي، دار الفكر، دمشق ط١ ١٩٨٠م.
٢٦- خلافة بني أمية في الميزان،دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ط١ ٢٠٠١م.
٢٧- الشام في صدر الإسلام، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ط١ ١٩٨٧م.

❖ **دحلان**(أحمد بن زيني):
٢٨- الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية المطبعة الميرية،مكة المكرمة ط١ ١٨٨٤م، ج١

❖ **الدغمي**(محمد راكان):
٢٩- التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية، دار السلام، القاهرة ط٢ ١٩٨٥م.

❖ **الدقدوقي**(وفيق):
٣٠- الجندية في عهد الدولة الأموية، مؤسسة الرسالة، بيروت ط١ ١٩٨٥م.

❖ **ربيع**(حسنين محمد)
٣١- دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة ط٥ ١٩٩٥م

❖ **رستم** (أسد):
٣٢- الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، دار المكشوف، بيروت ط١ ١٩٥٥م، ج١

❖ **الريس**(ضياء الدين):
٣٣- عبد الملك بن مروان موحد الدولة العربية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٢م.

❖ **زكار**(سهيل):
٣٤- تاريخ العرب والإسلام منذ ما قبل المبعث وحتى سقوط بغداد، دار الفكر، دمشق ط٤ ١٩٨٢م.

❖ **زكي**(عبد الرحمن):
٣٥- السلاح في الإسلام، الجمعية الملكية للدراسات- مكتبة أدوات البحث التاريخي والوثائق والنصوص، دار المعارف، القاهرة ١٩٥١م.

❖ **أبو زيد**(علاء عبد العزيز):
٣٦- الدولة الأموية٠٠ دولة الفتوحات (٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م)، المعهد العالي للفكر الإسلامي، القاهرة ط١ ١٩٩٦م.

❖ **زيدان**(جرجي):
٣٧- تاريخ التمدن الإسلامي، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت طبعة جديدة ١٩٨٢م ،ج١

❖ **ساليفان**(ريتشارد):
٣٨- ورثة الإمبراطورية الرومانية، ترجمة وتقديم د.جوزيف نسيم يوسف، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ط١ ١٩٨٥م.

❖ **السيد**(أديب):
٣٨ - أرمينيا في التاريخ العربي، www.al-mostafa.com، تاريخ الدخول إلى الانترنت /٢٠١٠/٣/١م.
❖ **الشرقاوي**(عثمان):
٣٩- شريعة القتال في الإسلام،تقريظ محمد محمد الفحام، تقديم د.عبد الحليم محمود، مكتبة الزهراء، القاهرة ط١ ١٩٧٢م.
❖ **الشيخ** (محمد محمد مرسي):
٤٠- تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٤م.
❖ **صفوت** (أحمد زكي):
٤١- جمهرة رسائل العرب، ش، دار مكتبة مصطفى الباني الحلبي وأولاده مصر ط١ ١٩٣٧م.
❖ **طقوش**(محمد سهيل):
٤٢- تاريخ الدولة الأموية، دار النفائس،بيروت ط١ ١٩٩٦م.
❖ **طهبوب**(صلاح):
٤٣- موسوعة التاريخ الإسلامي(العصر الأموي)، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان ط١ ٢٠٠٣م.
❖ **عاشور**(عبد الفتاح سعيد):
٤٤- أوربا في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية ط١٠ ١٩٨٦م، ج١
❖ **عاقل** (نبيه):
٤٥- دراسات في تاريخ العصر الأموي، منشورات جامعة دمشق، دمشق ١٩٩٥م.
❖ **العبادي**(عبد الحميد):
٤٦- صور وبحوث من التاريخ الإسلامي، مكتبة ، الانجلو المصرية، القاهرة ط٢ ١٩٩٣م.
❖ **العبادي وسالم**(أحمد مختار والسيد عبد العزيز):
٤٦- تاريخ البحرية الإسلامية(في مصر والشام): دار النهضة العربية،بيروت ١٩٨١م.
❖ **عبد القادر**(محمد فريد):
٤٧- معارك فاصلة في تاريخ الإسلام، دار المستقبل العربي، القاهرة ١٩٩٨م.
❖ **عبد الله** (وديع فتحي):
٤٨- العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٩٠م.
❖ **عبد الملك**(عبد المجيد):
٤٩- ساحل بلاد الشام والصراعات الدولية، دار بيسان للنشر والتوزع والاعلام، بيروت ط٢ ٢٠٠٢م
❖ **عثمان**(فتحي):

٥٠- الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، الدار القومية للطباعة والنشر، ج١+٢

❖ **العدوي**(إبراهيم):

٥١- الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية،مكتبة نهضة مصر،القاهرة ١٩٥١م.

٥٢- السفارات الإسلامية إلى أوربا في العصور الوسطى، دار المعارف بمصر القاهرة ١٩٥٧م.

٥٣- قوات البحرية العربية في مياه البحر المتوسط، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، القاهرة ١٩٦٣م.

❖ **العريني**(السيد الباز):

٥٤- الدولة البيزنطية(٣٢٣- ١٠٨١م)، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٢م.

❖ **العسلي**(بسام):

٥٥- فن الحرب في عهود الخلفاء الراشدين والأمويين، عمليات الجبهات الشمالية والشرقية والبحرية، دار الفكر بيروت ط١ ١٩٧٤م، ج١

٥٦- عبد الملك القائد، دار النفائس، بيروت ط١ ١٩٨٦م.

❖ **علي**(أحمد إسماعيل):

٥٧- تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل الميلاد حتى نهاية العصر الأموي، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق ط١ ١٩٨٤م.

❖ **علي**(سيد أمير):

٥٨- مختصر تاريخ العرب، نقله إلى العربية عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين بيروت ط٤ ١٩٨١م

❖ **العلي**(صالح أحمد):

٥٩- امتداد العرب في صدر الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت ط٢ ١٩٨٣م.

❖ **عمران**(محمود سعيد):

٦٠- معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

❖ **عنان**(محمد):

٦١- مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، مطبعة مصر، القاهرة ط٣ ١٩٥٢م.

❖ **عون**(عبد الرؤوف):

٦٢- الفن الحربي في صدر الإسلام، مكتبة الدراسات التاريخية، دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٦١م.

❖ **الغيث**(خالد بن محمد):

٦٣- مَرويات خلافة معاوية رضي الله عنه في تاريخ الطبري، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة ط١ ٢٠٠٠م.

❖ **فرج**(محمد):

٦٤- فن إدارة المعركة في الحروب الإسلامية، مجمع البحوث الإسلامية، الكتاب(٤٥) ١٩٧٢م.

٦٥- المدرسة العسكرية الإسلامية، تقديم إبراهيم الطحاوي وعبد الرحمن فوده، دار الفكر العربي، بيروت ١٩٦٩م.

❖ **فرج ويوسف**(وسام عبد العزيز وجوزيف نسيم):

٦٦- العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية ١٩٨١م.

❖ **فرح**(نعيم):

٦٧- تاريخ بيزنطة السياسي، منشورات جامعة دمشق، دمشق ١٩٩١م

❖ **فلهوزن**(يوليوس):

٦٨- تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، نقله عن الألمانية وعلق عليه د. محمد عبد الهادي أبوريده، راجع الترجمة حسين مؤنس، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ط٢ ١٩٦٨م.

❖ **فهمي**(علي محمود):

٦٩- التنظيم البحري الإسلامي في شرق المتوسط من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي، ترجمة د.عبده قاسم، عيد للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ط١ ١٩٩٧م

❖ **فوزي** (فاروق عمر):

٧٠- الجيش والسياسة في العصر الأموي ومطلع العباسي، دار مجدلاوي، عمان ٢٠٠٥م

❖ **كرد علي**(محمد):

٧١- خطط الشام، دار العلم للملايين، بيروت ط٢ ١٩٦٩م، ج١

❖ **كنعان**(محمد بن أحمد):

٧٢- تاريخ الدولة الأموية(خلاصة ابن كثير)، مؤسسة المعارف، بيروت ط١ ١٩٩٧م.

❖ **لوبون**(غوستاف):

٧٣- موجز تاريخ الإسلام، اختيار آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي، مركز الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم للتحقيق والنشر، بيروت ط١ ١٩٩٨م

❖ **لويس**(ارشيبالد.ر):

٧٤- القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط(٥٠٠- ١١٠٠م) ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، نيويورك.

❖ **محمد**(بدر عبد الرحمن):

٧٥- سياسة الأمويين والعباسيين تجاه الدولة البيزنطية في القرنين الأول والثاني الهجري(السابع والثامن الميلادي)، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ط١ ١٩٨٦م.

❖ **المخلف**(محمد بن مخلف بن صالح):

٧٦- الحرب النفسية في صدر الإسلام، دار عالم الكتب، الرياض ط٢ ١٩٩٣م.
❖ **المريخي**(سيف شاهين):
٧٧- إمارة البحر في عصر الخلفاء الراشدين والأمويين(١١-١٣١هـ/٦٣٢-٧٤٨م)، مجلة كلية الإنسانيات والعلوم، قطر ٢٠٠٠م، العدد(٢٣)
❖ **المنجد**(صلاح الدين):
٧٨- معجم بني أمية، دار الكتاب الجديد، بيروت ط١ ١٩٧٠م
❖ **هندي**(إحسان):
٧٩- أحكام الحرب والسلام في دولة الإسلام، دار النمير، دمشق ط١ ١٩٩٣م.
٨٠- الأسلحة وآلات القتال عند العرب المسلمين في القرون الوسطى، مركز الدراسات الإستراتيجية، دمشق ٢٠٠٤م.
٨١- الحياة العسكرية عند العرب أو الجيش العربي في ألف عام، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٦٤م.
❖ **الوكيل**(محمد السيد):
٨٢- الأمويون بين الشرق والغرب، ق١، الدار الشامية، بيروت، دار القلم، دمشق ط١ ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
٨٣- القيادة والجندية في الإسلام،ج١، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر ط٣ ١٩٨٨م.
❖ **يوسف**(جوزيف نسيم):
٨٤- تاريخ الدولة البيزنطية(٢٨٤- ١٤٥٣) دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٨م

-الصحف والمقالات:

- **أمين**(مصطفى):

١- ترجمة أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم المجاهد في سبيل الله، منتدى الأزهريين، تاريخ الدخول إلى الانترنت ٢٠١٠/٣/١م/

- **الملا أبو بكر:**

٢- دور المسيحية في الحضارة العربية- الإسلامية، جريدة الاتحاد، الاربعاء٢١ كانون الثاني، www.Alitthad.com تاريخ الدخول إلى الانترنت ٢٠١٠/٣/١م/

- المصادر والمراجع الأجنبية:

- **DVORIK**(Frangis):

1- Origins of Intelligence Services، Rutgers University press، New Brunswick، New JERSEY

- **HUSSEY**(J.M):

2-The Byzantine world، Harper torch books /The Academy Library، Harper & Row، publishers، New York and Evanston 1961

- **OSTROGORSKY** (G):

3-A History of the Byzantine states، trans، by Hussey (Oxford 1956).

❖ **Theophanes**:

4 -Chronicle of Theophanes، an English translation of anm mund 6095 -6305 (A.D .602-813)، with introduction and notes، by Harry Turtledove، University of Pennsylvania Press، Philadelphia 1982 .

ملاحق:

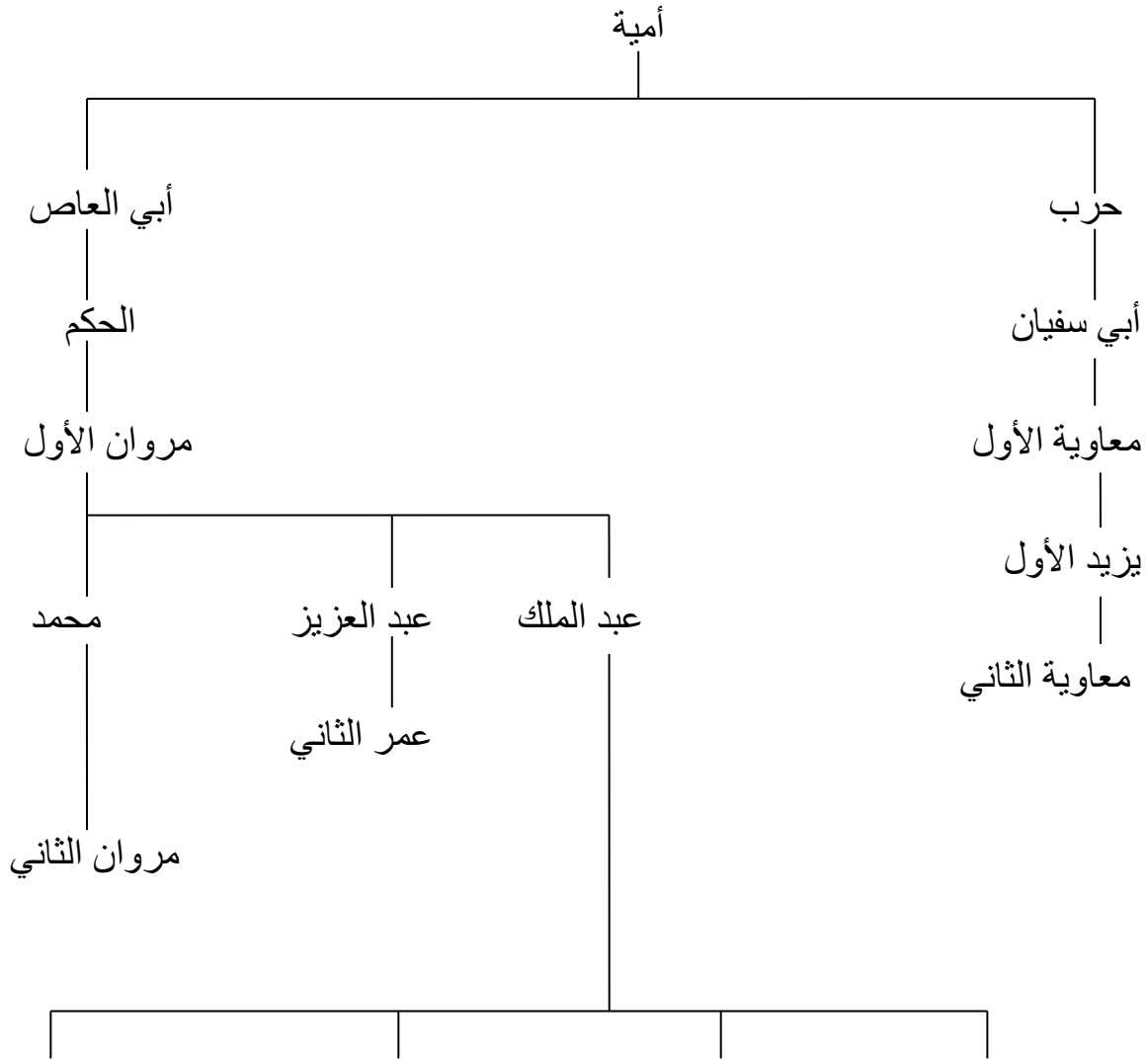

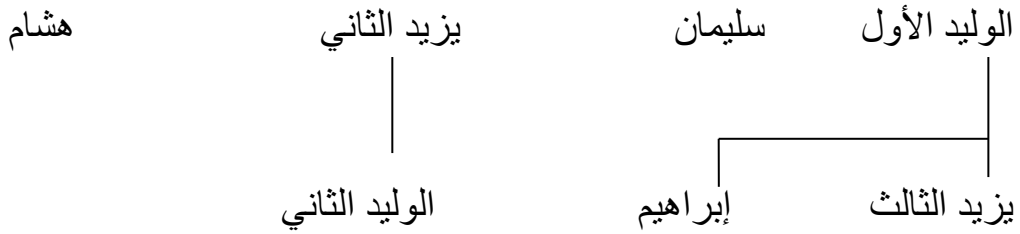

شجرة نسب الأسرة الأموية

حسن: تاريخ الإسلام, صـ ٦٦

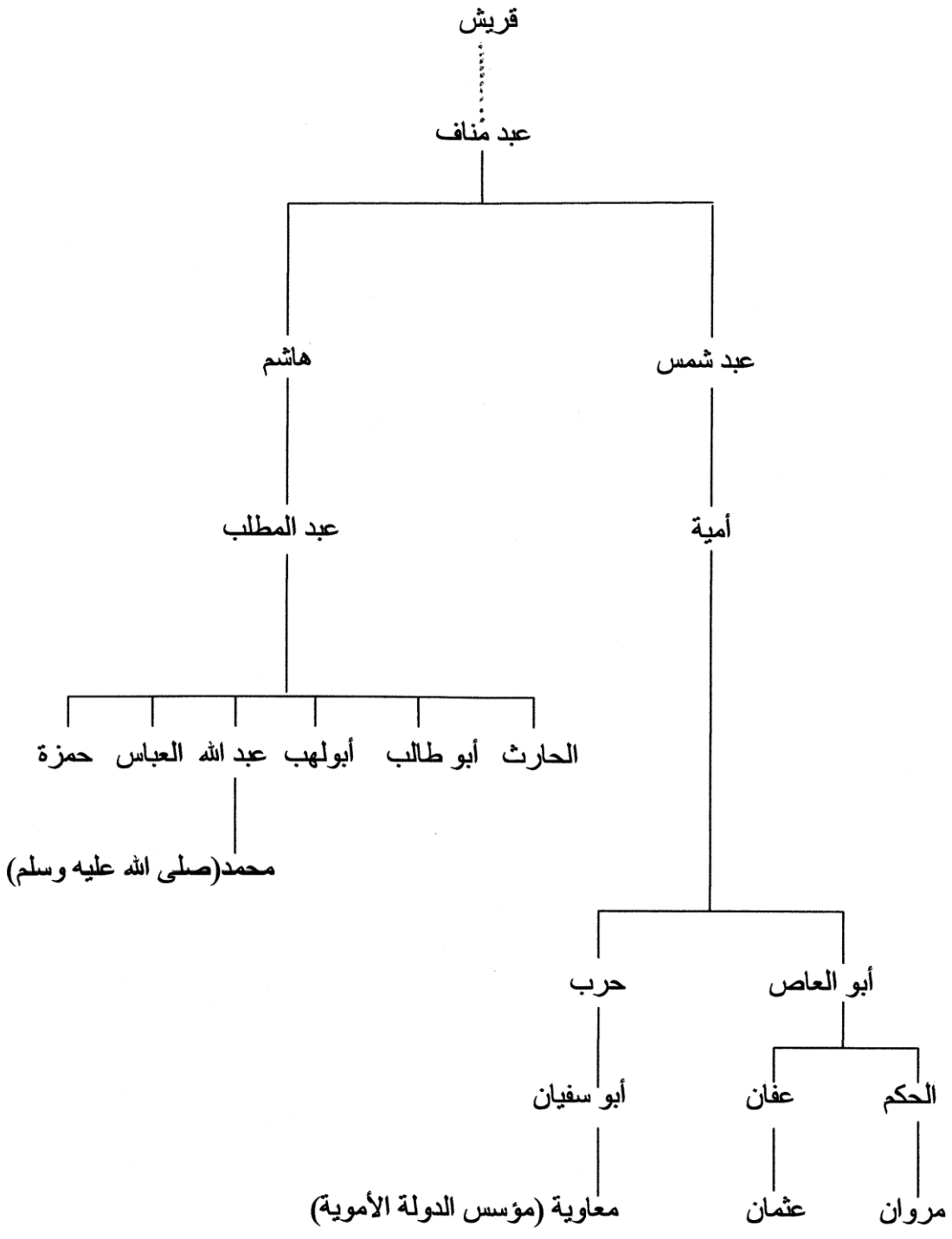

الأمويون وصلتهم بالرسول الكريم عليه الصلاة والسلام

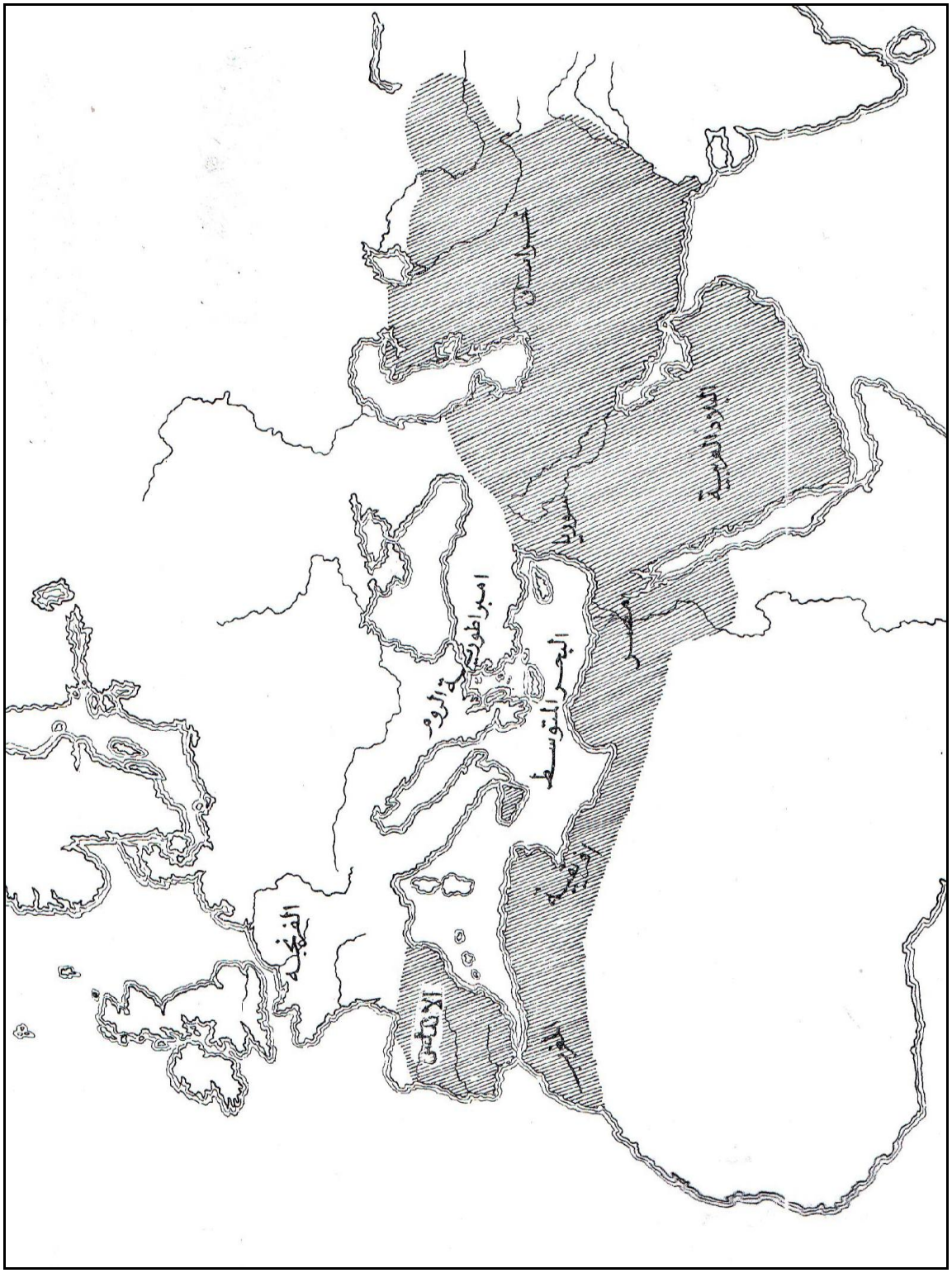

الخريطة رقم (١)- الدولة الأموية في أقصى أتساعها

جلوب: إمبراطورية العرب, صـ ٦٨٧

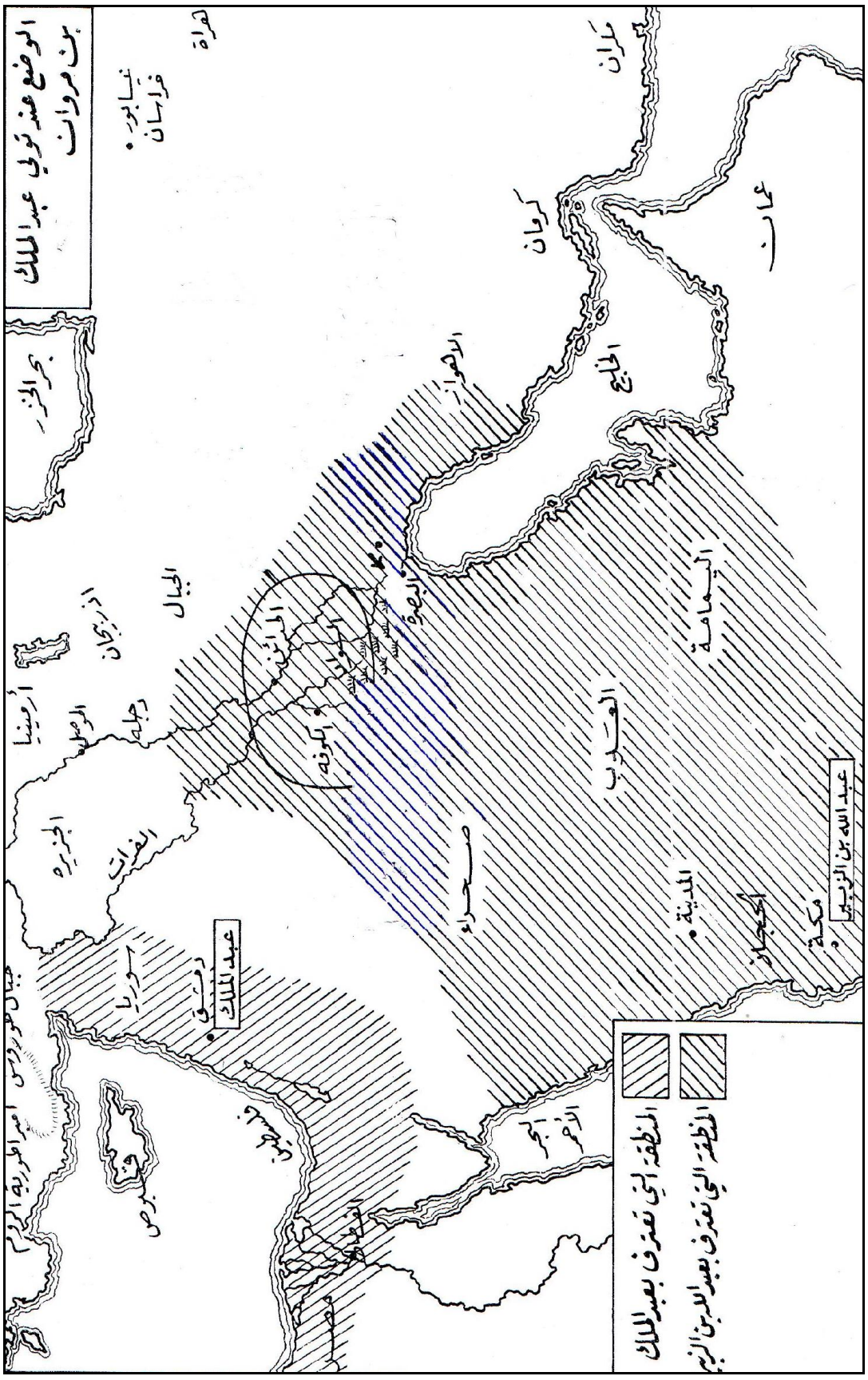

الخريطة رقم (٢)-الدولة الأموية عند تولي عبد الملك

جلوب: إمبراطورية العرب, صـ ١٤٦

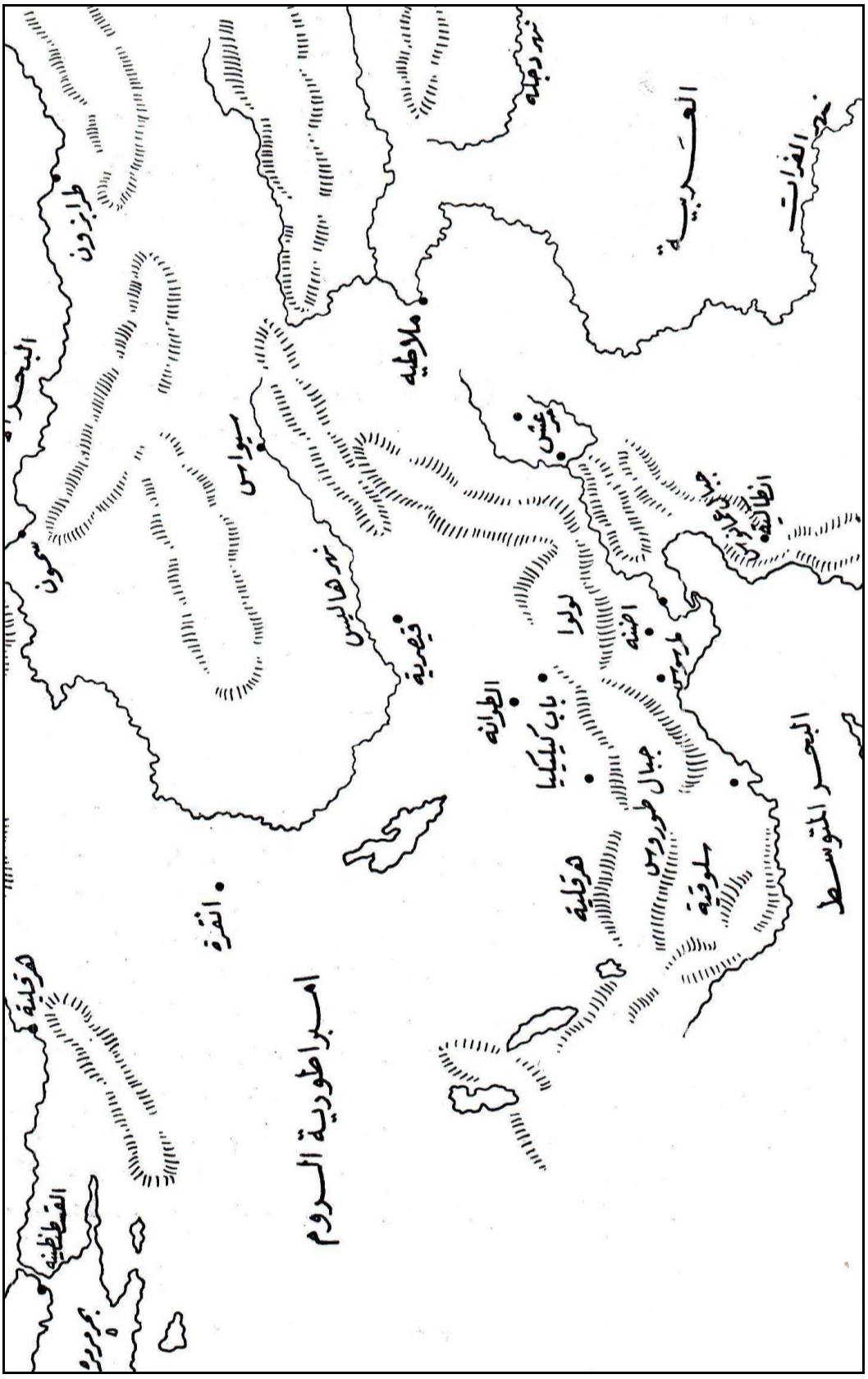

الخريطة رقم (٣)-الجبهة الشمالية

جلوب: إمبراطورية العرب, صـ ٢٣٥

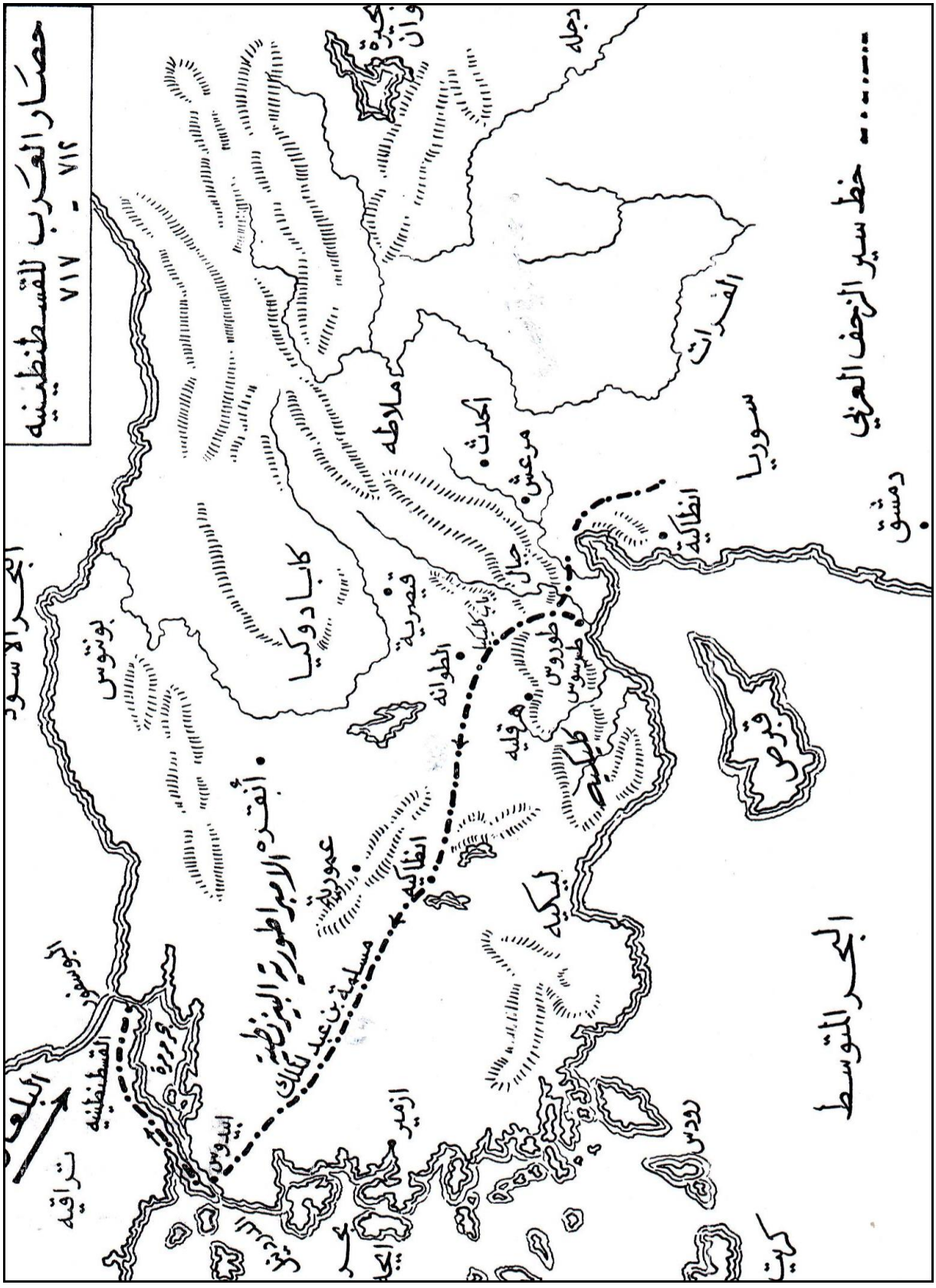

الخريطة رقم (٤)- خط سير الحملة الإسلامية الثالثة لفتح القسطنطينية

جلوب: إمبراطورية العرب, صـ ٣٢٠

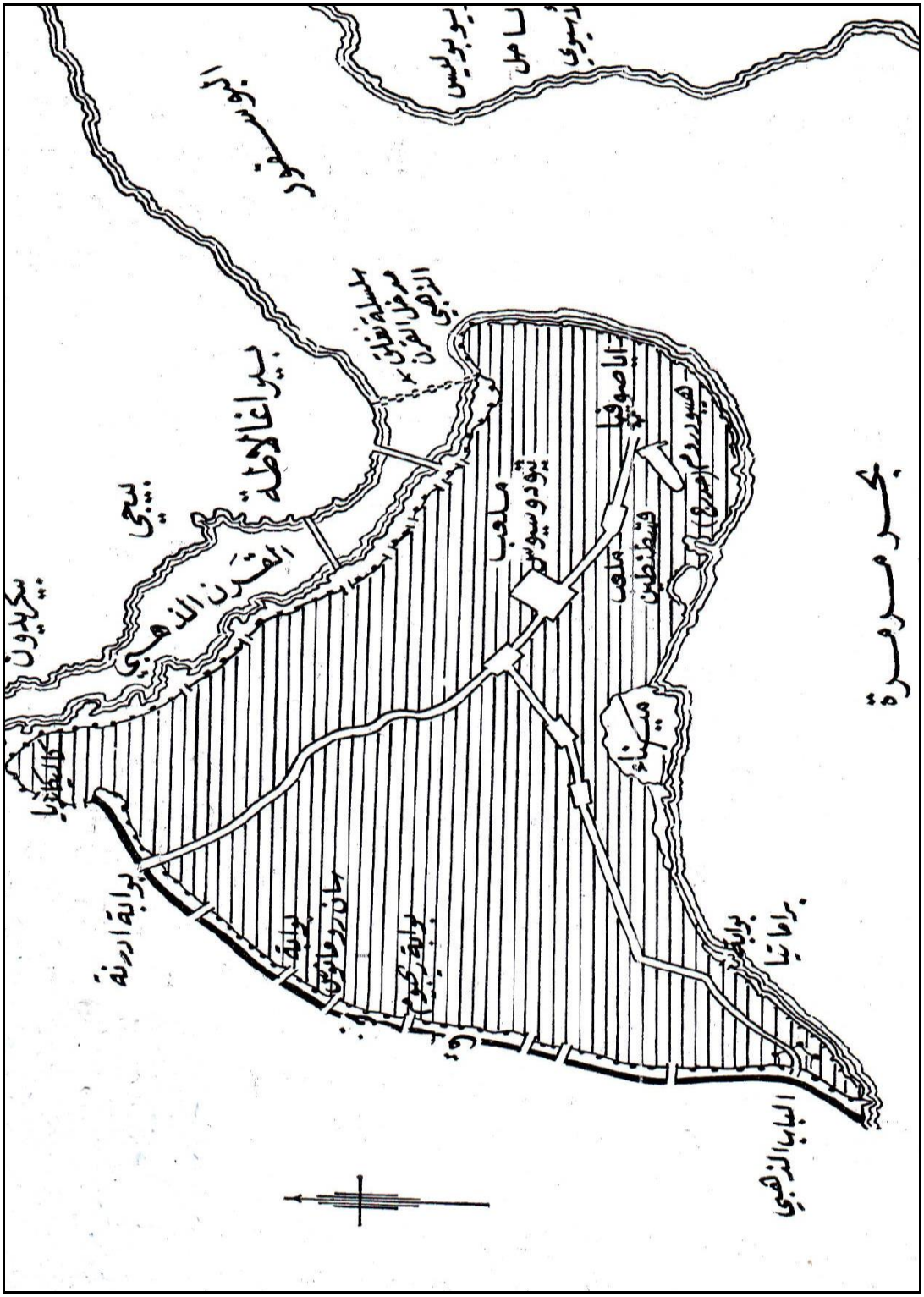

الخريطة رقم (٥)- موقع مدينة القسطنطينية

جلوب: إمبراطورية العرب, صـ ٣٢٢

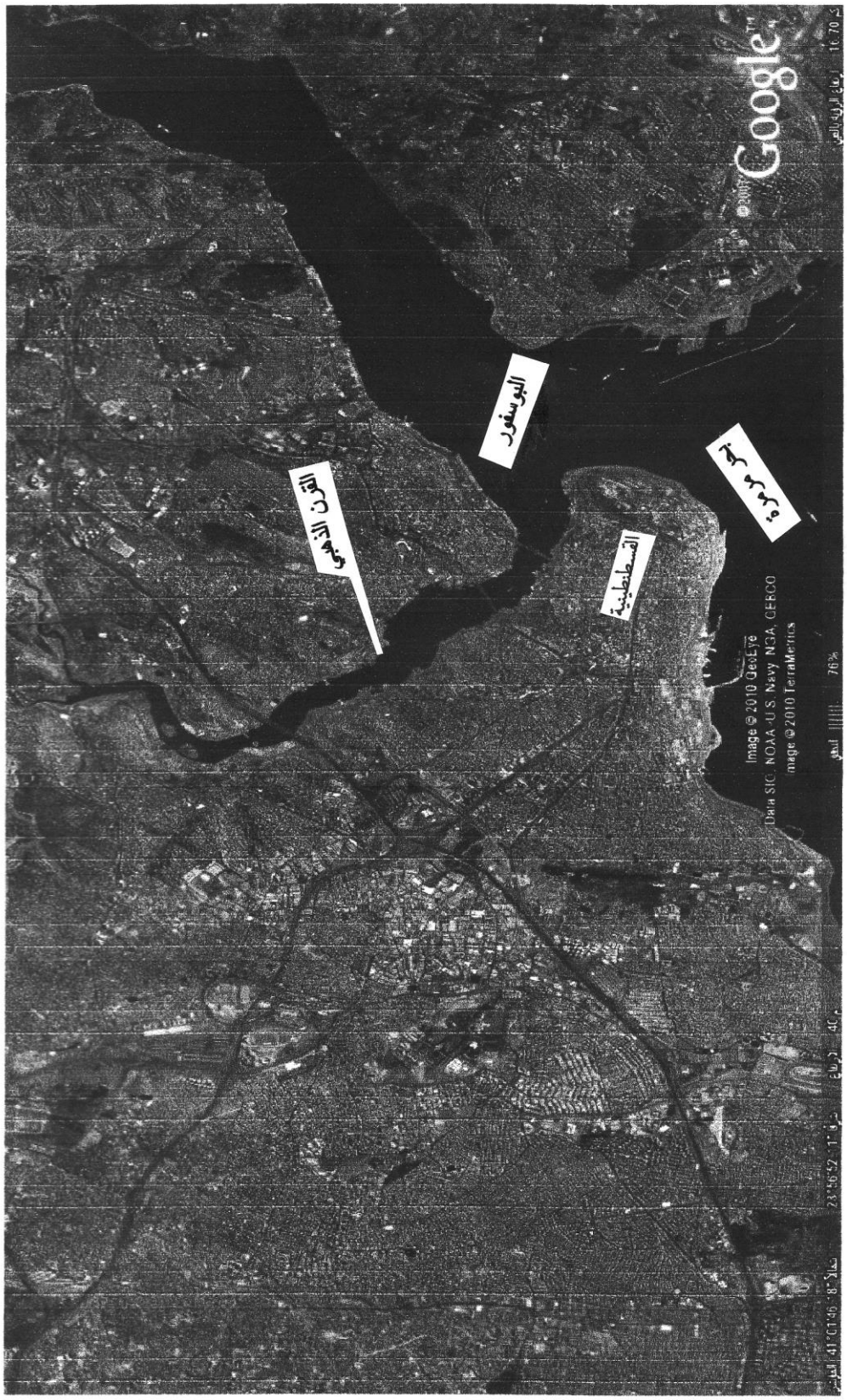

الصورة رقم (١)-صورة فضائية لمدينة القسطنطينية

عن غوغل إيرث

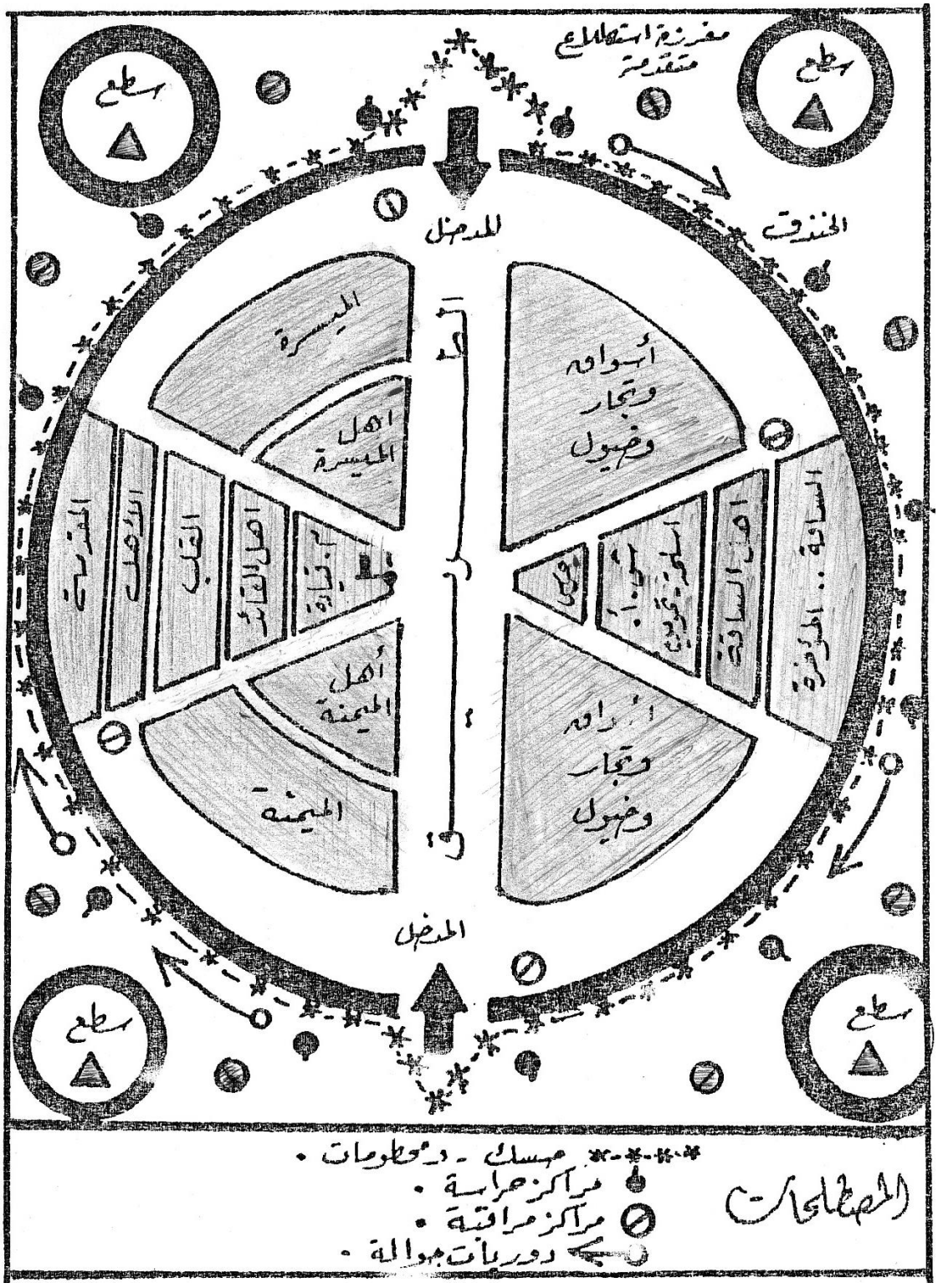

الشكل رقم (١)- تنظيم المعسكر عند الأمويين

عسلي: فن الحرب ج١/صـ ٤٢

The last chapter is specialized to talk about the Omayyad marine power and its origins and the development which happened to it in the period of each Caliph. Then the operations of this marine power and the help of this power to the terrestrial troops especially in the second and third siege of Constantinople, then the plans and fighting arts which they used in all their operations and the reasons of their success and failure. and also it talks about the most important islands in the Mediterranean which has a great role in the conflict .

In conclusion, this dissertation is discussing the most important results and answering about the questions in the dissertation itself and the most important question which is : Did the Omayyads succeeded or failed on this bloc ?

of the Omayyad army and its kinds and depiction. Then it gives special pages to talk about the army in the Terrestrial battles with all its details about planning and how they put it and how they collect the news and camping and then about the battles with all its details.

The fourth chapter is about the occupations in the Omayyad age. At he beginning it speaks about the attitude of the Omayyads about the occupations and its aims and it discusses the historians views about this topic. Then it moves to talk about the tactics in the Terrestrial battles on the Pezantian bloc. It explains the accuracy in putting and using it to imitate many of the armies nowadays.

This chapter also narrates special pages to talk about stationery wars
(Sebastopolis battle) and Acroinon battle and their deep trace on the operations to talk about the role of Mardaites , Armenian and al- Khazer in the Omayyad Pezantian conflict. And also about the terrestrial towns and its places and its role in the Omayyad Pezantian conflict.

The end of this chapter talks about the three efforts to take over the Constantinople and all the narrations about it. In addition to an analysis and discussion of the reasons of the Arabs failure in those attempts.

newest weaponry and plans and techniques of war which was known at that time. Therefore its study was a great reason for choosing the subject of the dissertation which divided into five chapters :

The first chapter is talking about the historical geography of the Pezantian bloc (north of al-Sham homelands) trying to draw a picture of this bloc with its valleys and its rough elevations and its sea and islands and the role of this details and its effect on the battles between the two partners .

The second chapter is talking about his history of the Omayyad country and its Caliphs from the Sofianic branch and their lineage and their most important work and their ages , period of verdict and the most internal events in the Caliphat of each on of them. and also according to the Caliphs of Marwan's branch and how the rule moved to them then we moved to give a brief definition about the Pezantian emperors who were contemporaneous with the period of Omayyad country. According to the third chapter, it talks in details about the Omayyad army and its origins and it searches about the beginning of its organizing and about the source of soldiers and mobilization of troops of their army and about the most important military ranks in the Omayyad army then it moves to talk about the weapons

and after the two Omayyad sieges come Sebastopolis Battle from the Roman that was known as the war of stationeries. Their leader was the emperor Justinian who was very proud of his army and his massiveness, but the Arabs gave him a lesson which he'll never forget it, that the power isn't in the great number of the army but in good management, because the Arab exploit hatred of the Slav sold to the emperor. When the battle began, the Slavs soldiers turned over the emperor and the victory turned over to Muslims. And after this battle, the third Omayyad's siege came which was the most massive and the most mobilization in history and this siege ended after a year, because the Caliph of Muslims announced his new strategy which was based on developing the country. And after that, it was the battle of Acroinon which was the last massive battle between the Arab and the Roman .This time the victory was to the Romans because of the fault of the Muslims leadership.

In spite of that – this battle and what came after it – the internal events have a great effect on the war between the two partners. The square of conflict didn't witness any battle, except some invasions which didn't register any results. The most important matter in that long series of that big and small battles is that is witnessed the usage of

planning to take over the Omayyad Country and their capital Damascus, the Omayyad thought of extermination of the Pezantian empire and taking over their capital the Asitana to be their first aim for their military energy on that bloc. And each partner -to achieve his aim- combat a series of a long seasonal blocs. Then was spring of two invasion from the Arabian land every year. One of them was in summer and the other in winter. Therefore it was known as Summeries and Winteries and that was all the Omayyad period except a few years. And that was, in addition to many massive blocs and one of them was the first Omayyad siege to Constantinople and that was a new shock to the Roman who was planning to pluck out the Omayyad from their roots , they are today hiding behind the bangle of their capital escaping from Omayyad. And if this siege was fizzle out, but it planted fear in the hearts of the Roman, and convince them that their capital is not far from the grip of the Omayyad. And convinced them that the lands which they had previously lost, become impossible to get it back and it is better for them to retain on the remaining.

And after the first siege, a second siege started which was longer and more violent and this siege lasted seven years , Which the Arabs draw up pages of heroism and ransom

ملخص باللغة الانكليزية

The Military Energy on the Pezantian Bloc in the Omayyad Period :

The Islamic country from it's originate was in war with enemies ,who wants to choke it to death while it is in its cradle. Therefore they faced many enemies on different blocs. But the most dangerous enemy was the Roman Pezantium, who dealt with the army of the new state as a group of Bedouin, and this state will be controlled by their power. But as soon as they found that their power began to decline on the hands of those Bedouin, and they were defeated in all the battles with them. Therefore they withdraw behind the mountain(Torros) without believing what happened. After a few years the rule of the Islamic State turned to Omayyads who take on Damascus to be their capital on a ground which the Pezantian considered as a part of their possessions and they will get it back sooner or later. Therefore the first aim of their strategy towards the Omayyad was to get back the lands which they lost it in favor of Muslims. Taking into consideration that they were not dealing with a group of Bedouins as they thought before, but as an organized power Muawiyah Ben Abu Sufyan was on a complete awareness of the Roman thoughts and plans. He put his strategic military according to his awareness of enemy. And because the Romans were